ابن جني النحوي

تأليف
الدكتور فاضل صالح السامرائي
مدرس في كلية التربية ـ جامعة بغداد
و محاضر بكلية الدراسات الاسلامية

١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م

ساعدت جامعة بغداد على نشره

al-Sāmarrā'ī, Fāḍil Ṣāliḥ.

إبن جني النحوي

/Ibn Jinnī al-naḥwī./

تأليف

الدكتور فاضل صالح السامرائي

مدرس في كلية التربية ــ جامعة بغداد
ومحاضر بكلية الدراسات الاسلامية

١٣٨٩ هـ ــ ١٩٦٩ م

ساعدت جامعة بغداد على نشره

طبع بمطابع
دار النذير
للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه والصلاة والسلام على محمد أفضل خلقه وأكمل عباده وعلى آله وصحبه والداعين بدعوته .

وبعد فما إن علمت طائفة من اخواني الأحبة أني أزمعت اختيار هذا البحث « ابن جني النحوي » ليكون موضوع رسالتي للماجستير حتى انطلقت ألسنتهم بالنصح لي بأن أترك هذا الموضوع « الشائك » ! ولقد نصح لي غير واحد بأن أغيره مع أني امضيت في بحثه مدة طويلة . وحجتهم في ذلك أنه موضوع شائك وان ابا الفتح لم يشتهر بالنحو وانما كان مشهوراً باللغة . غير أني كنت منذ نعومة أظفاري محباً للنحو شديد التعلق به أحس بصلة عميقة وثيقة بيني وبينه من دون سائر الموضوعات ، وكنت محباً لأبي الفتح وكنت وانا أقرأ في كتبه والمنقول منها أحس بسعة عقله وبراعته في التعليل والتحليل فيزداد حبي له وأعجابي به ، ولذا صممت على المضيّ في هذا البحث واستخلاص منهج أبي الفتح النحوي مهما كلفني ذلك من مشقة . وكنت ايضاً أرى بحوثه النحوية ونظراته في النحو مبثوثة في كثير مما يكتب فأقول : لمَ لايستخلص منهجه النحوي وقد كتب في النحو وألف في أصوله وبحث فيه ؟

وشكرت لاخواني حرصهم على نصحي واخلاصهم لي وقدرت صدق مودتهم اياي الا انني مضيت على ما انتويت فكان الذي بين يديك والحمد لله .

أن البحث - كما ترى - ينقسم الى ثمانية أبواب مع مقدمة وخاتمة فالباب الاول يشمل عصره وبلده ونسبه ونشأته وأخلاقه ووجهته وأسرته ووفاته .

والباب الثاني يشمل ثقافته وشيوخه وركزت القول خاصة في ذكر شيخه الذي اثر فيه تأثيراً كبيراً أعني أبا علي الفارسي وذكرت وجوه أثره فيه . ثم ذكرت علاقته الأدبية بالمتنبي وشرحه لديوانه .

وقد اشتمل اعتزاله والاجابة عن سؤالين هما : هل كان شيعياً ؟ وهل كان شعوبياً ؟

ثم ذكرت فيه مكانته العلمية وأدبه وعلمه ومايؤخذ عليه من هنات يسيرة. ويشمل كذلك هذا الباب تلامذته وآثاره وقيمتها العلمية .

أما الباب الثالث فانه يشمل التطور النحوي من أوليته الى عصره، ووصف عصره من حيث فساد الالسنة ووجود بقية فصحاء فيه ، وأشهر النحويين في زمنه ودراساته في اللغة والأصوات والتصريف والنحو .

ويشمل بحث الشواهد وأعني بها القرآن الكريم ، وموقفه من القراءات ، والحديث النبوي والاستشهاد به، وكلام العرب من شعر ونثر والمولدين والاستشهاد بشعرهم في المعاني .

أما الباب الرابع فهو بحث في مجهوده في أصول النحو ،ويشمل أصول النحو وتعريفاً بهوجهوده فيه وأثر علم الكلام والمنطق وأصول الفقه ومصطلح الحديث فيه. كما يشمل أدلة الصناعة : السماع (النقل) والقياس والاجماع وعدم النظير والحمل على الظاهر واستصحاب الحال واستدلالات اخرى .

كما يشمل بحثاً في العلل وكلامه فيها ، وهل كانت العرب تلحظ العلل ؟ وما لاحظته العرب من العلل في كلامها .

أما الباب الخامس فانه يشمل بحثين : علم الكلام والفقه وأثرهما في النحو ، والعامل عند أبي الفتح وموقفه منه .

والباب السادس بحث في عقلية أبي الفتح ونهجه في كتبه وبحثه وعقدت فيه موازنة مقتضبة بينه وبين ابن هشام وبينه وبين ابن مضاء القرطبي .

وبحثت في الباب السابع مذهبه النحوي وهو يشمل الاختلاف في مذهبه النحوي ، والمدرسة البغدادية ، وهل كان أبو الفتح بغدادياً ؟ واتبعت في اثبات مذهبه النحوي خطوات أربعاً :

أسس المدرسة التي يتبعها في بحثه ، واصطلاحاته النحوية ، ومع من يعد نفسه ؟ ونماذج من دراساته في المسائل الخلافية .

أما الباب الثامن فانه يشمل نماذج من دراساته النحوية ، ونماذج من اعرابه ومبادئ وأقوالا عامة في اللغة والنحو والأصول .

ونماذج من آرائه النحوية مما خالف فيه الجمهور وما خالف فيه سيبويه خاصة وما خالف فيه شيخه ابا علي الفارسي وما وافقه فيه ،وما وافق فيه الكوفيين واجتهاداته الخاصة . وفي هذا الباب نلحظ آراء نحوية نسبت اليه وهما في مغني اللبيب وشرح الاشموني وهمع الهوامع واثبتنا الصواب فيها .

هذا عرض موجز لطريقة البحث التي اتبعتها في رسالتي هذه ، وقد تلحظ انني أكرر النص أحياناً مرة أو أكثر منها فقد يكون للنص أكثر من دلالة اذكرها في موضعها فلا أكتفي بالاحالة على النص الذي سبق بل انقله ليكون حاضراً بازاء العين فلا يسأم القارئ من مراجعة النص المار الذكر ، كما ان حضوره أدعى الى التأمل والربط بين الدلالة والنص وأيسر على القارئ ، وأحياناً اكتفي بالاشارة الى النص وذلك حين لا أرى ان هناك داعياً قوياً يدعو الى اعادة النص مرة اخرى فأستخلص فكرته .

وفي الختام أتمنى أن أكون قد وفقت لرسم منهج أبي الفتح النحوي وتقديم صورة واضحة له .

ولايفوتني أن أقدم غاية التقدير لأستاذنا الجليل الدكتور مصطفى جوادالذي كان يتحفني بتوجيهاته السديدة المواصلة ونظراته الصائبة :

كما أشكر لجميع الذين اعانوني عونهم وأسدوا الي جميلا فيه .

والحمد لله في البدء والختام

المحرم الحرام ١٣٨٤ هـ فاضل صالح السامرائي

مايس ١٩٦٤ م

الباب الأول

عصره ونشأته

لمحة تاريخية —

الحالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية

في هذا القرن – اعني القرن الرابع الهجري — أصيب العالم الاسلامى بانقسام كبير حتى كأنه عقد انفرط أو صخرة تفتتت «١» ونشأت فيه دول صغيرة منفصل بعضها عن بعض وقد تم ذاك في حدود سنة ٣٢٤ هـ « ٩٣٥ » م (٢) وقد تغلب كل رئيس على ناحيته وانفرد بها فصارت فارس والري واصبهان وهمذان في ايدي بني بويه ، وكرمان في يد محمد بن الياس ، والمغرب وافريقيـــة في يد الفاطميين وخراسان في يد نصر بن احمد الساماني ، والاهواز وواسط والبصرة في يد البريديين واليمامة والبحرين في يد أبي طاهر القرمطي ، وطبرستان وجرجان في يد الديلم (٣) ، والموصل وديار بكر وديار ربيعـــة ومضر في ايدي بني حمدان « ٣١٧ — ٣٩٤ » ومصر والشام في يد ابن (طغج) (٤) الاخشيد وهو من موالي آل طولون (٥) ولم يبق في يد الخليفة الا بغداد وأعمالها «٦» .

---

(١) ظهر الاسلام ج٢ / ١

(٢) الحضارة الاسلامية (لآدم متز ١ ص١)

(٣) المصدر السابق

(٤) الفخري ٢٤٧ ، الكامل لابن الاثير سنة ٣٢٤ هـ ابو علي الفارسي ص٣١

(٥) محاضرات تأريخ الامم الاسلامية — الدولة العباسية — للشيخ محمد الخضري بك ص ٣٦٧

(٦) متز ج ١ ص ١ .

وكان أغلب هؤلاء يعترفون بالسيادة العليا للخليفه من الناحية النظرية الدينية ويقومون له بالدعاء في المساجد(١) أما في واقع الامر فليس له إلا أن يمنح لقباً(٢) أو ان يوافق مكرهاً على أمر اذ فقد الحرية في غالب أمره وخصوصاً في زمن البويهيين (وقد دخلوا بغداد سنة ٣٣٤هـ) وكان البويهيون مطلقي التصرف ولم يتورعوا عن التعدي على أشخاص الخلفاء وانتقاص حقوقهم، فحين دخل معز الدولة أحمد بن بويه (٣٣٤-٣٥٦هـ) على الخليفة(٥) أخذت عليه البيعة للمستكفي واستحلف له بأغلظ الايمان ولخواصه وحلف المستكفي له ولاخويه عماد الدولة علي بن بويه وركن الدولة الحسن بن بويه وكتب بذلك كتاباً ووقعت فيه الشهادة عليهما(٣) حتى ان معز الدولة فكر في ازالة الخلافة العباسية واقامة خلافة علوية ولكنه عدل عن ذلك لما قد يعرض لسلطانه من خطر بسبب وجود الخلافة العلوية التي يعطيها الجند ويعترف بها الديلم، ويكونون أداة في يد الخليفة يستغلها لمصلحته

---

(١) فالقرامطة كانوا يخطبون باسم المهدي - محاضرات تاريخ الامم الاسلامية - الخضري ص٣٧٩ والظاهر ان المقصود بالمهدي هذا هو عبيدالله المهدي بن محمد الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم بن اسماعيل بن جعفر الصادق. وعبيدالله المهدي ظهر في شمال أفريقيا وملك المغرب، وكان من الاسماعيلية القرامطة وقد مات سنة ٣٢٢هـ

- لاحظ كتاب المذاهب الاسلامية - لمحمد أحمد أبو زهرة ص٨٩-٩٠ وتاريخ الاسلام السياسي - لحسن ابراهيم ج ١٤٤/٣-١٤٦ والملل والنحل للشهرستاني ج١/ ٣٣٠-٣٣٣

(٢) متز ج ١ ص١

(٣) المنتظم ٣٤٠/٦ دراسات في العصور العباسية المتأخرة للدوري ص٢٤٧.

(٥) المستكفي (٣٣٣-٣٣٤هـ)

متى شاء(١) . وذكر ابن الاثير(٢) ان معز الدولة أهان الخليفة المستكفي وقبض عليه وسمل عينيه واجلس المطيع (٣٣٤-٣٦٣هـ) على عرش الخلافة واطلق له الف درهم في اليوم ثم قطع ذلك الراتب النقدي بعد أن فتح البصرة وعين له اقطاعات يسيرة يعيش منها ورتب له كاتبا يتصرف بشؤونها (٣) .

وكثر الخلع والسمل في خلفاء هذا القرن فقد بويع القاهر محمد بن المعتضد بالله أحمد يوم الخميس لليلتين بقيتا من شوال سنة عشرين وثلثمائة وسملت عيناه وكانت خلافته سنة وستة أشهر وستة أيام(٤) . والمتقي لله وهو أبو اسحاق ابراهيم ابن المقتدر بويع لعشر خلون من شهر ربيع الاول سنة تسع وعشرين وثلثمائة وخلع وسملت عيناه يوم السبت لثلاث خلون من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة(٥) .

وبويع المستكفي بالله وهو أبو القاسم عبدالله بن علي المكتفي يوم السبت لثلاث خلون من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة وخلع في شعبان سنة أربع وثلاثين وثلثمائة لسبع بقين من هذا الشهر(٦) وسملت عيناه(٧) .

وبويع المطيع لله وهو أبو القاسم الفضل بن جعفر المقتدر لسبع بقين من شعبان سنة أربع وثلاثين وثلثمائة ، وقيل انه بويع في جمادي الاولى من هذه السنة وغلب على الامر ابن بويه الديلمي غلبة تامة والمطيع في يده لا أمر له ولا نهي

---

(١) تأريخ الاسلام السياسي - للدكتور حسن ابراهيم ٤٤/٣

(٢) ابن الاثير ١٦٢/٨

(٣) تأريخ الاسلام السياسي ٤٤/٣

(٤) مروج الذهب - المسعودي ٤ / ٣١٢

(٥) مروج الذهب ٣٣٩/٤

(٦) المرجع السابق ٢٥٥/٤

(٧) ابن الاثير ١٦٢/٨

ولا خلافة تعرف ولا وزارة تذكر(١) . وصادر القاهر (٣٢٠-٣٢٢هـ) أم المقتدر فعلقها برجل واحدة منكسة الرأس ، وأفسد الوزير ابن مقلة قلوب الجند على القاهر وزين لهم الوثوب حتى هجموا عليه وخلعوه وسملوه حتى سالت عيناه الى خديه ثم حبس وافرج عنه حتى بلغ به الحال أن وقف بجامع المنصور يطلب الصدقة من الناس(٢)(*) .

وذكر المسعودي أنه أضرب صفحاً عن وصف اخلاق طائفة من الخلفاء لانهم كانوا كالمولى عليهم لا أمر ينفذ لهم(٣) .

وذكر ابن طباطبا المتقي لله قال : واضطربت عليه الامور واستولى عليه رجل من امراء الديلم يقال له توزون فهرب المتقي ومعه ابنه الى الموصل خوفا على نفسه من حرب بغداد . ثم جرى عليه من القهر والسمل ما أثرناه آنفاً .

وجرت في تلك الايام حروب وفتن ونهبت دار الخلافة وأخذ ما كان فيها(٤) .

وذكر هذا المؤرخ المستكفي قائلا : ثم اضطربت أحوال الخلافة ولم يبق لها رونق ولا وزارة وتملك البويهيون وصارت الوزارة من جهتهم والاعمال اليهم

---

(١) مروج الذهب ٣٧٢/٤ ، وانظر كتاب الوزراء للصابي
وكتاب أخبار الراضي بالله والمتقي لله للصولي

(٢) الفخري ص٢٣٠ عن (أبو علي الفارسي) للشابي ص٣٠

(*) ذكر السيوطي ان الخلافة ضعف أمرها في هذا الوقت وتغلب امراء الاطراف وبطل معنى الوزارة وصارت الدنيا في أيدي عمالها - المختار من كتاب حسن المحاضرة للسيوطي ص١٤٦ سنة ٣٢٣هـ .

(٣) التنبيه والاشراف ص٣٤٦

(٤) الفخري ص٢٥٤

وقرر للخلفاء شيء طفيف برسم اخراجاتهم(١) .

ووصف البيروني موقف الخلفاء العباسيين من سلاطين بني بويه في هـذه العبارة فقال : وان الدولة والملك قـد انتقل في آخر أيام المتقي وأول أيام المستكفي من آل العباس الى آل بويه والذي بقي في أيدي الدولة العباسية انما هو أمر ديني اعتقادي لا ملك دنياوي فالقائم من ولد العباس الآن [يعني في عهـد البيروني المتوفى سنة ٤٤٠هـ] انما هو رئيس الاسلام لا ملك(٢) .

وقدساءت الأحوال الاجتماعية والسياسية والاقتصادية مساءة بالغة اذ استهل هذا القرن بفتن أثارهاالقرامطة على أبواب بغداد وانتهت هذه الفتن بالاستيلاءعلى مكة سنة ٩٣٠م(١) (٣١٩هـ) . وذكر المسعودي في (التنبيـه والاشراف) في أيام الراضي (٣٢٢هـ-٣٢٩هـ) مسير القرمطي سليمان بن الحسـن صاحب البحرين عن الاحساء لاعتراض الحاج في بدأتهم لموسم سنة٣٢٣هـ (٤) .

وفي سنة ٣٣٣هـ بعد دخول أبي الحسن البريدي بغداد ، انتهبت دار الخلافة وغيرها من دور الأولياء وانتهك الحريم بعد ممانعة عظيمة وحروب وقتل من الناس وغرق نحو من عشرة آلاف رجل وقيل اكثر من ذلك(٥) .

وقد وصف الصولي حالة بغداد في الوقت الذي تقلد فيه بجكم إمرة الأمراء (٣٢٧-٣٢٩) فقال : ان العامة عاثوا في الأرض فسادا وانقضوا على الحمامات العامة وأخذوا ثياب من فيها وكثرت المصادرات وتفاقم شر اللصوص الذين تسلحوا بالعدد لكبس الدور ليلا وشكا الناس من غير جدوى الى بجكم ماأحله بهم أصحابه

(١) الفخري ص٢٥٨

(٢) الآثار الباقية ص١٣٢ وانظر تاريخ الاسلام - لحسن ابراهيم ٢٤٨/٣

(٣) اطلس التاريخ الاسلامى ص١٢

(٤) التنبيه والاشراف ص٣٣٧

(٥) المصدر السابق ص٣٤٤

من بلاء وانتشرت الفوضى والمنازعات وساءت احوال العراق .

وصفوة القول أن حالة الدولة العباسية أصبحت من الضعف بحيث لم يتمكن الخليفة الراضي من دفع أرزاق الجند ولا من الحصول على مايكفيه . وفكر الخليفة في الاستنجاد بأبي عبدالله الحسن البريدي . [١] وظلت الحال على ذلك حتى توفي الراضي سنة ٣٢٩هـ . وفي هذا العصر يصف المقدسي بغداد فيقول انها كانت احسن شيء للمسلمين واجل بلد وفوق ماوصفنا حتى ضعف امر الخلافة فاختلت وخف اهلها فأما المدينة[٢] فخراب والجامع فيها يعمر في الجمع ثم يتخللها بعد ذلك الخراب ... وهي في كل يوم الى ورآ وأخشى انها تعود كسامرا مع كثرة الفساد والجهل والفسق وجور السلطان . [٣]

على ان حال بغداد في سنة الحمدانيين ٣٣٠-٣٣١هـ الذين عرفوا بتشجيع الأدباء والشعراء بعطاياهم لم تكن احسن منها في عهد من سبقهم من أمراء الأمراء فقد «كثرت المتلصصة ببغداد وكبست دور المياسير وخرج الناس عن بغداد هاربين الى كل وجه على انسداد طرقهم ولو أمنوا الخرج اضعاف من خرج ... وغلت الأسعار في جمادى الآخرة غلاء عظيما ، ومات الناس جوعا ووقع فيهم البلاء فكانوا يبقون على الطريق اياما لايدفنون حتى اكلت الكلاب بعضهم»[٤]

ولعل البلاد ذاقت بعض الرفاهية على يد عضد الدولة ت[٣٧٢هـ] فقد كان أقدر البويهيين الذين حكموا العراق وابعدهم نظرا في السياسية والادارة[٥]. وكان

---

(١) الأوراق للصولي ١٣٣/٢-١٣٥ وانظر [تاريخ الاسلام ٢٨/٣]

(٢) يعني مدينة المنصور بالجانب الغربي

(٣) أحسن التقاسيم ص١٢٠

(٤) الصولي ٢٣٤/٢-٢٣٧ ، كتاب حسن ابراهيم ص٣١

(٥) دراسات في العصور العباسية المتأخرة - للدوري ص٢٦٨

عضد الدولة دون سائر اعضاء اسرته هو الذي يمثل السيد الحاكم تمثيلا حقيقياً وقد خضعت لسلطانه في آخر أمره البلاد الممتدة من بحر الخزر الى كرمان وعمان، وكان مهيباً يعنى بنقل الأخبار واعتنى بالعمران وأعاد كثيرا من بناء المساجد وأقام للحجاج السواقي في الطريق واحتفر لهم الابار وأعاد عمارة بستان عرصة دار العباس ابن الحسين وغيره فامتلأت الخرابات بالزهر والخضرة والعمارة بعد ان كانت مأوى الكلاب ومطارح الجيف والأقذار وطهر السبل من اللصوص. [١]

وفي آخر ايامه احدث رسوما جائرة وزاد الرسوم القديمة وكان يتوصل الى أخذ المال بكل طريق[٢].

وبعض الحكام كان يستعمل العسف في جباية المكوس وفي مال الخراج. الى غير ذلك من وسائل ظالمة. حتى ان صمصام الدولة أراد سنة ٣٧٥هـ أن يفرض ضريبة قدرها عشر الثمن على الثياب الحرير فاجتمع الناس في جامع المنصور وعزموا على قطع الصلاة وكاد البلد يفتتن فاعفوا من ذلك، ولم يقتصروا في الضرائب على الكماليات بل أرادوا ان يفرضوها على الضروريات كالملح.. وكان «الشطار» يفرضون ضرائب معينة على البيوت فمن لايدفعها يهاجم ويؤخذ ماله[٣].

الحالة العلمية

ان هذا التردي البليغ الذي ذكرنا طرفاً منه في النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية لم يؤثر في الحالة العلمية كذلك التأثير بل ربما كان العكس هو

(١) انظر متز من ٣٣-٣٥ وانظر كتاب الاذكياء لابن الجوزي

(٢) ابن الاثير ١٦/٩

(٣) ظهر الاسلام ١٠/٢

الصحيح « فالمملكة الاسلامية في هذا القرن كانت أعلى شأناً في العلم من القرون التي كانت قبله »[١] .

ان تفتت هـــذه الوحـــدة ووجود امارات وعواصم متعددة اديا الى نعش الناحية العلمية في أكثر من مكان ، فبينما كانت بغـــداد موئل العلماء وكعبة القصاد منهم اذا نحن نرى مراكز علمية فى حلب وشيراز وغيرهما فكانت هذه الامارات « تتبارى في تجميل موطنها بالعلماء والادباء »[٢] وبعد أن كانت البصرة والكوفة أهم مراكز العلم والثقافة تعددت العواصم الثقافية وأصبحت شيراز والري وأصبهان ودينور وهمذان وبخارى ونيسابور وسمرقنـــد وجرجان وحلب والقاهرة من أهم المراكز بجانب تلك . ووجدنا من العلماء من ينسب الى هذه البلاد أو غيرها ففيهم الامـــدي والابيوردي والاســـترابادي والانطاكي والبستي والبسطامى والسجزي والشهرستاني والطالقاني والعسكري والفارابي والكرماني والهروي والفسوى وغير أولئك[٣] .

واصبح الذين ينشدون المال والشهرة يجدونهما في اكثر من موطن ، وهذا جعل كثيراً من العلماء ينعمون في ظل التفرد اكثر مما كانوا ينعمون في ظل الوحدة(٤).

وتم في هذا العصر امتزاج الثقافات فهؤلاء الفرس والهنود يتثقفون الثقافة العربية وينتجون فيها . وهؤلاء وثنيو حران والسريانيون يغرقون البلاد بالثقافة اليونانية . وهؤلاء الخلفـــاء يشجعون الطب والتنجيم اولا لحاجتهم اليهما ثم ينفذ العلماء منهما الى ابواب الفلســـفة الاخرى من طبيعيات ورياضيات والهيات . . .

---

(١) ظهر الاسلام ٢/٢

(٢) المصدر السابق ٢/٢

(٣) وفيات الاعيان ج ٦١/١ ، ٧٥ ، ٨٢ ، ١٠٠ ، ١١٣ ، ١٣٤

(٤) ظهر الاسلام ٢/٢

ويقتبس علماء كل علم من الفلسفة اليونانية ليفلسفوه من دين ونحو وصرف وبلاغة وغير ذلك(١) .

وقد عني بالكتب وجمعها الى درجة فائقة فكان الامراء والادباء والعلماء يجمعون عشرات الوف من الكتب وقد وصف المقدسي خزانة الكتب التي كانت في دار عضد الدولة بانها « حجرة على حدة عليها وكيل وخازن ومشرف من عدول البلد ولم يبق كتاب صنف الى وقت عضد الدولة من انواع العلوم الا وحصله فيها . وهي أزج طويل في صفة كبيرة فيه خزائن من كل وجه وقد الصق الى جميع حيطان الازج والخزائن بيوتاً طولها قامة في عرض ثلاثة اذرع من الخشب المزوق عليها ابواب تنحدر من فوق والدفاتر منضدة على الرفوف لكل نوع بيوت وفهرستات فيها اسامي الكتب ولايدخلها الا كل وجيه(٢) .

وفي سنة ٣٥٧ هـ (٩٦٧ م) صودر حبشي بن معز الدولة لانه اراد عصيان اخيه امير بغداد فكان من جملة ما اخذ منه خمسة عشر الف مجلد سوى الاجزاء وماليس بمجلد(٣) .

وفي سنة ٣٥٥ هـ نهب قوم من الغزاة دار ابي الفضل بن العميد بالري وكان يخشى على دفاتره وكانت كثيرة فيها كل علم وكل نوع من انواع الحكم والآداب يحمل على مائة وقر غير انها سلمت فسري عنه مع كل مافقد ولم يبق غيرها(٤) .

وان كتب الصاحب بن عباد تحمل على اربعمائة جمل أو اكثر وكان فهرس كتبه يقع في عشرة مجلدات(٥) .

---

(١) ظهر الاسلام ١١/٢

(٢) احسن التقاسيم للمقدسي ص ٤٤٩ ، وانظر متز ص ٢٤٤

(٣) تجارب الامم لمسكويه ج٦/٢٤٦ سنة ٣٧٥ هـ

(٤) تجارب الامم لمسكويه ٢٨٦/٦

(٥) ياقوت ٣١٥/٢ متز ،ص ٢٤٦

هذا زيادة على دور الكتب والمؤسسات العلمية التي انشئت في كثير من المدن كالبصرة والموصل ونيسابور ورام هرمز وغيرها(١) .

وبرزت في هـذا القرن اسماء لامعة في شتى ميادين العلم والادب كالطبري والمتنبي والفارابي والاصفهاني وابن النديم وابي الوفاء الفلكي والرياضي والجراح ابي القاسم والاشعري(٢) وبرز فيه اعلام الادب والعربية والفن كالصاحب بن عباد وبديع الزمان الهمذاني وابن العميد وابي هلال العسكري والازهري صاحب التهذيب وابن فارس صاحب المجمل وابي علي القالي صاحب الامالي والجوهري صاحب الصحـــاح وابن خالويه وابي فراس الحمداني وكشاجم والسري الرفاء والشريف الرضي والسلامى والوأواء الدمشقي(٣) وابن دريد صاحب الجمهرة ، كما نبغ في هذا العصر ابو اسحاق الزجاج وابو بكر محمد بن السرى السراج وابو بكر محمد بن القاسم الانباري الذي كان يقول « احفظ ثلاثة عشر صندوقاً وابو القاسم الزجاجي وابوسعيد السيرافي وابو علي الفارسي وعلي بن عيسى الرماني وابن جني(٤) وابراهيم الفارابي مؤلف ديوان الادب وغيرهم وغيرهم .

نرى من هذا الاستعراض العاجل ان هـذا القرن حاشد بأبرز رجال العلم والادب والفن وان الناحية العلميـة قد تطورت تطوراً بعيداً وخطت خطوات واسعة على عكس ماشاهدناه في النواحي السياسية . والاجتماعية والاقتصادية التي تردت تردياً بالغاً كما مر بنا آنفاً .

الحالة الدينية :

في مطلع هـذا القرن نكصت حركة الاعتزال التي ازدهرت في العصر

(١) ياقوت ٤٢٠/٢ ، المقدسي ص ٤١٣ وانظر متز ص ٢٤٩

(٢) اطلس التاريخ الاسلامي « القرن الرابع الهجري ص ١٢ »

(٣) مجلة المقتطف . مجلد ١١١ ج ١٥٤/٣

(٤) مجلة المجمع العلمي العربي مجلد ٢٨ ج ٥٣٦/٤ مقالة الدكتور محمد اسعد طلس

العباسي الاول وكان لظهور أبي الحسن الاشعري الذي كان معتزلياً أول أمره ثم خرج عليهم بعد أن تسلح بالاسلحة المنطقية التي أمدوه بها والتي حاربهم بها بقية حياته أثر كبير في هذا النكوص وكان للكتب التي الفها شأن كبير في رد المعتزلة بعد أن كانوا رفعوا رؤوسهم فجحرهم الاشعري في اقماع السماسم(١) .

قال الدكتور حسن ابراهيم « أما انتصار مذهب أهل السنة فقد توج بظهور أبي الحسن الاشعري ذلك انه لم يكد يمضي اثنا عشر عاماً على موت المتوكل حتى ولد سنة ٢٦٠هـ (٨٧٣م) ذلك الرجل الذي تربى في أحضان مذهب المعتزلة ثم رفض تعاليمهم في الاربعين من عمره بعد أن تسلح بالاسلحة المنطقية التي أمدوه بها وحاربهم بها بقية حياته وحمل على آرائهم حملة كتب لها التوفيق والنجاح...»(٢)

ولا شك ان سلطان المعتزلة أخذ يضعف ويضمحل منذ مجيء المتوكل الى الخلافة اذ أظهر أمر السنة والجماعة وأمر الشيوخ المحدثين بالتحديث(٣) .

وكان لثبات الامام أحمد بن حنبل امام ما سمي بفتنة القول بخلق القرآن ثباتاً منقطع النظير أثر عظيم في نفوس الناس وأثارت فتنة التعذيب والتسلط وارغام العلماء على القول بخلق القرآن رد فعل عنيف بحيث لم يجرؤ أحد على أن يظهر الكلام في الاعتزال(٤) فيما بعد .

وكان الخلفاء العباسيون في الاعم الاغلب من اهل السنة الذين يقاومون الاعتزال . وقد تدخل القادر بالله في أمر العقائد(٥) فعمل كتاباً « فيه الاصول ذكر فيه فضائل الصحابة على ترتيب مذهب أصحاب الحديث وأورد في كتابه

---

(١) وفيات الاعيان ٤٤٧/٢

(٢) تاريخ الاسلام ٢١٨/٣

(٣) مروج الذهب للمسعودي ٣٧/٤

(٤) الشلبي عن ابن زولاق ص١٨ ومجلة مجمع اللغة العربية ج١٤٤/٨ لابراهيم مصطفى .

(٥) دراسات في العصور العباسية المتأخرة للدوري ص٢٥٥

فضائل عمر بن عبدالعزيز وأفكار المعتزلة والقائلين بخلق القرآن وكان الكتاب يقرأ في كل جمعة في حلقة أصحاب الحديث بجامع المهـدي ويحضر الناس سماعه(١) . وكتب كتاباً قرأه على الاشراف والقضاة والشهود والفقهاء يتضمن الوعظ وتفضيل مذهب السنة والطعن على المعتزلة(٢) .

وكان أكثر أهل بغـداد سنيين يحترمون الشيخين وعثمان وعلياً ، فلما جاء البويهيون شجعوا التشيـع ورسموا للناس مراسم ينوحون فيها ويلطمون وجوههم يوم عاشـوراء(٣) . ويبتهجون باظهار الزينة واشـعال النـيران بعيد الغـدير غدير خم(٤) . وكان البويهيون شيعة زيدية (٥) لا يعترفون بحق العباسيين لحكم العالم الاسلامي(٦) . وأراد معز الدولة ازالة الخلافة العباسية واقامة خلافة علوية مكانها ولكنه عدل عن ذلك لاعتبارات سياسية(٧) .

وخلاصة القول انه « كما تقاسمت المملكة الاسلامية العناصر الجنسية المختلفة كذلك تقاسمتها المذاهب والطوائف الاسلامية المختلفة »(٨) .

الموصل ـ بلده

حالاتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعلمية :

قال المقدسي وهو من أهل القرن الرابع للهجرة ، الموصل « بلد جليل حسن

---

(١) المنتظم ٦١/٧ ، ١٠٩/٨

(٢) المنتظم ٤٢/٨

(٣) المنتظم ١٥/٧

(٤) الكامل ١٧/٧

(٥) ابن حسول ص٣٢ـ الدوري ٢٤٧

(٦) ابن الاثير ١٤٩/٧ وانظر ١٦٢/٨

(٧) حسن ابراهيم ٤٤/٣ ، الدوري ٢٤٧

(٨) ظهر الاسلام ٧٤/١

البنـاء طيب الهواء صحيح الماء كثير الملوك والمشـايخ لا يخلو من اسـناد عال وفقيه مذكور »(١) ، إلا أن هذا البلد الجليل لم يكن حظه في هـذا القرن أحسن من غيره ، فقد كانت الفتن واضطراب حبل الامن وتردي الحالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية لاتختلف فيه عن غـيره . فقد توالت عليه الفتن فخربت المساجد وهدمت الاسواق والقصور والدور وهجرها كثير من رجال الادب الى غيرها طلباً للطمأنينة والسكينة أو الرزق والرفاهية . وقلما خلت سـنة من ثورات داخلية أو حروب أهلية . ففي سنة ٣٠٧ كانت فتنة عظيمة في الموصل وأعمالها بين باعة الطعام وبين الاسـاكفة واحترق سوق الاساكفة بما فيه ، وكان الوالي خارجاً عن المدينة فسمع بالفتنة فرجع ليوقع بالثائرين فحصنوا البـلد وسدوا الدروب ، فلما رأى ذلك ترك قتالهم وأمر من التف حوله من اعراب البادية أن يخربوا الاعمال ويقطعوا الطرقات ويهدموا الجسور فخربت المدينة وبلغ الخبر الى الخليفة فعزله . وفي سنة ٣٠٧ أيضا ثارت فتنة كبيرة بين الموصليين والاكراد المارdينية ولم تهـدأ حتى ارسـل الخليفة الحاجب محمد بن نصر فهدأها وأعاد السكينة الى ربوعها . وفي سنة ٣١٠ وقعت الفتنة الكبرى بين أصحاب الطعام ثانية وأهل المربعة والبزازين ـ ثم انضم اليهم الاساكفة ـ وقهروا أصحاب الطعام وهزموهم وأحرقوا أسـواقهم وتتابعت الفتنة بعد هذه الحادثة كما يحدثنا ابن الاثير واجترأ أهل الشر وتعاقد أصحاب الخلقان والاساكفة على أصحاب الطعام فهزموا الاساكفة ومن معهم وأحرقوا سوقهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وركب أمير الموصل ناصر الدولة الحسن بن عبدالله الحمداني ليسكن الناس فلم يسكنوا ولا كفوا ثم دخـل بينهم ناس من العلماء وأهل الدين فاصلحوا بينهم(٢) .

وكان هذا الاقليم في يد الحمدانيين في سنة ٢٩٢ هـ وليها الامير ابو الهيجاء

---

(١) أحسن التقاسيم ـ المقدسي ١٣٨

(٢) ابو الفتح بن جني ـ مقالة للدكتور محمد اسعد طلس ـ مجلة المجمع العلمي العربي المجلد ٣٠ ج ٣ /٤٤٠ـ ٤٤٥

عبدالله بن حمدان بن حمدون التغلبي العدوى بأمر الخليفة المكتفي بالله علي العباسي واقام بهـا الى سنة ٣١٦ . . . وولي ولده الموصـل ناصر الدولة حسن بن ابي الهيجاء(١) (٣١٧ - ٣٥٨ هـ) .

ويذكر بروكلمان عهده قائلا « الحق ان عهـده كان اسوأ مثل للاستبداد الشرقي . ذلك بأن الضرائب الباهضة التي انقضت ظهور افراد رعيته عجزت عن اشباع مطامعه فوجه همته نحو ضم الكثرة العظمى من اراضي البـلاد الى ممتلكاته الخاصة »(٢)

اما الحالة العلمية فيهافقد ازدهرت كما ازدهرت في سائر الامارات الاسلامية ونبغ فيها جمهرة من كبار العلماء والشعراء والادباء والمصنفين وخاصة في زمن بني حمدان الذين كانوا يجودون بالمال الوفير للشعراء والادباء والعلماء واشهرهم في ذلك سيف الدولة ابو الحسن علي (٣٣٣ - ٣٥٦ هـ) الذي كان قصره ملتقى الادباء ومنتدى العلماء والشعراء كالمتنبي شاعر عصره الفريد والفارابي الفيلسوف والموسيقي البارع والاصفهـاني الذي قدم له كتابه الشـهير فأعطاه جائزة عليه الف دينار واعتذر اليه .

كما جمعت الموصل في عهد هؤلاء نخبة صالحة من كبار الادباء امثال السري الرفاء (- ٣٦٦ هـ) والاخوين الشاعرين المعروفين بالخالديين(٣) والاديب الشاعر

---

(١) منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء ص ٤٠

(٢) تاريخ الشعوب الاسلامية ٣ / ٨٩

(٣) هما ابو بكر محمد بن هاشم بن وعلة بن عرام بن يزيد واخوه ابو عثمان سعيدبن هاشم من بني عبد القيس . وهما من سكان الخالدية وهي قرية من اعمال الموصل « معجم البدان - الخالدية ، معجم الادباء ٢٣٧/٤ ، يتيمة الدهر ٤٧٤/١ عن مقالة الدكتور محمد اسعد طلس مجلد ٣١ ج ٢٩٣/٢ .

العالم المصنف الطبيب ابو الفتح كشاجم(١) محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك الرملي الموصلي وكان من كبار ائمة الادب والشعر والفلك والتصنيف وذكر عنه انه كان من اعاجيب الدنيا في سعة اطلاعه وكثرة فضله وتعداد نواحي علمه. والشاعر ابو الفرج عبد الواحد بن نصر المخزومي النصيبي المشهور بالببغاء (المتوفى سنة ٣٩٨)، والامام الفقيه المحدث العالم أبو يعلى احمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي وهو صاحب المسند المعروف به، والجغرافي البلداني الاشهر ابو القاسم محمد بن علي ابن حوقل الموصلي البغدادي وكان من العلماء الرحالين البارعين في علم تخطيط البلدان واصول التجارة، والطبيب الفيلسوف الفقيه ابو جعفر احمد بن ابي الاشعث (المتوفى سنة ٣٦٥)، والاديب الفقيه المقرئ محمد بن الحسن بن زياد النقاش، والشاعر الاديب الفحل ابو الحسن السلامي واضرابهم (٢).

هذا اضافة الى المؤسسات العلمية وخزائن الكتب التي انشئت فيها كما انشئت في غيرها من البلدان(٣) كما ذكرنا.

في هذا العصر وفي هذا البلد ولد صاحبنا ابو الفتح بن جني ونشأ.

اسمه ونسبه

هو أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي ولا يذكر المترجمون له نسباً من وراء هذا، وكان ابوه «جِنّي» مملوكا رومياً لسليمان بن فهد بن احمد الأزدي الموصلي(٤) وقال ابوبكر المصحفي: «قال لي ابو الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني - رحمه الله - جِنّي -

---

(١) لقب انتزعه لنفسه من الاحرف الخمسة الاولى من كلمات (كاتب، شاعر اديب، جواد، مصنف) وربما اضيف اليها كلمة طبيب. «شذرات الذهب ٨٣/٣، مقالة الدكتور محمد اسعد طلس مجلد ٣١ ج ٢ / ٢٩٦

(٢) مقالة الدكتور محمد اسعد طلس مجلد ٣١ ج ٢ / ٢٩٢ - ٣٠١

(٣) الحضارة الاسلامية - لمتز ٢٤٨

(٤) نزهة الالباء ص٢٢٨، المنتظم ٢٢٠/٧

والد عثمان - رجل تركي جندي شتيم الوجه وحشي الصورة لاعلم عنـده ولأفهم وانجب بابنه عثمان وكان عثمان اشقر اعور في صورته بعض التركية » . (١)

و«جني» بكسر الجيم وتشديد النون وكسرها(٢) وسكون الياء(٣) علم رومى وهو معرب كني(٤) او معرب جنايس(٥) وجني تكتب بالحروف اللاتينية ممثلة للفظ اليوناني (Gennaius) ومعناها كريم ، نبيل ، جيـد التفكير ، عبقري ، مخلص(٦) وذكر ابن السمعاني في (الأنساب) فقال : «وحكى لي اسماعيل بن المؤمل النحوي ان ابا الفتح كان يذكر ان اباه كان فاضلا بالرومية»(٧) وظاهر انه يترجم لفظ «جني» وهو ينطبق على ماذكره الأستاذ النجار .

وذكر ابن جني روميته في شعره قائلا(٨)

فان اصبح بلا نسب ... فعلمي في الورى نسبي

على أني أؤول الى ... قروم ســادة نجب

قيـاصرة اذا نطقوا ... ارم الدهر ذو الخطب

ألاك دعا النبي لهم ... كفى شـرفا دعاء نبي

مشيرا بالبيت الاخير الى ماروى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما جاءه جواب

---

(١) فهرست ابي بكر بن خير ص ٣١٨

(٢) الأنساب - لابن السمعاني ١٣٩آ

(٣) بغية الوعاة ص٣٢٢

(٤) بغية الوعاة ص٣٢٢

(٥) مجلة المقتطف مجلد ١١١ ج١٥٣/٣

(٦) مقدمة الخصائص - لمحمد على النجار ص ٢

(٧) الأنساب ١٣٩ آ

(٨) نزهة الالباء ص٢٢٨ ، انباه الرواة ، ٣٣٦/٢

كسرى قال مزق الله ملكه ولما جاءه جواب هرقل قال ثبت الله ملكه .(١)

نشأته وسماته :

نحن نعلم ان ولادة ابي الفتح كانت في الموصل قبل الثلاثين والثلثمائة للهجرة(٢) وان اباه كان مولى رومياً يونانياً لسليمان بن فهد بن احمد الأزدي الموصلي ولانعلم عن والده كثيرا ،فلا نعلم اين كان قبل ذلك ولامتى جاء ولااين ولد ؟والذي نعلمه ان «جني» - والد عثمان - كان رجلا شتيم الوجه وحشي الصورة(٣) وان ابنه عثمان نشأ في الموصل وتربى فيها ودرس على شيوخها حتى اتصل بشيخه ابي علي الفارسي ثم استوطن مدينة السلام .

ولاندري عن سمات ابي الفتح كثيرا(٤) ولا عن صفاته الخلقية مانستطيع به ان نرسم صورته واضحة .

غير اننا علمنا انه كان «اشقر اعور في صورته بعض التركية»(٥) ولعلها الرومية . وذكر عنه انه قال شعرا عاتبا على صديق له يذكر فيه انه كان ممتعا باحدى عينيه وهو(٦) .

من المتقارب :

---

(١) فتح الباري - المطبعة الخيرية ج١/٣٤ . ومن الملاحظ ان ابن حجر يرويها بلا ذكر للسند كما انه لم يعقب عليها . وقد جاء في صحيح البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هلك كسرى ثم لايكون كسرى بعده وقيصر ليهلكن ثم لايكون قيصر بعده ولتقسمن كنوزهما في سبيل الله . (التجريد الصريح ج٢/٢٤) واذا صح الاول فالجمع بينهما ان الاول ربما كان دعاء لقيصر في حياته ان يثبت الله ملكه .

(٢) سنبين ذاك فيما بعد .

(٣) فهرسة ابن خير ص ٣١٨

(٤) مقدمة الخصائص ص ١١

(٥) فهرسة ابن خير ص ٣١٨

(٦) نزهة الالباء ص ٢٢٨

صدودك عني ولاذنب لي | يدل على نيـة فاسـده
وقد وحياتك ممـا بكيت | خشيت على عيني الواحده
ولولا مخافة ان لا اراك | لما كان في تركهـا فائده

وانما قال « خشيت على عيني الواحدة ، لانه كان اعور(١) وقيل ان هذه الابيات لغيره وكان قائلها اعور(٢) واياً كان الامر فان عوره ثابت بغض النظر عن ثبوت هذه الابيات له او لغيره ، اذ ليس هذا الشعر هو المصدر الوحيد لذكر عوره(٣) وقد نبزه بشر بن هرون بالعور حيث يقول :

العر والعار فيك تما | والعور التام والعـوار

طوف ابن جني في البلاد فذهب الى الشام(٤) وحلب(٥)وواسط(٦) وذكر دار الملك(٧) ولعله يقصد دار الملك في شيراز أو دار المملكة للبويهيين فى شرقي بغداد واتصل بسيف الدولة في حلب وتوثقت علاقته بالمتنبي هناك(٨) وخدم ابو الفتح من البيت البويهي عضد الدولة وولده صمصام الدولة وولده شرف الدولة وولده بهاء الدولة وفي زمانه مات .

وكان يلازمهم في دورهم وبيابتهم .(٩)

---

(١) نزهة الالباءص ٢٢٨
(٢) البداية والنهاية ١١ / ٣٣١ ويذكر ابن خلكان قبل انها لابي منصور الديلمي
(٣) مقدمة الخصائص ص ١١
(٤) الخصائص ١ / ١٢١
(٥) الخصائص ٢ / ٨٨ و ٣ / ٦٢
(٦) انباه الرواة ٢ / ٣٤٠
(٧) الخصائص ٣ / ٢٧٠
(٨) ياقوت ١٢ / ٨٩
(٩) انباه الرواة ٢ / ٣٤٠

وكان لابن جني من الولد علي وعال وعلاء وكلهم ادباء فضلاء قد خرجهم والدهم وحسن خطوطهم فهم معدودون في الصحيحي الضبط وحسني الخط (١)

وتكاد تجمع الروايات على ان وفاته كانت ببغداد في يوم الجمعة لليلتين بقيتا من صفر سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة في خلافة القادر. (٢) وذكر ابن الاثير في الكامل انه توفي سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة قال: « ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة . . . وفيها توفي عثمان بن جني النحوي(٣) ». ورثاه الشريف الرضي بمرثية مطلعها(٤):

الا يالقومي للخطوب الطوارق | وللعظم يرمى كل يوم بعارق

ومنها:

لتبك ابا الفتح العيون بدمعها | والسننا من بعدها بالمناطق

. . .

شقيقي اذا التاث الشقيق واعرضت | خلائق قومي جانباً عن خلائقي
كأن جناني يوم وافى نعيه | فري اديم بين ايدي الخوالق

. . .

ومن للمعاني في الاكمة القيت | الى باقر غيب المعاني وفاتق
مضى طيب الاردان يأرج ذكره | اريج الصبا تندى بعرنين ناشق

. . .

وما احتاج برداً غير برد عفافه | ولا عَرْف طيب غير تلك الخلائق

. . .

---

(١) معجم الادباء ١٢ / ٩١ ، الانساب ١٣٩ آ

(٢) نزهة الالباء ص ٢٣٠ ، انباه الرواة ٢ / ٣٣٦ ، المنتظم ٧ / ٢٢٠ ، مرآة الجنان ٢ / ٤٤٥ ، النجوم الزاهرة ٤ / ٢٠٥ وغيرها

(٣) الكامل ٧ / ٢١٥ - ٢١٩

(٤) ديوان الشريف الرضي - المجلد الثاني ص ٦٣

تروّق ماء الود بيني وبينه   وطاح القذى عن سلسل الطعم رائق

وقال فيه اخرى مطلعها(١) :

أراقب من طيف الحبيب وصالا   ويأبى خيال أن يزور خيالا

ودفن بالشونيزي الذي هو من جملة مقابر بغداد عند قبر استاذه الشيخ ابي علي الفارسي (٢) وهي مقبرة الشيخ جنيد الحالية وتعرف بالشونيزية ايضاً واكثر مدفونيها متصوفون .

أخلاقه وسيرته :

كان ابن جني رجل جد وأمرأ صدق في قوله وفعله فلم يؤثر عنه ما أثر عن أمثاله من رجال الأدب في عصره من اللهو والشرب والمجون ، وكان عفّ اللسان والقلم يتجنب الالفاظ المندية للجبين(٣) . عرف ابن جني بطيب الاخلاق والعفة والاخلاص وقد ذكر ذلك الشريف الرضي في رثائه له(٤) . ومما قال فيه وقد نقلناه آنفاً :-

مضى طيب الاردان يأرج ذكره   اريج الصبّا تندى لعرنين ناشق

وما احتاج بردا غير برد عفافه   ولا عرف طيب غير تلك الخلاق

ولا إخال الشريف إلا صادقاً في قوله في وصف خلقه أو وصف صورة مقاربة في الاقل . جاء في (معجم الادباء) « ان أبا الحسين القمي حفيد أبي اسحاق القمي صاحب ديوان صمصام الدولة لقي ابن جني مرة في الديوان فجعل يتحدث تارة مع أبي الحسين وتارة مع جده أبي اسحاق وكان لابن جني عادة في حديثه بأن

---

(١) ديوان الشريف الرضى المجلد الثاني ص١٦٦

(٢) روضات الجنات ص٤٤٦

(٣) مقدمة الخصائص ص١٤

(٤) مجلة المجمع العلمي العربي ـ محمد أسعد طلس مجلد ٣٠ ج٤/٦٠٨

يميل شفته ويشير بيده فبقي أبو الحسين شاخصاً ببصره يتعجب منه . فقال له ابن جني « ما لك يا أبا الحسين تحدق النظر اليّ وتكثر التعجب مني ؟ قال : شيء طريف . قال : ما هو ؟ قال : شبهت مولاي الشيخ وهو يتحدث ويقول ببوزه كذا وبيده كذا بقرد رأيته اليوم عند صعودي الى دار المملكة وهو على شاطىء دجلة يفعل مثل ما يفعل الشيخ .

فامتعض أبو الفتح وقال « ما هذا القول يا أبا الحسين أعزك الله ومتى رأيتني أمزح فتمزح معي أو أمجن فتمجن بي ؟ فلما رآه أبو الحسين قد حرد واستشاط وغضب قال : المعذرة أيها الشيخ اليك والى الله تعالى عن أن أشبهك بالقرد وانما شبهت القرد بك . فضحك أبو الفتح وقال ما أحسن : ما اعتذرت . وعلم أبو الفتح انها نادرة تشيع فكان يتحدث بها هو دائما »(١) .

وهذه النادرة التي يرويها ياقوت تصور لنا جديته في أموره وبعده عن المجون . ومن خلال ابن جني البارزة الامانة والوفاء فقد كان أميناً في التحديث عن شيوخه دقيقاً في النقل عنهم فهو يذكر الابواب والفصول التي قرأها على شيخه أبي علي أو على غيره ، وأحياناً يذكر الامكنة التي قرأ فيها ويذكر انه نسي اللفظ الذي سمعه وانه ينقل المعنى - كما سنرى ذلك في غير هذا الموضع - .

وكان وفياً لشيوخه ولاسيما أبي علي فهو يذكره بالاعجاب والثناء الحسن والترحم عليه والترضي عنه ، وكان متسما بأخلاق العلماء في البحث لايستكبر أن يسأل شيخه أو أن يكتب له يسأله فقد كتب له يسأله عن مسألة من الموصل الى حلب كما جاء في (الخصائص) :-

« وقد كان أبو علي رحمه الله كتب اليّ من حلب وأنا بالموصل مسألة أطالها في هذه اللفظة (يعني أوّتاه اسم أتألم) جواباً على سؤالي اياه عنها» (٢) .

---

(١) معجم الادباء ٥/١٦-١٧

(٢) الخصائص ٣/٣٨

الباب الثاني

ثقافته وآثاره

اذا تصفحت كتب ابن جني فلا شك في انك ستلقى رجلا عميق الثقافة، واسع الاطلاع غزير العلم، جم المعرفة. كتب في النحو والتصريف ودرس الاصوات والحروف دراسة عميقة متقنة والف كتباً أبرّ بها على المتقدمين واعجز المتأخرين ولم يتكلم احد في التصريف ادق كلاماً منه(١) لقي رجالا كثيرين اخذ عنهم وقرأ عليهم فقد ذكر ابن ماكولا انه سمع جماعه من المواصلة والبغداديين(٢) وذكر ابن جني انه اخذ عن شيوخ كثيرين فقد ذكر في اجازته لأبي عبدالله الحسين بن احمدبن نصر انه سمع شيوخاً وقرأ عليهم بالعراق والموصل والشام وغير هـذه البلاد التي أتاها واقام بها.(٣)

وذكر في كتبه رجالا كثيرين استفاد منهم وقرأ عليهم فقد ذكر انه قرأ على:-

ابي بكر محمد بن الحسن بن يعقوب المعروف ابن مقسم أحد القراء ببغداد، كان عالماً باللغة والشعر وسمع من ثعلب(٤) وكان من احفظ الناس لنحو الكوفيين ولد سنة خمسين ومائتين وتوفي في سنة اربع وخمسين وثلثمائة(٥) وقيل سنة اثنتين وستين وثلثمائة(٦). وقد تردد اسم ابن مقسم مرارا في كتب ابن جني كسر الصناعة والمبهج والخصائص وكان يأخذ عنه عن احمد بن يحي ثعلب، فهو يذكر أحياناً انه اخبره عنه كأن يقول «اخبرنا محمد بن الحسن عن احمد بن يحي(٧) ...» ويذكر

---

(١) ياقوت ١٢/٨١ (٢) الانساب ١٣٩آ

(٣) ياقوت ١٢/١١١ (٤) الفهرست ص٥٥

(٥) تاريخ بغداد ٢/٢٠٦ (٦) الفهرست ص٥٥

(٧) سر الصناعة ١/١٥٢، المبهج ص٤٧ والخصائص ١/٦٨ وغير ذلك

احياناً انه قرأ عليه من أحمد بن يحي كأن يقول « قرأت على محمد بن الحسن عن ابي العباس احمد بن يحي(١) .. » وربما روى عنه مالم يرو عن شيخه ابي علي(٢) .

وذكر انه قرأ على :-

ابي الفرج الاصفهاني وهو علي بن الحسين بن الهيثم القرشي من ولد هشام بن عبدالملك وكان شاعرا مصنفاً اديباً . توفي سنة نيف وستين وثلثمائة وله من الكتب كتاب الأغاني الكبير نحو خمسة آلاف ورقة و كتاب مقاتل الطالبين(٣) فقد جاء في (سر الصناعة) مانصه(٤) قرأت على ابي الفرج علي بن الحسين عن ابي عبدالله محمد بن العباس اليزيدي ويذكر احياناً انه حدثه(٥) فلا يذكر القراءة .

وذكر من شيوخه أحمد بن محمد ابو العباس الموصلي النحوي ويعرف بالاخفش.

قال ابن النجار كان اماماً في النحو فقيها فاضلا عارفاً بمذهب الشافعي قرأ عليه ابن جني واقام ببغداد وكانت له حلقة بجامع المنصور قريب من حلقة ابي حامد الأسفرايني وله كتاب في تعليل القراءات السبع(٦) ويبدو انه اخذ عنه النحو في الموصل(٧) .

كما استفاد من ابي سهل القطان احمد بن محمد بن عبدالله بن زياد كان صادقاً اديباً شاعراً راوية للادب عن ابوي العباس ثعلب والمبرد وأبي سعيد السكرى ،

---

(١) سر الصناعة ١/١٧٢ ، ١/١٧٧ ، ١/١٧٨ ، ١٨٥ ، ٢١٦ ، ٢٣٤ ، المبهج ٢٨، ٦٧ وغير ذلك

(٢) سر الصناعة ١/١٧٨

(٣) الفهرست ٢-١٧٣ ,١٧ وتاريخ بغداد ١١/٣٩٨

(٤) سر الصناعة ١/٥٤ ، ١/٨٤ ، ١/٢١٣

(٥) المبهج ص٦٦

(٦) بغية الوعاة ص١٧٠

(٧) مقدمة كتاب الخصائص ص١٠

توفي سنة خمسين وثلثمائة(١) وقد ذكره ابن جني في المبهج(٢) .

وذكر آخرين استفاد منهم عن طريق القـراءة والتحديث كأبي اسحاق ابراهيم بن احمد القرميسيني(٣) وابي صالح السليل بن احمد بن عيسى الشيخ(٤) وابي الحسن علي بن عمرو(٥) ومحمد ابن محمد(٦) وأبي بكر جعفر بن محمد بن الحجاج(٧) ومحمد بن سلمة(٨) وابي بكر محمد بن علي المراغي(٩) النحوي وكان شرح شـواهد كتاب سيبويه(١٠) وابي بكر محمد بن علي (١١) ولعل المقصود به مبرمان شـارح الكتاب كما ظن الاستاذ النجار(١٢) ابي محمد بن علي بن اسماعيل ابو بكر العسكري أخذ عن المبرد والزجاج واخذ عنه الفارسي والسيرافي وتوفي سنة ٣٤٥(١٣) او هو ابو بكر محمد بن علي بن القاسم الذهبي الذي ذكره ابن جني فيما بعد(١٤) .

---

(١) تاريخ بغداد ٥/٤٥ ، المنتظم ٧/٣

(٢) المبهج ص٢٦

(٣) الخصائص ١/٧٥

(٤) الخصائص ١/٣٦٠ ، ٣٨٧ ، ٣/٢٨٣ ، ٣/٢٩٨

(٥) الخصائص ١/٨٠

«٦» المبهج ص٢٠

(٧) الخصائص ٣/٣٠٥ ، ١/٣٨٦

«٨» الخصائص ١/٣١٥

«٩» الخصائص ٣/٢٩٩

(١٠) معجم الادباء ١٨/٢٦٣

(١١) الخصائص ٢/٢٥٥

(١٢) حاشية الخصائص ٢/٢٥٥

(١٣) بغية الوعاة ص ٧٤

(١٤) الخصائص ٣/٢٩٩

وذكر الدكتور محمد أسعد طلس من الذين قرأ عليهم ابن دريد أبا بكر محمد بن الحسن(١) وهو وهم منه فان ابن دريد توفي سنة احدى وعشرين وثلثمائة(٢) مع ان ابن جني ولد بعدها وقد ذكر هو نفسه قال « ونحن نعرف ان ابن جني قد ولد حول الثلاثين والثلثمائة »(٣) .

ومن العرب الفصحاء الذين أخذ عنهم أبو عبدالله محمد بن العساف العقيلي الجوثي التميمي الشجري(٤) وقد لقيه في الموصل(٥) وأخذ عنه .

ولا ريب ان أعظم استاذ تخرج عليه وأثر فيه هو شيخه أبو علي الفارسي .

أبو علي الفارسي :

هو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبدالغفار الفارسي(٦) الفسوى ، والفسوى نسبة الى فسا(٧) من عمل شيراز(٨) ، امه سدوسية من سدوس شيبان من ربيعة

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي ـ المجلد ٣٠ ص٤٤٧ .

(٢) الفهرست ص ٩٧ ، معجم الادباء ١٨/١٢٧ ، والمنتظم ١٦/٢٦١ وبغية الوعاة ص ٣٠ .

(٣) مجلة المجمع ـ المجلد ٣٠ ص٤٤٩

(٤) الخصائص ١/٧٦ ، ١/٢٥٠ والمبهج ص ٦٧

(٥) ياقوت ١٢/١٠٥ نقلا عن ابن جني

(٦) المنصف ـ لابن جني ١/٦

(٧) وهي بالفتح والقصر كلمة عجمية وعندهم (با) « بالباء وكذا يتلفظون بها وأصلها في كلامهم الشمال من الرياح » مدينة بفارس أنزه مدينة بها فيما قبل ، بينها وبين شيراز أربع مراحل واليها ينسب أبو علي الفارسي النحوي ـ معجم البلدان ٤/٢٦٠

(٨) غاية النهاية ـ لابن الجزري ١/٢٠٦

الفارسي(١) ، وذكر الاستاذ أحمد أمين في (ظهر الاسلام) انه فارسي الاب والام(٢) ثم عاد فصحح هذا الوهم في مقالته (مدرسة القياس في اللغة) فذكر أنه فارسي الاب عربي الام(٣) .

ولد سنة ٢٨٨هـ في أواخر أيام المعتضد وارتحل من بلاده الى بغداد لطلب العلم سنة ٣٠٧هـ وسنه حينئذ تسع عشرة سنة في خلافة المقتدر بالله(٤) .

روى القراءة عرضاً عن أبي بكر بن مجاهد(٥) وأخذ النحو عن جماعة من أعيان أهل هذا الشأن كأبي اسحاق الزجاج وأبي بكر بن السراج وأبي بكر الخياط(٦) . وكان متهما بالاعتزال لكنه صدوق في نفسه(٧) .

طوف كثيراً في بلاد الشام ومضى الى طرابلس فأقام بحلب مدة وخدم سيف الدولة ابن حمدان(٨) وكان قدومه عليه في سنة احدى وأربعين وثلثمائة وجرت بينه وبين أبي الطيب المتنبي مجالس ثم عاد الى بلاد فارس وصحب عضد الدولة ابن بويه(٩) .

كان من اكابر الائمة النحويين وعلت منزلته في النحو حتى فضله كثير من النحويين على ابي العباس المبرد . وقال ابو طالب العبدي « ما كان بين سيبويه

---

(١) معجم الادباء ٢٣٢/٧

(٢) ظهر الاسلام ٩١/٢

(٣) مدرسة القياس في اللغة ـ مجلة مجمع اللغة العربية ج ٣٥٣/٧ طبعت سنة ١٩٥٣

(٤) مقدمة سر الصناعة ص ٢٤

(٥) غاية النهاية ٢٠٦/١

(٦) معجم الادباء ٢٣٢/٧ وغاية النهاية ٢٠٦/١ـ٢٠٧

(٧) لسان الميزان ـ لابن حجر ١٩٥/٢

(٧) ياقوت ٢٣٢/٧

(٩) وفيات الاعيان ٣٦١/١

وابي علي افضل منه(١) ورفع من شأن المذهب البصري »(٢) .

فقد كان اوحد زمانه في علم العـــربية(٣) . وكان عضد الدولة يقول اذا افتخر بالعلم والمعلمين « معلمي في النحو ابو علي الفارسي الفسوي ، ومعلمي في حل الزيج الشـــريف ابن الاعلم ومعلمي في الكواكب الثابتة واماكنها وسيرها ابو الحسين الصوفي(٤) » .

ومن طريف ماروى عنه ان ابا علي لما صنف كتاب « الايضاح » وحمله الى عضد الدولة استقصره عضد الدولة وقال له « مازدت على ماعرف شيئاً وانمـــا يصلح هذا للصبيان فمضى ابو علي وصنف التكملة وحملها اليه فلما وقف عليها عضد الدولة قال « غضب الشيخ وجاء بما لانفهمه نحن ولا هو(٥) .

اخذ عنه جماعة من حذاق النحـــويين كأبي الفتح بن جني وعلي بن عيسى الربعي وابي طالب العبدي وابي الحسين الزعفراني(٦) وروى عنه ابو القاسم التنوخي والجوهري(٧) قال الخطيب البغدادي « حدثنا عنه الازهري والجوهري وابو الحسن محمد بن عبد الواحد وعلي بن محمد بن الحسن المالكي والقاضي ابو القاســم التنوخي »(٨) وروى القراءة عنه عرضاً عبد الملك بن بكر النهرواني(٩)

---

(١) نزهة الالباء ٢١٦ .

(٢) نشأة النحو ـ لمحمد الطنطاوي ص ١٥٦ .

(٣) معجم الادباء ٧ / ٢٣٢ .

(٤) تاريخ الحكماء ـ للقفطي ٢٢٦ ونزهة الالباء ٢١٦ .

(٥) ياقوت ٧ / ٢٣٢ .

(٦) نزهة الالباء ٢١٦ .

(٧) لسان الميزان ٢ / ١٩٥ .

(٨) تاريخ بغداد ٧ / ٢٧٥ .

(٩) معجم الادباء ٧ / ٢٣٢ .

وصنف كتباً حسنة قيل لم يسبق الى مثالها(١) منها كتاب الايضاح في النحو وكتاب الحجة في علل القراءآت السبع وكتاب المقصور والممدود(٢) والتذكرة والمسائل الحلبية والبغدادية والقصرية والبصرية والشيرازية والعسكرية والكرمانية(٣) وغيرها .

توفي ابو علي الفارسي يوم الاحد لسبع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة سبع وسبعين وثلثمائة وذلك في خلافة الطائع لله تعالى(٤) ببغداد ودفن بالشونيزي وهو من جملة مقابر بغداد(٥) واوصى بثلث ماله لنحاة بغداد (ينفق)(٦) عليها فكان ثلاثين الف دينار(٧) .

اتصاله به وأخذه عنه

ذكر ابن الانباري ان سبب صحبة ابن جني ابا علي الفارسي أن ابا علي كان قد سافر الى الموصل فدخل في الجامع فوجد ابا الفتح عثمان بن جني يقرئ النحو وهو شاب وكان بين يديه متعلم وهو يكلمه في قلب الواو الفاً: قام،وقال « فاعترض عليه ابو علي فوجده مقصراً فقال له ابو علي « زببت قبل ان تحصرم . ثم قام ابو علي ولم يعرفه ابن جني وسأل عنه فقيل له « هو ابو علي الفارسي النحوي . فأخذ في طلبه فوجده ينزل الى السميرية يقصد بغداد فنزل معه في الحال ولزمه وصاحبه

(١) انباه الرواة ١ / ٢٧٣ .

(٢) نزهة الالباء ص ٢١٦ .

(٣) بغية الوعاة ٣٢٢ .

(٤) نزهة الالباء ٢١٦ .

(٥) روضات الجنات ٤٤٦ .

(٦) بياض في الاصل .

(٧) غاية النهاية ١ / ٢٠٧ .

من حينئذ الى أن مات ابو علي ...(١) .

ويذكر الخبر ابن خلكان بشكل آخر اذ يقول « قرأ الادب على الشيخ ابي علي الفارسي وقعد للاقراء بالموصل فاجتاز بهشيخه ابو علي فرآه في حلقتهوالناس حوله يشتغلون عليه فقال له « تزببت وأنت حصرم ، فترك حلقته وتبعه ولازمه حتى تمهر(٢) ويذكر الرواة انه صحبه اربعين سنة(٣) .

ويرى الدكتور محمد اسعد طلس ان هذه القصة مصنوعة(٤) لاسباب اولها ان ابن خلكان يذكرها على شكل آخر غير ما يذكرها عليه ابن الانباري وياقوت هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى يذكر ابن جني في كتابه (الخصائص) ان ابا علي أنشده بالموصل سنة احدى واربعين وثلثمائة ونحن نعرف ان ابن جني قد ولد في حدود الثلاثين والثلثمائة فعلى هذا يكون عمر ابن جني في سنة احدى واربعين نحواً من اثني عشرة سنة ، ومايجوز عقل ان انساناً له هذا العمر يرحل في طلب العلم قبل هذه السن من الموصل الى بغداد ثم يعود ويحلق حلقة يعلم فيها النحو .
ومن ناحية ثالثة جرت عادة المترجمين من المتقـدمة ان يختلقوا قصصاً وروايات يعللون بها اسباب انصراف هذا الطالب الى ذاك العلم او هـــذا الشيخ فيخترعون لذلك قصصاً ينسجها خيالهم وانا أرى ان قصة الزبيب والحصرم من هذا النوع ... »

ويقول فؤاد البستاني » - » ويبدو لنا من النظر الى تاريخ مولد ابن جني ثم الى السنة التي توفي فيها ابو علي الفارسي أن ياقوتاً قد اشتط في قوله انه لزمه اربعين

---

(١) نزهة الالباء ٢٢٩ ، ياقوت ٥ / ١٥ .

(٢) وفيات الاعيان ٢ / ٤١٠ ، وهو ماذهب اليــه بطرس البستاني في (دائرة المعارف) مجلد ١ / ٤٣٦ .

(٣) نزهة الالباء ٢٢٩ ، بغية الوعاة ٢٢٢ .

(٤) مجلة المجمع مجلد ٣٠ / ٤٤٩ .

سنة فلعله لزمه ثلاثين سنة او ما يزيد عليها قليلا الا اذا رجعنا بتاريخ مولد ابي الفتح الى سنة ٣٢٠ هـ »(١).

ويقول الاستاذ عبدالله أمين » - « يقول بعض المؤلفين ان ابن جني لازم شيخه ابا علي الفارسي اربعين سنة .وهذا غير معقول لان ابن جني لم يعش الاثنتين وستين سنة قضى منهـا قبل ملازمة شيخه نحو عشرين سنة على الاقل(٢) لان الروايات متضافرة على انه لازمه بعد ان تصدر للتدريس في جامع الموصل ولا يمكن ان يتصدر للتدريس في مسجد جامع قبل سن العشرين ثم لم يعش بعد شيخه الا خمس عشرة سنة .

فان الشيخ مات سنة ٣٧٧ هـ والتلميذ مات سنة ٣٩٢ هـ فيكون قضى من عمره كله نحو خمس وثلاثين سنة قبل معرفته شيخه وبعد افتراقهما بوفاة هذا الشيخ بدون ملازمة له(٣) والباقي من عمره بعـد طرح خمس وثلاثين سنة وهو سبع وعشرون سنة هو الذي يمكن ان يقال انه لازمه فيه »(٤) .

في اصل القصة التي تذكر كيف تم الاتصال بين الشيخ وتلميذه شك اولا وفي المدة التى قضاها معه ثانياً .

اما الشك بالنسبة للنقطة الاولى فانا لا اقول ان القصة ثابتة ولكن الاستاذ محمد اسعد طلس لم يقدم الادلة التي تنفي ثبوتها اذ الاختـلاف في رواية الحادثة لاينفي وقوعها كما هو واضح ، فن المشاهد ان حوادث تقع في ايامنا وعلى قرب منا ثم تختلف الروايات وتتضارب في نقلها وكيفية وقوعها فلا نقول ان الحادثة مصنوعة لا اساس لها .

---

(١) دائرة المعارف - لفؤاد البستاني المجلد الثاني ٤١٥ .

(٢) الفصيح في الاقل .

(٣) الفصيح « من غير ملازمة » .

(٤) مجلة المقتطف مجلد ١١١ ج ٣ / ١٥٩ « ابن جني ابو الفتح عثمان » .

والناحية الاخرى التي استدل بها الدكتور محمد اسعد طلس تتعلق بعمر ابن جني وهو شك صحيح فيما لو ثبت مولده انه في سنة ثلاثين او قبلها بقليل وعين المترجمون تاريخ الحادثة بما يتنافى هو وسنه ، ولكن هذا لم يثبت وسنذكر ذلك.

واما قوله بأن عادة المترجمين جرت ان يختلقوا قصصاً وروايات يعللون بها اسباب انصراف الطالب الى الشيخ ، فما من شك في ان الطالب لاينصرف الى شيخ الا لسبب ، وربما اختلق المترجمون طرفاً من القصص كما ذكر الاستاذ ولكن هذا لايسوغ لنا ان نقول ان ماذكره المترجمون باطل من اساسه ، ولكن الصواب ان نحقق الحادثة وننقد فأن ثبتت والا فانا نقول « انه ليس لنا من الادلة ما يثبت الحادثة كما انه ليس عندنا ماينفيها الا اذا ابان النقد بأدلة كافية انها موضوعة .

اما الشك في المدة التي قضاها مع شيخه فيرجع الى تاريخ مولده والى تثبيت عمره . ذكر ابن النديم وياقوت وغيرهما ان مولده كان قبل سنة ثلاثين وثلثمائة ولم يذكروا وقتاً محدداً له . والذي ارجحه كما رجحه آخرون قبلي ان ولادته كانت في حدود عشرين وثلثمائة او بعدها بقليل وذلك للاسباب التي سأذكرها » .

١ ـ ان المؤرخين لم يتفقوا على سنة مولده ، فبينما نرى طائفة منهم تذكر أن مولده كان قبل سنة ثلاثين وثلثمائة نرى جماعة آخرين يجعلونه قبل هذا التاريخ بكثير . فقد ذكر أبو الفـدا أن مولده سنة اثنتين وثلثمائة(١) . وذكر ابن قاضي شهبة أنه توفي في سن السبعين(٢) أي ان ولادته كانت في حدود سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة .

٢ ـ والقول الارجح في اتصاله بأبي علي الفارسي أنه كان في سنة ٣٣٧هـ وهي السنة التي سار فيها معز الدولة من بغداد الى الموصل قاصداً لناصر الدولة(٣)

---

(١) تاريخ أبي الفداج ٢٩/٤ ـ لعله من غلط الطبع والنسخ .

(٢) انظر مقدمة الخصائص ص ٩ .

(٣) الكامل ٣٢٩/٦ .

وأن اتصاله بشيخه كان في هذا العام(١) . اذ من المعلوم صلة الفارسي بالبويهيين واستصحابهم له إذ لو كان ولد قبيل الثلاثين لكان عمره ثماني سنوات وليس من المعقول أن يتصدر للتدريس أو أن يرحل في طلب العلم في مثل هذه السن . ويذكر الاستاذ محمد النجار أن الروايات تجمع على أن أبا الفتح صحب أبا علي سنة ٣٣٧هـ ولازمه في السفر والحضر . اذن لانجد بدأ أن نرجع بتاريخ ولادته الى ما هو أبعد من هذا التاريخ . ويذكر بعض علماء المشرقيات ان ولادته كانت سنة ٣٢٠هـ(٢).

٣ ـ لزم ابن جني استاذه ـ أبا علي ـ في بغداد وشيراز وقيل أنه رافقه الى حلب فكان معه في قصر سيف الدولة سنة ٣٤١هـ ولقي هناك أبا الطيب المتنبي وجرت بينهما مناظرات لغوية . فان صحت وفادته على أمير حلب في تلك السنة ينبغ أن يكون مولده قبل سنة ثلاثين وثلثمائة بعدة سنوات ، اذ لو جعلناه قريباً من تلك السنة لاضطررنا الى تسليم أن ابن جني قد أصبح عالماً باللغة يناظر أبا الطيب وهو في الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة وهذا لايصح الاطمئنان اليه(٣) .

٤ ـ الاستئناس بما ذكره ابن جني في (الخصائص) عن الصلات بينه وبين شيخه . فقد جاء فيه(٤) .

« وحدثنا أبو علي سنة احدى وأربعين قال » قال أبو سعيد الحسن بن الحسين » « باز » وثلاثة « أبواز » فان كثرت فهي « البيزان » فهذا « فلع » وثلاثة « افلاع » وهي من « الفلعان » .

فنرى أن مستوى الحديث لايتناسب مع غلام في الثانية من عمره ، فلفظ

(١) مقدمة الخصائص ص ٩ .

(٢) المصدر السابق ص ٩ .

(٣) انظر دائرة المعارف لفؤاد البستاني ـ المجلد الثاني ٤١٦ .

(٤) الخصائص ١/٧ .

« التحديث » ، وذكر شيخه مصدر القول ، ومادة الكلام التي قيلت لاتسمح إلا بأن يكون المحدث في غير هذه السن .

وكذلك ما ذكره ابن جني في (الخصائص)(١) .

« وحدثنا أبو علي سنة احدى وأربعين » قال في قول الله جلّ اسمه « فراغ عليهم ضرباً باليمين » ثلاثة أقوال « احـدها باليمين التي هي خلاف للشمال ، والاخر باليمين التي هي القوة ، والثالث باليمين التي هي قوله « وتالله لاكيـدن أصنامكم » .

وما جاء فيه(٢) في تجاور المعاني والاحوال » .

« ومنه أبيات العجاج أنشدناها(٣) سنة احدى وأربعين » :

أما تريني أصـل القعّادا	واتقي أن انهض الا رعادا(٤)
من أن تبدلّت بآدى آدا	لم يك ينآد فأمسى انآدا(٥)
وقصباً حُنّي حتى كادا	يعود بعـد أعظم أعوادا(٦)
فقـد أكون مرة روّادا	اطلع النجـاد فالنجـادا

وما جاء فيه أيضا(٧) « ومما خامت عنه دلالة الاستفهام قول الشـاعر ،

(١) الخصائص ٣/٢٤٩ـ٢٥٠ .

(٢) الخصائص ٢/١٧٤ .

(٣) يعني أبا علي .

(٤) القعاد جمع قاعد ، وقد يكون «القعاد» مصدر مبالغة لقعد كالكذاب مصدر «كذب» «للمبالغة» الا رعاد مفعول اتقي .

(٥) آلاد القوة كالابد واناد (انثنى واعوج (حاشية الخصائص) .

(٦) القصب كل عظم ذي مخ .

(٨) الخصائص ٢/١٨٤ .

انشدناه سنة احدى وأربعين » :

انى جزوا عامراً سيئا بفعلهم أم كيف يجزونني السؤى من الحسن

ولا أجد في صدري حاجة للتعليق في مستوى الابيات والاغراض التي كان يستشهد لها ، وان ذلك لايمكن أن يكون مع شاب صغير في الثانية عشرة من عمره ، ولاشك في أن رجوعنا بتاريخ مولده الى حدود سنة عشرين وثلثمائة هو أكثر موافقة ونسقا .

٥ - ما ذكره المترجمون له انه صحب شيخه أربعين سنة(١) اذ من الراجح أنه اتصل به سنة ٣٣٧هـ - كما مر - ومعلوم أنه توفي سنة سبع وسبعين وثلثمائة فتكون صحبته أربعين سنة . وليس من المعقول أن يتصل به وهو صبي في السابعة أو الثامنة من عمرة فالمناسب أن نرجع بتاريخ ولادته الى وراء بضع سنين في الاقل حتى حتى تتسق المسألة وتتوافق . وعلى هذا ارى ان يؤخذ أمد الصحبة الذي ذكره المؤرخون مع الدلائل الأخرى لتصحيح عمره لا لانكار قصة الاتصال بينه وبين شيخه .

ومن المحتمل أن يكون مولده في سنة ٣٠٢هـ كما ذكر أبو الفدا(٢) الا انني أرجح أن يكون مولده في حدود العشرين وليس لديّ دليل قاطع يؤكد ذلك وانما هو تقدير حسب . فهو الموقف الوسط بين من يقول ان ولادته كانت قبيل الثلاثين، ومن يقول انها كانت في السنة الثانية بعد سنة ثلثمائة اذ الفرق كبير بين التاريخين . كما ان قول الشيخ ابي علي له « زبيت وانت حصرم » قد يشم منه انه كان في السابعة عشرة او الثامنة عشرة من عمره لا في الخامسة والثلاثين . فاحتمال ان يقال مثل هذا

---

(١) نزهة الالباء ص٢٢٩ ، ياقوت ، البغية ٣٢٢ .

(٢) ابو الفدا مؤرخ متأخر وناقل من كامل ابن الأثير غالباً ، فلذلك جاز أن يكون في نقله تغيير أو في نسخ كتابه وهم « م . ج » مات أبو الفدا في سنة ٧٣٢هـ.

القول للشاب هـــو اكبر من احتمال ان يقال للرجل . وهو تقدير وترجيح على كل حال .

وعلى اي كان الأمر فقد صحب التلميذ استاذه وثوثقت العلاقة بينهما فقـــد صحبه الى الشام(١) يدل على ذلك ماجاء في (الخصائص) « قال لي ابو على بالشام » والي حلب (٢) « قال لي ابو علي رحمه الله بحلب سنة ست واربعين ونحن في دار الملك » ، (٣) انشدنيه رحمـــه الله ونحن في دار الملك ولعلها دار ملك البويهيين في شيراز . وذكر الذهبي انه لزم اباعلي الفارسي(٤) وتبعه في اسفاره حتى احكم العربية ولاريب انه كانت فى التلميذ صفات حببته الى شيخه ، وفى الشيخ صفات حببته الى التلميذ دعتهما الى التوافق ودوام الالفة الطويلة فقد كانا معتزليين(٥) ، وكان لأبي علي حاجة الى خدمة تلميذه لتذليل متاعب الحياة وتوفير وقته الثمين للدرس والبحث(٦) وتوافقهما فى الأخلاق والاراء فلم يرو فى تأريخهما شيء عكر صفاء هذه الصحبة(٧) ، ويسر حالة ابي علي واتصاله بالامراء كل ذلك وغيره مما ساعد على ادامة هذا الصحبة(٨) . وكان ابن جني عنده كمخبار يمتحن به تجاربه(٩) وكان ابو علي يعرض عليه قسما من المسائل او يذكر له تعليلا أو يسأله عن تعليل ،

---

(١) الخصائص ١/١٢١

(٢) الخصائص ٢/٨٨ و ٣/٢٦٢ والمنصف ١/٦

(٣) الخصائص ٣/٢٧

(٤) العبر في خبر من غبر للذهبي حوادث ٣٩٢ ج٣/٥٣ ، ابناه الرواة ٢/٣٣٦ .

(٥) المزهر ١/١٠ ، لسان الميزان ٢/١٩٥ ، دائرة المعارف ـ لفؤاد البستاني ٢/٤١٥

(٦) مقدمة سر الصناعة ص٣٣

(٧) مقدمة سر الصناعة ص ٣٣

(٨) ابو علي الفارسي ـ الشلبى ٣٢٨

(٩) مقدمة سر الصناعة

وكان يطلبه اذا غاب ، وابن جني يوافقه ويدعم رأيه ببرهان ، أو يخالفه ويرى رأيا آخر . ولم يكن ابو علي يضيق بهذه المخالفة بل كان ينزل على رأيه احياناً ، وكان متحابين كما يظهر جلياً في كتب ابن جني نفسه(١) ، وابن جني كان يكتب له يسأله اذا لم يكن معه وعز عليه الجواب(٢) .

وقرأ عليه ابن جنى في اثناء اتصاله به كثيراً من الكتب فقد قرأ عليه كتاب سيبويه(٣) وكتاب الهمز لابي زيد(٤) والنوادر له(٥) وكتاب التصريف لابي عثمان المازني(٦) والقلب والابدال ليعقوب(٧) وغير تلك من الكتب .

وكان ابن جني محباً لاستاذه معظماً له دائم النقل عنه شديد الاعجاب به فمما قال فيه « ولله هو وعليه رحمته فما كان اقوى قياسه واشد بهذا العلم اللطيف الشريف نسبه فكأنه انما كان مخلوقاً له .. »(٨) .

وقلت مرة لأبي بكر أحمد بن علي الرازي(٩) - رحمه الله - وقد افضنا في ذكر

---

(١) الخصائص ١ / ١٢٣ ، ١ / ٢٥٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٣٤٠ ، ٣٦٥ ، ٣٨٧ ، ٣٨٩ ، ٣٨٨

(٢) الخصائص ٣ / ٣٨

(٣) سر الصناعة مخطوطة ص ٤٥٥ نقلا عن مجلة المجمع العلمي العربي . مقالة الدكتور محمد اسعد طلس المجلد ٣١ ج ٤ / ٦٦٩

(٤) سر الصناعة ١ / ٨٢

(٥) سر الصناعة ١/٨٦ ، ١/٢٧٨

(٦) سر الصناعة ١/١١١ ، الخصائص ١/٣٥٨ والمنصف ١/٦

(٧) سر الصناعة ١/٢٤٤

(٨) الخصائص ١/٢٧٦-٢٧٧

(٩) شيخ الحنفية ببغداد - حاشية الخصائص ١/٢٠٨

ابي علي ونبل قدره وبناوة محله(١) « أحسب أن أبا علي قد خطر له وانتزع من علل هذا العلم ثلث ماوقع لجميع أصحابنا ، فأصغى ابو بكر اليه ولم يتبشم هذا القول عليه . »(٢) وقد اكثر من ذكره في كتبه فالكتب التى بين ايدينا كثيرا ما نرى فيها اسم أبي علي مشفوعاً بالترحم عليه والترضي عنه والاعجاب به يتردد في مواطن كثيرة فقد تردد اسمه في كتاب (الخصائص) وحده مالايقل عن (٢٢٤) مرة مترحماً عليه في أكثر من (٩٠) موضعا مترضيا عنه مرات عديدة .

أمانته في النقل عنه : ـ

ابن جني أمين فيما ينقل عن استاذه وهو ينسب ماالخذه عنه اليه واذا نسي نص كلامه قال هذا معنى كلامه ، ويستعمل «احسب وأظن احياناً متوخيا التدقيق في النقل » .

١ ـ فهو يقول مثلا في (باب في تعارض السماع والقياس) ، وهو رأي أبي علي رحمه الله وعنه اخذته لفظا ومراجعة وبحثا . (٣)

٢ ـ سمع أبو علي أهل «هيت» ينطقون بفتحة غريبة ،، وأظنه قال لي انني لما بعدت أنسيتها(٤) ،،

٣ ـ وحدثنا أبو علي رحمه الله فيما حكاه وأظنه عن خلف الأحمر(٥) .

---

(١) ارتفاع قدره

(٢) الخصائص ١/٢٠٨

(٣)الخصائص ١/١٢٠

(٤) الخصائص ١/٩٢

(٥) الخصائص ١/ ٢٦٢

٤ ـ (باب في تجاذب المعاني والاعراب) يقول هذا موضع كان ابو علي يعتاده ويلم كثيرا به ويبعث على المراجعة له والطاف النظر فيه(١) .

٥ ـ (باب في نقض الاصول وانشاء اصول غيرها منها) يقول « رأيت أبا علي ـ رحمه الله ـ معتمداً هذا الفصل من العربية دائم التطرق له والفزع فيما يحدث اليه» (٢) .

٦ ـ (باب في التجريد) قال « اعلم أن هذا فصل من فصول العربية طريف حسن ورأيت أبا علي ـ رحمه الله ـ به غرياً معنيا ولم يفرد له باباً لكنه وسمه في بعض الفاظه فاستقريتها منه وأنقت لها »(٣) .

٧ ـ في كلامه على حروف المعجم يقول : « وهذا كله رأي أبي علي وعنه أخذته ، وقد أتيت في هـذا الفصل من الاشتقاق وغيره بما هو معاني قوله وان خالفت لفظه »(٤) .

الى غير ذلك من النصوص الكثيرة . فهو ـ كما نرى ـ أمين جداً في نقله عنه ، وقد كان يلحظ الامانة هو في شيخه والثقة فيما ينقل .

قال في (الخصائص) ، وهذا أبو علي ـ رحمه الله ـ كأنه بعد معنا ولم تبن به الحال عنا كان من تحوّبه وتأنيه وتحرجه كثير التوقف فيما يحكيه دائم الاستظهار لايراد مايرويه فكان تارة يقول « أنشدت لجرير فيما أحسب ، وأخرى « قال لي أبو بكر فيما أظن ، واخرى في غالب ظني كذا وأرى اني قد سمعت كذا »(٥)

---

(١) الخصائص ٣ / ٢٥٥

(٢) الخصائص ٣ / ٢٢٧

(٣) الخصائص ٢ / ٤٧٣

(٤) سر الصناعة ١ / ٤٥

(٥) الخصائص ٣ / ٤١٣

فهو معجب - كما ترى - بأمانة شيخه وتوخيه التدقيق في النقل ولاشك في ان لذلك أثراً كبيراً فيه هو أيضاً .

أثره فيه : -

لقد أثر أبو علي فيه ، في نهج بحثه وطريقة تفكيره وفتح له كثيراً من الابواب يذكرها له تلميذه بأمانة فقد كان وفياً معه الى أبعد الحدود ، ويظهر هذا التأثير في نواح عدة منها : -

١) - القياس : - قال ابن جني « ونحن نعتقد ان اصبنا فسحة أن نشرح كتاب يعقوب ابن السكيت في القلب والابدال فأن معرفة هذه الحال فيه أمثل من معرفة عشرة أمثال لغته وذلك ان مسألة واحدة من القياس انبل وانبه من كتاب لغة عند الناس .

قال لي أبو علي - رحمه الله - بحلب سنة ست واربعين « اخطىء في خمسين مسألة في اللغة ولا أخطىء في واحدة من القياس »(١)

ولا نريد أن نطيل فسيأتي منهجه في القياس فيما بعد .

٢) - التعليل : - يقول « أحسب أن أبا علي قد خطر له وانتزع من علل هذا العلم ثلث ماوقع لجميع اصحابنا »(٢) وانت اذا تصفحت (الخصائص) رأيت ولع ابن جني بالتعليل واغراقه فيه. لاحظ الخصائص ١ / ١٢٠ ، ١ / ١٢٢ ...وسنضرب مثلا في باب آخر .

٣) - في أصول النحو : - واحيلك على كتاب (الخصائص) لترى ذلك فقد تردد أسمه فيه أكثر من مائتي مرة ،لاحظ الخصائص ١ / ١٢٠ ، ١ / ٢٠٦ ، ١ / ٣٢١ ، ٢ / ٤٧٣ وانظر كتاب (ابو علي الفارسي) للدكتور شلبي (٣) .

---

(١) الخصائص ٢ / ٨٨

(٢) الخصائص ١ / ٢٠٨

(٣) ابو علي الفارسي ص ٦٣٧

٤) - في ذكر مبادىء عامة في النحو واللغة ، انظر الخصائص ١ / ١٢١ ، ١ / ٢٠١ وهي تتردد كثيراً في كتبه .

٥) - الاستعانة بعلوم اللغة الاخرى للاستشهاد والتدليل على المسألة كأن يستفيد من العروض في اللغة وغير ذلك .

قال : ، وأخبرني(١) ايضاً قال : سألني سائل قديماً فقال : هل يجوز الخرم في أول اجزاء متفاعلن من الكامل ؟ قال : ولم أكن حينئذ أعرف مذهب العروضيين فيه ، فعدلت به الى طريق الاعراب ، فقلت : لايجوز . فقال : لم لايجوز ؟ فقلت لان التاء بعد الميم قد يدركها السكون في بعض الأحوال فيكره الابتداء بحرف قد يكون في بعض احواله ساكناً في ذلك المثال بعينه كما كرهت العرب الابتداء بالهمزة المخففة لأنها قد قربت من الساكن . أفلا ترى الى تناسب هذا العلم واشتراك أجزائه حتى أنه ليجاب عن بعضه بجواب غيره . (٢)

٦ - في بحوث أخرى : -

آ - الاشتقاق الأكبر - يقول : - هذا موضع لم يسمه أحد من أصحابنا غير أن أبا علي - رحمه الله - كان يستعين به ويخلد اليه . (٣)

ب - الجوار في نحو : - هذا جحر ضب خرب، وتخريجه على حذف المضاف، قال : وعلى نحو من هذا حمل أبو علي رحمه الله .

• كبير أناس في بجاد مزمل •(٤)

---

(١) يعني أبا علي

(٢) سر الصناعة ١/٥٥

(٣) الخصائص ٢/١٣٣

(٤) الخصائص ١/١٩١ - ١٩٢

ج ـ التجريد ـ قال : ـ « اعلم أن هذا فصل من فصول العربية طريف حسن ورأيت أبا علي ـ رحمه الله ـ به غرباً معيناً ولم يفرد له باباً لكنه وسمه في بعض ألفاظه فاستقريتها منه وانقت لها(١) .

د ـ في تلاقي اللغة ـ قال : ـ هذا موضع لم اسمع فيه لاحد شيئاً الا لأبي علي رحمه الله وغير ذلك وغيره (٢) :

لاشبهة في أن القاريء لكتب ابن جني يلمس أثر شيخه أبي علي فيـــه وان أثره فيه أكبر بكثير من أثر شيوخه الآخرين بل لايكاد المترجمون له يذكرون له من شيوخه غير أبي علي .

ولاريب ان للصحبة الطويلة بين التلميذ وأستاذه أثرا ضخما في طبع روح الشيخ في تلميذه ـ طبعة منقحة معدلة ـ وتمكن المحبة بينهما تمكنا عميقاً فبقيت ذكراها تعطر بعد وفاة شيخه في كتبه .

حقاً لقد كان التلميذ وفياً لشيخه متسماً في كل ذلك بأخلاق أجلة العلماء .

مع المتنبي :

ليس من شك في التقاء ابن جني والمتنبي في بلاط سيف الدولة ابن حمـــدان وفي شيراز عند عضد الدولة (٣) . لقد صحب أبو الفتح أبا الطيب دهرا طويلا(٤) وذكره في كتبه مرات مثنياً عليه في حدة خاطره وتوقد ذكائه وشاعريته وصدقه كما كان أبو الطيب المتنبي مجلا له معترفا بفضله . ، وكان المتنبي يقول : ابن جني

---

(١) الخصائص ٤٧٣/٢

(٢) الخصائص ٣٢١/١

(٣) مقدمة الخصائص ٢١

(٤) يتيمة الدهر ١٢٤/١

أعرف بشعري مني(١) ، ويقول : هذا رجل لايعرف قدره كثير من الناس(٢). وكان المتنبي اذا سئل عن شيء من دقائق النحو والتصريف في شعره يقول : سلوا صاحبنا أبا الفتح(٣) . وجاء في (مسالك الأبصار)(٤) « وكان ابو الطيب المتنبي اذا سئل عن معنى قاله أو توجيه اعراب حصل فيه اغراب دل عليه وقال : عليكم بالشيخ الاعور ابن جني فسلوه فانه يقول ما أردت وما لم أرد »

وهذا النص الأخير يدل على تمكن ابن جني وسعة علمه وقابليته في التعليل والتخريج . وسئل المتنبي عن قوله :

• باد هواك صبرت ام لم تصبرا •

فقال « كيف اثبت الألف في (تصبرا) مع وجود « لم » الجازم وكان من حقه أن تقول (لم تصبر) ؟ فقال المتنبي : لو كان ابو الفتح ههنا لاجابك ، يعنيني ، وهذه الالف هي بدل من نون التأكيد الخفيفة كان في الاصل (لم تصبرن) ونون التأكيد الخفيفة اذا وقف الانسان عليها أبدل منها ألفا . (٥) وسئل المتنبي بشيراز عن قوله :

وكان ابنا عدو وكاثراه له ياءى حروف انيسيان

فقال : لو كان صديقنا ابو الفتح حاضرا لفسره (٦) ، قلت وتفسيره ان لفظة « انسان » خمسة أحرف اذا كانت مكبرة فاذا صغر قيل « انيسيان » فزاد عدد حروفه وصغر معناه فيقول للممدوح ان عدوك الذي له ابنان فيكاثرك بهما

---

(١) شذرات الذهب ١٤١/٣

(٢) بغية الوعاة ص٣٢٢

(٣) مقدمة الخصائص ص٢١

(٤) ٣٠٦/٤ من النسخة المصورة في دارالكتب (عن مقدمة الخصائص ص ٢١).

(٥) رفيات الاعيان ج ٢ ص ٤١٢ نقلا عن شرح ديوان المتنبي لابن جني

(٦) معجم الادباء ٨٩/١٢

كانا زائدين في عدده ناقصين من فضله وفخره لانهما ساقطان خسيسان كيأي « انيسيان » تزيدان في عدد الحروف وتنقصان من معناه (١) .

وكما كان ابو الطيب معجباً به فقد كان ابن جني معجباً به ذاكراً له في كتبه مسجلا له حضور ذهنه وحسن معانيه وصدقه فيما يقول . وكثيراً ما يطلق عليه لفظه « شاعرنا » قال في (الخصائص) (في التقديم والتأخير) « ذاكرت المتنبي شاعرنا » نحوا من هذا وطالبته به في شيء من شعره فقال لا ادري ما هو الا ان الشاعر قد قال :

• لسنا كمن حلت أياد دارها •

البيت فعجبت من ذكائه وحضوره مع قوة المطالبة له حتى أورد ما هو في معنى البيت الذي تعقبت عليه من شعره (٢) .

يقول : وحدثني المتنبي شاعرنا وما عرفته الا صادقا (٣) . وانظر الخصائص ١/٢٤، ١/٣٠٢ و ٢/٢٧ .

وفي قراءة ابن جني على المتنبي ديوانه او تلمذته له خلاف ، فقد جاء في (معجم الادباء) : وحدث أبو الحسن الطرائفي قال : « كان ابو الفتح عثمان بن جني - يحضر بمجلس عند المتنبي كثيراً يناظره في شيء من النحو من غير أن يقرأ فيه شيئاً من شعره أنفة واكباراً لنفسه (٤) »

وقال آخرون بل قرأ عليه ديوانه وتتلمذ له ، فقد جاء في (روضات الجنات) وقرأ ديوان المتنبي على صاحبه (٥) .

---

(١) معجم الادباء ١٢/١٠٢

(٢) الخصائص ٢/٤٠٣

(٣) الخصائص ١/٢٣٩

(٤) معجم الادباء ١٢/٨٩ بغية الوعاة ٣٢٢

(٥) وفيات الاعيان ٢/٤١٢ ، روضات الجنات ٤٤٦ ، العبر للذهبي حوادث سنة ٣٩٢

والصواب انه قرأ عليه شعره فقد جاء في (الصبح المنبي) قال ابو الفتح ابن جني : لما قرأت علي أبي الطيب قوله في كافور :

وما طربي اني رأيتك بدعـة لقد كنت أرجو أن اراك فاطرب

قلت له : لم ترد على أن جعلته ابا زنة (كنية القرد) فضحك ابو الطيب فانه بالذم اشبه منه بالمدح (١) ،

وكما يقول هو نفسه في شرح الديوان : كنت قرأت ديوان ابي الطيب عليه فقرأت عليه قوله في كافور :

الا ليت شعري هل أقول قصيدة ولا اشتكي فيهـا ولا أتعتب
وبي ما يذود الشـعر عني اقله ولكن قلبي يا ابنة القـوم قلب

فقلت له : يعز علي كيف يكون هذا الشعر في ممدوح غير سيف الدولة؟ فقال : حذرناه وأنذرناه (٢) .

شرحه لديوانه :-

من المعلوم أن ابن جني شرح ديوان المتنبي شرحاً كبيراً سماه (الصبر)(٣) أو (الفسر)(٤) وقبل (النشر)(٥) وشرحا صغيراً في تفسير معاني هذا الديوان وحجمه مائة ورقة وخمسون ورقة وذكرهمـا ياقوت في الاجازة(٦) . والكتابان

---

(١) دائرة المعارف - لفؤاد البستاني ٢/٤١٥

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي - المجلد ٣٠ حاشية ص ٤٥٣

(٣) انباه الرواة ٢ / ٣٣٦ ، وفيات الاعيان ٢ /٤٤١ ، هدية العارفين - المجلد الاول ٦٥٢

(٤) كشف الظنون ٨١٠

(٥) شذرات الذهب ٣ / ١٤٠

(٦) معجم الادباء ١٢ / ١١٠

موجودان مخطوطان الأول في المتحفة الأسوية بموسكو ورقمه ٢٧٥ وفي المتحفة البريطانية ١٠٤٠ ثاني ، والصغير في القاهرة »(١) . ٢٦٥ (٢) .

وذكر الباخرزي ذاك فقال : « فوربي انه كشف الغطاء عن شعر المتنبي »(٣) وذكر الاستاذ المرحوم طه الراوي انه « قد شرح ديوان المتني شرحا استفاد منه كل شراح الديوان بعد لانه - لعشرته للمتنبي - عرف الظروف والمناسبات التي احاطت شعره »(٤)

وتناول النقاد شرحه فحمل عليه معاصره محمد بن حمد المعروف بابن فُورَّجة حماة شعواء في كتابين هما (الفتح على ابي الفتح) و (التجني على ابن جني) ولم يتورع في ذلك(٥) . وكذلك كتب أبو حيان التوحيدي المتوفى سنة / ٤٠٠ هـ رداً عليه بعنوان الرد على ابن جني في شعر المتنبي)(٦) .

وكذلك الشريف المرتضى علي بن الحسين (٣٥٥ ٤٣٦هـ) نقيب الأشراف العلوي له كتاب تتبع فيه الأبيات التي تكلم عليها ابن جني(٧) وآخر ايضاً هو أبو القاسم عبدالله بن عبد الرحمن الاصفهاني صنف لبهاء الدولة البويهي (٣٧٩-٤٠٣هـ)

---

(١) معجم الادباء ١٢-١١٠

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي المجلد ٣١ ج ٢ / ٣٤٦

(٣) دمية القصر ص ٢٩٧

(٤) تاريخ علوم اللغة العربية ص ١٩٣

(٥) ياقوت ج ٧ / ٤ ١٧٩ ، مقدمة الخصائص ص ٢٢

(٦) ياقوت ٥ / ٣٨١

(٠) ذكر الاستاذ الدكتور عبد الرزاق محي الدين في كتابه (أبو حيان التوحيدي) ص ٢٥٦ هذا الكتاب وقال عنه « لم اعرف له نسخة ولا مأثوراً في نقل »

(٧) ياقوت ٤٥ /٨ت١ ، لسان الميزان ٤/٤ ٢٢٣

تهذيباً لشرح ابن جني الكبير في قالب مصحح مختصر(١) . ومنهم الربعي علي بن عيسى المتوفى سنه ٤٢٠هـ له كتاب التنبيه على خطأ ابن جني في تفسير شعر المتنبي وهو ممن شارك ابن جنى في الاخذ عن أبي علي وملازمته(٢) .

وللشيخ العميد أبي سهل محمد بن الحسن الزوزني استدراك على ابن جني باسم « قشر الفسر » منه نسخة بمكتبة طلعت بدار الكتب مخطوطة سنة ٤٧٥هـ (٣) .

اعتزاله :

من الثابت أن ابن جني كان معتزليا ، تتردد آراؤه في الاعتزال في كتبه وتطبع بحثه احياناً . ومما يدل على اعتزاله : ـ

١ ـ ماجاء في (الخصائص) ، الحمد لله الواحد العدل القديم(٤) ، وفي مكان آخر ، انه أراد به عضد القديم(٥) وفي مكان آخر يقول : وكذلك افعال القديم سبحانه(٥) ، وغير ذلك(٦) .

وتأكيد ان « القدم » من أخص معتقدات المعتزلة . قال صاحب (الملل والنحل) والذي يعم طائفة المعتزلة من الاعتقاد والقول بأن الله تعالى قديم و« القدم » أخص وصف ذاته ونفوا الصفات القديمة أصلا(٧) وقال الجمهور غير المعتزلة انه عالم بعلم وحي بحياة وقادر بقدرة وان هذه الصفات قديمة معه(٨) .

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب ـ لابن حجة الحموي ج٥/٢٨٤ .

(٢) معجم الأدباء ـ ترجمة الربعي

(٣) مقدمة الخصائص ص٢٢

(٤) الخصائص ١/١

(٥) الخصائص ٣/٢٥١

(٦) الخصائص ٢/٤٤٧

(٧) الملل والنحل ـ للشهرستاني ص٤٩

(٨) مفاتيح العلوم ـ للخوارزمى ص٢٧

٢ ـ جاء في (الخصائص) ـ وكذلك افعال القديم سبحانه نحو خلق الله السماء والأرض وما كان مثله ألا ترى أنه عز اسمه لم يكن منه بذلك خلق أفعالنا ولو كان حقيقة لامجازا لكان خالقاً للكفر والعدوان وغيرهما من افعالنا عز وعلا(١) .

وهذا رأي المعتزلة جاء في (مقدمة في أصول التفسير) ، واما عدلهم فن مضمونه ان الله لم يشأ جميع الكائنات بل عندهم ان افعال العباد لم يخلقها الله لاخيرها ولا شرها . (٢)

واتفقوا على ان العبد قادر خالق لافعاله خيرها وشرها . (٣)

وان الله تعالى ليس خالقاً لافعال العباد (٤) .

٣ ـ جاء في الخصائص : ـ فأما قوله سبحانه : وفوق كل ذي علم عليم فحقيقة لامجاز وذلك أنه سبحانه ليس عالماً بعلم فهو اذن العليم فوق ذوي العلوم اجمعين(٥) ويقول ايضاً ، ولسنا نثبت له سبحانه علما لانه عالم بنفسه .(٦)

وهذا رأي المعتزلة ويسمى التوحيد عندهم ، ومضمونه نفي الصفات . . . وانه (سبحانه) لايقوم به علم ولاقدرة ولاحياة ولاسمع(٧) وانما هو عالم بذاته قادر بذاته حي بذاته لابعلم ولاقدرة وحياة .(٨)

٤ ـ المنزلة بين المنزلتين ـ عقد في (الخصائص) باباً (في الحكم يقف بين

---

(١) الخصائص ٢/٤٤٩

(٢) مقدمة في أصول التفسير ـ لابن يتيمة ص٣٧

(٣) الملل والنحل ص٤٩

(٤) اعتقادات لفرق المسلمين والمشركين ـ لفخر الدين الرازي ص٣٨

(٥) الخصائص ٢/٤٤٩

(٦) الخصائص ٢ / ٤٤٩

(٧) مقدمة في اصول التفسير ص ٣٧

(٨) الملل والنحل ص ٤٩ ومفاتيح العلوم ص ٢٧

الحكمين) محاولا تطبيق هذا المبدأ على مسائل نحوية كالكسرة قبل ياء المتكلم في نحو (غلامي) أهي حركة اعراب أم بناء ؟ ومافيه اللام والاضافة نحو (الرجل وغلامك) أهو منصرف أم غير منصرف ؟ وغير ذلك ، وقرر ان هذه منزلة بين المنزلتين (١)

ولاشك أن هذا مبدأ معتزلي . (٢)

٥ - قال في قوله تعالى « يوم يكشف عن ساق » حتى ذهب بعض هؤلاء الجهال في قوله تعالى (يوم يكشف عن ساق) انها ساق ربهم (٣) ويقول ايضا « فأما قول من طغى به جهله وغلبت عليه شقوته حتى قال في قول الله تعالى (يوم يكشف عن ساق انــه اراد به عضو القديم ... فأمر نحمد الله على أن نزهنا عن الالمام بحراه » (٤) .

ولاشك انه يعني اهل السنة اذ جاء في صحيح البخاري -

قوله تعالى يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود . عن أبي سعيد رضي الله عنه قال « - سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى كل من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب يسجد فيعود ظهره طبقا واحداً (٥)

٦ - جاء في (المبهج) :- وقال لي مرة بعض أصحابنا من المتكلمين (٦) وجاء في (الخصائص باب في قوة اللفظ لقوة المعنى) وذاكرت بهذا الموضع بعض أشياخنا من المتكلمين فسر به وحسن في نفسه (٧) . فهو يذكر المتكلمين ويذكر أنهم أصحابه وأشياخه .

---

(١) الخصائص ٣٥٦/٢ وما بعدها

(٢) مقدمة في أصول التفسير ٣٧ ، الملل والنحل ٥٢ ، الفصل في الملل ١١٣/٢

(٣) الخصائص ٢٤٦/٣

(٤) الخصائص ٢٥١/٣

(٥) التجريد الصريح - كتاب تفسير القرآن ج ١١٤/٢

(٦) المبهج ص ٣٥

(٧) الخصائص ٢٦٦/٣

فليس هناك شبهة في أنه معتزلي . قال السيوطي :- ان ابن جني كان معتزلياً كشيخه الفارسي(١) . وقال في (المزهر) عنه :- وكان هو وشيخه أبو علي الفارسي معتزليين(٢) .

هل كان شيعياً ؟

اختلف المترجمون لابن جني أكان شيعياً أم لا ؟ فذهب قوم الى أنه كان شيعياً :-

١ - فقد ورد اسمه في (أعيـان الشيعة) أبو الفتح عثمان بن جني وهو من مشايخ السيد الرضى(٣) .

٢ - وورد ذكر قسم من مؤلفاته في كتاب (الذريعة الى تصانيف الشيعة) « الخصايص » ويقال له (خصايص العربية ، في فلسفة هـذه اللغة وهو في النحو لابي الفتح عثمان بن جني النحوي(٤) .

٣ - الصلاة على (علي) :- ومنه قول علي صلوات الله عليه الى الله أشكو عجري وبجري (٥) وقد كان هذا من تقاليد الشيعة ومما يحرصون عليه ، ويذكر المقريزي أن جوهرا القائد بعد ان تم له فتح مصر لسيد المعز أمر بالجهر بالصلاة على علي ابن أبي طالب والحسن والحسين وفاطمة الزهراء . (٦)

٤ - التسـليم على علي :- ومن كلام ابن عباس في صفة أمير المؤمنين عليهما

---

(١) الاشباه والنظائر ٣٣٨/١

(٢) المزهر ١٠/١

(٣) أعيان الشيعة ج٢٠٩/٣٩

(٤) الذريعة الى تصانيف الشيعة ج ١٦٣/٧

(٥) الخصائص ١٣٥/٢

(٦) مقدمة الخصائص ص٣٧ ، الخطط المقريزية ١٥٦/٤

السلام(١) وهو من عادات الشيعة في الغالب .

٥ ـ الصلاة على الحسن : ـ قال الحسن صلوات الله عليه لرجل سـأله عن صائم قاء . . . (٢)

٦ ـ ونراه في خطبة « الخصائص » يقول : ـ وصلى الله على صفوته محمد وآله المنتجبين عليه وعليهم السلام أجمعين . ونراه يغفل ذكر الصحابة رضوان الله عليهم في هذا المقام وكان هذا من شعار الشيعة[٠] ونراه ايضاً في هذا المقام لايدخل (على) على الآل وهذا مما يلتزمه الشيعة . وفي حاشية عصمت على الجامي ص٧ ، منع الشيعة ادخال (على) على (الآل) عند التصلية على النبي وآله . (٣)

٧ ـ نزوله في دار الشريف أبي علي الجواني نقيب العلويين في واسط(٤) .

٨ ـ علاقته الوثيقة بالشريف الرضى نقيب العلويين اذ هو من مشايخه ـ كما مر ـ ورثاه الشريف بقصيدة ، ويهتم ابن جني بقصائد الشريف الرضى فيؤلف كتاباً خاصاً بها سماه « تفسير العلويات(٥) وعلاقته بالسيد المرتضى » .

وهو مما يستأنس به على أنه شيعي . وليس دليلا قاطعا فقد رثى الشريف ابا اسحاق الصابي فهل كان الصابي شيعيا ؟

٩ ـ ويرى أحد تلاميذ ابن جني علي بن أبي طالب في المنام يأمر ابن جني

---

(١) التمام ١٢٤

(٢) المقتضب ص٢٣

(٣) مقدمة الخصائص ص٣٧

(٠) راجع اخبار العباسيين المتأخرين وكتاباتهم فانهم كانوا يغفلون ذكر الصحابة

(٤) انباه الرواة ٣٤٠/٢

(٥) أبو علي الفارسي ٨٣

باتمام كتاب المحتسب ويثبت هذه الرؤيا ابن جني بخطه على ظهر نسخة كتاب المحتسب(١)(ه) .

١٠ ـ علاقته الوثيقة بعضد الدولة و عضد الدولة شيعي من قوم شيعيين(٢) وكان البويهيون حراصاً على اظهار شعائر الشيعة .(٣)

ومن ذلك انه في سنة ٣٥٢ في يوم عاشوراء الزم معز الدولة أهل بغداد بالنوح واقامة المآتم على الحسين رضى الله عنه وأمر باغلاق الأسواق وعلقت عليها المسوح(٤) .

١١ ـ قصة الزبزب وهي : ـ ان علي بن عيسى الربعي كان على شاطيء دجلة في يوم شديد الحر فاجتاز عليه الشريف المرتضى ومعه ابن جني وعليهما مظلة تظلها من الشمس . فهتف الربعي بالمرتضى وقال له : ماأحسن هذا التشيع ! علي تتقلى كبده في الشمس من شدة الحر وعثمان عندك في الظل لئلا تصيبه الشمس . فقال المرتضى للملاح جد واسرع قبل أن يسبنا .(٥) وجاء في معجم الادباء أن ذلك كان مع الشريفين الرضى والمرتضى وأنه قال لهما : من أعجب أحوال الشريفين ان يكون عثمان جالساً معهما في الزبزب ـ وهو السفينة ـ وعلي على الشط بعيداعنهما.

فبينما يفهم مقدمو (سر الصناعة) من هــذه القصة ان الربعي (به لوثة وجسارة وبدوات لاتؤمن وأنــه كان شيعياً وان ابن جني لم يكن شيعياً(٦) يفهم

(١) معجم الادباء ١٢ / ١١٤ ، ابو علي الفارسي ص ٨٣

(ه) كثير من أهل السنة رأوا علياً في المنام وآمنوا بهذه الرؤى

(٢) ابن الاثير ٦ / ١٤٦

(٣) مقدمة الخصائص ص ٣٨

(٤) الكامل سنة ٣٥٢ ج ٧ / ٧ ، المنتظم سنة ٣٥٢ ج ٧ / ١٥

(٥) نزهة الالباء ـ ترجمة الربعي

(٦) مقدمة سر الصناعة ٤١ ـ ٤٢

الدكتور الشابي العكس فيقول - « وانت ترى ان القصة لاتنتهي بنا الى هذه النتيجة التي انتهى السادة الاساتذة اليها بل هي دليل على ثبوت التشيع عند ابن جني »(١)

١٢) - اعتزاليته - والعلاقة بين التشيع والاعتزال وثيقة يقول متز - أما من حيث العقيدة والمذهب فان الشيعة هم ورثة المعتزلة ... (و) ان عضد الدولة وهو من الامراء المتشيعين يعمل على حسب مذهب المعتزلة (المقدسي ٤٣٩) ويصرح المقدسي بأن الفاطميين يوافقون المعتزلة في أكثر الاصول (المقدسي ٢٣٨) ونجد الشيعة الزيدية يرتقون بسند مذهب المعتزلة حتى ينتهي الى علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ويقولون ان واصلا أخذ عن محمد بن علي بن أبي طالب وأن محمداً أخذ عن أبيه (منية الامل لاحمد بن يحيى المرتضى ١٣١٦ هـ ص ٥) والزيدية يوافقون المعتزلة في اصولهم كلها الا في مسألة الامامة . (خطط المقريزي ٢ / ٣٥٢)(٢)

« أما علاقة الشيعة بالمعتزلة فيقول كولد تسيهر ان الصلة بينهم أمر لاسبيل الى الشك فيه ... ومن الشيعة فرع الزيدية وهم اكثر من غيرهم ميلا الى مذهب المعتزلة »(٣)

وهناك آخرون يرون أن ابن جني لم يكن شيعياً وانما كان يصانع الشيعة لان بيدهم السلطان ، فالاستاذ محمد النجار يقول في مقدمة الخصائص « ولم يعرف عن ابن جني انه كان شيعياً ولكن يبدو من أمره أنـــه كان يصانع الشيعة ويحطب في حبلهم ويأخذ أخذهم »(٤) وكذلك قال محققو سر الصناعة(٥) .

وأرى ان الرأي الثاني هو الصواب ، ان ابن جني لم يكن شيعياً وانمـــا كان يصانعهم وذلك لما يلي -

---

(١) أبو علي الفارسي ٨٧

(٢) الحضارة الاسلامية - آدم متز ٨٠ - ٨١

(٣) الحضارة الاسلامية - لتز ص ٩٧

(٤) مقدمة الخصائص

(٥) مقدمة سر الصناعة ص ٣٤ ، ص ٤١ - ٤٢

١ ـ الترضي عن عمر « جاء في (المنصف) « ومنه قول عمر رضي الله عنه ، اخشوشنوا وتمعددوا »(١) وجاء فيه « وقرأ عمر بن الخطاب رحمة الله عليه ورضوانه « الله لا اله الا هو الحي القيام »(٢) ونحوه في اماكن اخرى .

٢ ـ الصلاة على الصحابة مع النبي . جاء في (المقتضب) ـ والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وصحبه وسلم تسليما »(٣) وفي (التصريف الملوكي) « وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . »(٤)

٣ ـ الفصل بين الصلاة على الرسول وآله بـ « على » وان ورد في اماكن اخرى بغير فصل كما قال الاستاذ الشلبي ، وهو من شعائر الشيعة ـ كما مر ـ جاء في (التصريف الملوكي) « وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم »(٥)

٤ ـ الترضي عن علي ـ جاء في (الخصائص) أولا يعلم أن أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه هو البادئه والمنبه عليه (٦) ـ يعني النحو ـ وشعار الشيعة التسليم عليه .

٥ ـ الترضي عن الحسن والترحم عليه ـ جاء في (الخصائص) ـ

« ومنه قراءة الحسن رضي الله عنه (صادِ والقرآن)(٧) وجاء فيه ايضاً « وقد حكي عن الحسن رحمه الله انه كان يقول « آمين اسم من اسماء الله عز وجل »(٨)

---

(١) المنصف ١ / ١٢٩

(٢) المنصف ٢ / ١٨ ، ٣ / ٦٣

(٣) المقتضب ٣٥

(٤) التصريف الملوكي ص ٢

(٥) المصدر السابق

(٦) الخصائص ٣ / ٢٠٩ ـ ٢١٠

(٧) الخصائص ٢ / ١٣٠

(٨) الخصائص ٣ / ١٢٣

وهو هنا يعني الحسن البصري وعلى أي حال فهو دليل على عدم شيعيته فان كان يعني الحسن بن علي فشعار الشيعة هو السلام عليه وان كان الحسن البصري فهو واضح .

وجاء فيه ايضاً : ـ فأما الحكاية عن الحسن رضي الله عنه وقد سأله رجل عن مسألة . (١)

٦ ـ امثاله التي يضربها تشعر بذلك ، فهو يقول في (الخصائص) ألا تراك لو قلت : دخلت البصرة فرأيت افضل من ابن سيرين لم يسبق الوهم الا الى الحسن رضي الله عنه (٢) وفي مكان آخر يقول : ـ وذلك نحو قولك فلان يقول بقول أبي حنيفة ويذهب الى قول مالك(٣) .

لقد كان في رجال الشيعة غنى لو كان كذلك .

٧ ـ الترحم على ابي حنيفة ـ جاء في الخصائص : ـ هذا موضع كان ابو حنيفة رحمه الله يراه ويأخذ به (٤) .

٨ ـ الترحم على أصحاب أبي حنيفة ، فقد جاء في (الخصائص) : ـ وقلت مرة لأبي بكر أحمد بن علي الرازي رحمه الله(٥) ، وهو شيخ الحنفية ببغداد . وفي مكان آخر يقول : وكذلك محمد بن الحسن (•) رحمه الله انما ينتزع اصحابنا منها العلل(٦) .

---

(١) الخصائص ٢/٤٦٨

(٢) الخصائص ٣/٢٣٣ ـ ٢٣٤

(٣) الخصائص ١/١٨

(٤) الخصائص ١/٢٠٨

(٥) الخصائص ١/٢٠٨

(•) الامام ابو عبدالله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني صاحب ابي حنيفة رضي الله عنهما ولد بواسط ونشأ بالكوفة ولد سنه ١٣٢ هـ ومات بالري سنة ١٨٩ هـ . تهذيب الأسماء واللغات ـ للنووي ١/١٨٠

(٦) الخصائص ١/١٦٣

(٩) له كتاب (مسألتان من كتاب الايمان لمحمد بن الحسن الشيباني الفقيه الحنفي - فاتيكان ثالث - ملحق ٣٢)(١) . ونكتفي بذلك .

ولذا أرجح ان ابن جني لم يكن شيعياً وانما كان مصانعاً للشيعة .

أكان شعوبياً أم مفضلا للعرب على غيرهم ؟

لقد علمنا أن ابن جني لم يكن عربياً في النسب وان كان عربي المنشأ والثقافة، ولكن كان رومياً يونانياً . وهو يذكر ذلك في أبياته التي نقلناها عنه :-

فان أصبح بلا نسب	فعلمي في الورى نسبي
على أني أؤول الى	قروم سادة نجب
قياصرة اذا نطقوا	أرمّ الدهر ذو الخطب
ألاك دعا النبي لهم	كفى شرفا دعاء نبي

أفكان شعوبياً يبغض العرب والعربية ، أم كان يحبهم ويفضلهم ؟

نستطيع أن ننظر الى هذا الامر من ناحيتين :-

أ - موقفه من العرب .

ب - موقفه من العربية .

أ - أما موقفه من العرب فانه موقف الحب والاعجاب والتقدير البالغ لهم . وهو يكرر هذا الامر في كثير من المناسبات في كتبه ومن أمثلة ذلك :

١ - جاء في (الخصائص) :- فان قلت ومن أين يعلم أن العرب قد راعت هذا الامر واستشفته وعنيت بأحواله وتتبعه حتى تحامت هذه المواضع التحامي الذي نسبته اليها وزعمته مراداً لها ؟ وما أنكرت أن يكون القوم أجفى طباعاً وأيبس طيناً من أن يصلوا من النظر الى هذا القدر اللطيف الدقيق الذي لايصح لذي الرقة والدقة منا أن يتصوره الا بعد ان توضح له انحاؤه بل أن تشرّح له اعضاؤه ؛

(١) تاريخ الادب العربي - بروكلمان ج ٢٤٧/٢

قيل له « هيهات ! ما أبعدك عن تصور احوالهم وبعد اغراضهم ولطف اسرارهم »(١) .

٢ ـ وجاء في (الخصائص) ـ قيل لن يخلو ذلك ان يكون خبراً روسلوا به أو تيقظاً نبهوا على وجه الحكمة فيه . فان كان وحياً أو ما يجري مجراه فهو أنه له واذهب في شرف الحال به لان الله سبحانه انما هداهم لذلك ووقفهم عليه لان في طباعهم قبولا له وانطواء على صحة الوضع فيه لانهم مع ماقدمناه من ذكر كونهم عليه في اول الكتاب من لطف الحس وصفائه ونصاعة جوهر الفكر ونقائه لم يؤتوا هذه اللغة الشريفة المنقادة الكريمة الا ونفوسهم قابلة لها محسة لقوة الصنعة فيهـا معترفة بقدر النعمة عليهم بما وهب لهم منها »(٢)

٣ ـ وجاء في (الخصائص) عن أعرابي قرأ (طوبى) (طيبي) ولم ينفع معه التكرار في قراءتها (طوبى) ، افلا ترى الى هذا الاعرابي وانت تعتقده جافياً كزاً لا دمثاً ولا طبعاً كيف نبا طبعه عن ثقل الواو الى الياء فلم يؤثر فيه التلقين ولا ثنى طبعه عن التماس الخفة هز ولا تمرين وماظنك به اذا خلي مع سومه وتساند الى سليقته ونجره ؟ »(٣)

ب ـ حبه للعربية ـ وكما كان محباً للعرب كان ممتلئا حبا للعربية وهو يكرر ذلك في مواطن كثيرة بحيث لايبقى للقاريء في كتبـــه اي شك في اعجابه الكبير بها ومن أمثلة ذلك :

١ ـ جاء في (الخصائص) عن العرب ـ وقد ذكرناه قبـلا : ـ انهم ، لم يؤتوا هذه اللغة الشريفة الكريمة الا ونفوسهم قابلة محسة لقوة الصنعة فيها معترفة بقدر النعمة عليهم بما وهب لهم منها .(٤)

---

(١) الخصائص ١/٧٢

(٢) الخصائص ١/٢٣٨ ـ ٢٣٩

(٣) الخصائص ١/٧٦

(٤) الخصائص ١/٢٣٨ ـ ٢٣٩

٢ ـ وجاء فيه ، لو أحست العجم بلطف صناعة العرب فى هذه اللغة ومافيها من الغموض والرقة والدقة لاعتذرت من اعترافها بلغتها فضلا عن التقـديم لها والتنويه منها (١) .

٣ ـ وجاء فيه :ـ وذلك انني إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة وجدت فيها من الحكمة والرقة والارهاف والرقة ما يملك عليّ جانب الفكر حتى يكاد يطمح به امام غلوة السحر (٢) .

٤ ـ وجاء :ـ وكلام العرب لمن عرفه وتدرب بطريقها فيه جار مجرى السحر لطفا وان جسا عنه اكثر من ترى وجفا (٣)

٥ ـ ويقول فيه :ـ فهذا أمر قدمناه امام القول على الفرق بين الكلام والقول ليرى منه غور هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة ويعجب من وسع مذاهبها وبديع ما أمد به واضعها ومبتدئها (٤)

ولا يذهبن بك الظن ان الابيات التي قالها تدل على شعوبية فيه وعلى بغض للعرب يطويه فهو لم ينتقص امة ولا شعباً وانما ذكر انتسابه الى العلم وهو من أجل الانساب . فان انتسب أحد الى فلان أو فلان فهو ينتسب الى العلم وينتمي اليه ، مع أن نسبه ليس قاصراً فهو ينتمي الى قياصرة ملكوا الدنيا ، فهل في هذا بأس ؟ وهل فيه انتقاص لأمة أو شعب ؟ أوَ ان ذكر نسبه بخير عـدّ هـذا انتقاصاً لنسب الآخرين ؟ .

لا شك ان أبن جني ـ كما نقلنا طرفاً من نصوصه ـ لا ينطوي على شيء من

---

(١) الخصائص ١ / ٢٤٢

(٢) الخصائص ١ /٤٧

(٣) الخصائص ١ /٢٠٥

(٤) الخصائص ١ /١٧

الشعوبيـة ، بل العكس تماما كان قلبه مفعما بالحب الكبير والتقـدير البالـغ للعرب ولغتهم :

مكانته العلمية

بلغ ابن جني مكانة علمية سامية أثبتها له المتقدمون والمتأخرون على السواء وكان مثارة اعجاب بالغ . ومن قرأ نصوص المترجمين له يكد يقول انه بلغ مكانة في العربية لم ينلها أحد سواه . قال الباخرزي في (دمية القصر) : ـ هو أبو الفتح عثمان بن جني ليس لأحد في أئمة الأدب فى فتح المقفلات وشرح المشكلات ماله ، ولاسيما في علم الاعراب فقد وقع منها على ثمرة الغراب ومن وقف على مصنفاته وقف على بعض صفاته (١) وقال الثعالبي فيه : ـ هو القطب في لسـان العرب ، واليه انتهت الرياسة في الأدب ... وكان الشعـر اقل خلاله لعظم قدره وارتفاع حاله(٢) وقال ياقوت : ـ عثمان بن جني النحوي ... من أحـذق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف وصنف في ذلك كتباً أبر بها على المتقدمين وأعجز المتأخرين ولم يتكلم أحد في التصريف أدق كلاماً منه(٣) .ويقول صاحب الوفيات: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي المشـهور كان اماما في علم العربية ،(٤) وكان المتنبي يقول : ـ ابن جني أعرف بشعري مني (٥) . وجاء في تاريخ ابن خلدون مثل ما وصل الينا بالمغرب لهذا العهد من تأليف رجل من اهل صناعة العربية من اهل مصر يعرف بابن هشام ظهر كلامه فيها انه اسـتولى على غاية من ملكة تلك الصناعة لم تحصل الا لسيبويه وابن جني وأهل طبقتها (٦) .

---

(١) دمية القصر ص٢٩٧

(٢) يتيمة الدهر ١/١٢٤

(٣) معجم الأدباء ١٢/٨١

(٤) وفيات الاعيان ٢/٤١٠ ، مرآة الجنان ٤/٤٤٥

(٥) شذرات الذهب ٣/١٤١

(٦) تاريخ ابن خلدون ص١٠٠٠

أسوق هذه الاقوال مستغنياً عن التعليق ولو شئت لنقلت الكثير جداً .(١) وان شئت فارجع الى كتب التراجم واللغة ففيها مايدلك على سمو مكانته وعلو منزلته .

اما بالنسبة للمحدثين فلاشك أن ابن جني يتصدر المكانة السامية عندهم وخاصة عند علماء اللغة والصرف فلا تكاد تجد بحثاً في اللغة والاصوات والتصريف يخلو منه ذكر ابن جني ذاكرين له النظرات النافذات في هذا الميدان .

جاء في (دائرة المعارف الاسلامية) « ويعتبر ابن جني اكبر الثقات علما بالتصريف »(٢) ويقول الدكتور محمد أسعد طلس « والتف تلاميذ أبي علي حول زميلهم وخليفة شيخهم حتى أصبح امام بغداد وحجتها غير مدافع كما اصبح مرجع العالم الاسلامي في علوم العربية »(٣) ويقول في مكان آخر « أما بعد فنحن ازاء آراء فيلسوف كبير عرف أسرار اللغة ودقائقها حتى ضرب الناس بذلك الامثال(٤) فقد بذل في اكتناه اسرار هـذا العلم وكشف المخبأ منه جهوداً كثيرة وقرر منذ ألف عام كثيراً من القواعد التي أقرها اليوم المستشرقون وعلماء الاصوات .. ولا يعلم حقيقة أثر ابن جني في التصريف واللغـة الا من اطلع على آثار الصرفيين واصحاب المعاجم فانها كلها مطبوعة بطابعه »(٥) .

---

(١) انظر تاريخ بغداد ٣١١/١١ ، نزهة الالباء ص٢٢٨ ، انباه الرواة ٣٣٥/٢ ، الكامل ٢١٩/٧ البداية والنهاية ٣٣١/١١ ، الانسـاب ١٣٩ آ ، النجوم الزاهرة ٢٠٥/٤ ، الكنى والالقاب ٢٤١/١ ، روضات الجنات ٤٤٦ ، بغية الوعاة ٣٢٢ ، مفتاح السعادة ١٤/١ وسائر كتب التراجم .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ج ١ / ١٢٢

(٣) مجلة المجمع المجلد ٣٠ ج ٤ / ٦٢١

(٤) المصدر السابق ٦٢٢

(٥) المصدر السابق المجلد ٣١ ج ١ / ١١١

ويذكر الاستاذ (متس) ان « كتب علم الاشتقاق وفقه اللغة ومعرفة اسرار اللغة من مبتكراته ، ويذكر أنه لم يجيء بعده عالم يتم مابدأ به . »(١)

ويذكر الناشرون لسر الصناعة انه لايكاد يعرف بين علماء العربية في القرن الرابع أو بعده نظير لابي الفتح عثمان بن جني الذي ترك ثروة تأليفية ضخمة يميزها الابتكار والطرافة واتساع الافق والكشف عن الاسرار اللغوية التي استقرت في الوعي الباطن لاجيال العرب ، وسهولة الاساوب(٢) ، وبه وبشيخه ختم الائمة المبتكرون(٣) .

ويقول المرحوم طه الراوي بعد أن اثنى عليه ثناءاً بالغاً « كان نسيج وحده في صناعة التصريف »(٤) وهو يعد بحق فيلسوف العربية وباقرها(٥) واكبر أئمة النحو بعد الخليل وسيبويه(٦) .

وانا لا أميل الى مايذهب اليه بعض الباحثين ان سبب منحاه هـذا المنحى وتصوره للعربية هذا التصور كونه من أب رومي ،فانا لا اتصور ان للجنس والنسب أثراً في العقلية ، فقد منح الله عباده من جميع الاجناس نعمة العقل ولم يختص جنساً منه بشيء وحرم آخرين .

وهذا ماكرره الأستاذ أحمد أمين اكثر من مرة ، فهو يذكر عن أبي علي الفارسي انه كان مجددا أعلن القياس والثورة على القديم ولعل ذلك لأنـه فارسي

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي المجلد ٣٠ ج ٤ / ٦١٥

(٢) مقدمة سر الصناعة ص ٦

(٣) المصدر السابق ص ٣٤

(٤) تاريخ علوم اللغة العربية ص ٢٦

(٥) مقدمة الخصائص ص ٢٦

(٦) الرد على النحاة ـ حاشية ص ٨٦

الأب(١) والأم ولأنه معتزلي(٢) . وفي محاضرته (مدرسة القياس في اللغة) يجعل كذلك الفارسي وتلميذه ابن جني من أعلام مدرسة القياس ويقول : - فأما أبوعلي الفارسي ففارسي الاب عربي الأم ... وأما ابن جني فهو من أب رومى(٣) ويقول في مكان آخر ، وقد أنجب العنصر الرومى ادباء وعلماء كان لهم في فهمهم وعلمهم طابع خاص لم يكن مألوفا في العقلية العربيه والفارسية ومن أشهر هؤلاء ابن الرومى الشاعر وابن جني النحوي(٤) وفي مكان آخر منه يقول : فابن الرومى وابن جني وامثالهما كانوا عربا في المنشأ والمربى وكانوا روما بعقلهم الموروث فجمعوا بين مزايا العقل المطبوع والعقل المصنوع وانتجوا منهما نتاجا صالحاً ذا طعم خاص(٥).

أنا أؤمن بامتزاج الثقافات فالشخص ينشأ في مكان ما يتثقف فيه ثقافة خاصة ثم ينزح الى مكان آخر يتلقى فيه العلم أو يقرأ كتبا الفت على غير ما ألف فيكتسب ثقافة أخرى تمتزج وتكون ثقافة خاصة وهذا يجري لجميع الأجناس ولجميع الثقافات وهو شيء طبيعي . أما أن الشخص لكونه روميا أو فارسيا فانه يحمل عقلية خاصة فهذا مالا اتصوره .

الثقة فيه

ان ابا الفتح بعد أن نال تلك المكانة العالية لم يكن مستغربا أن يكون مودعا للثقة فيما يكتب ويقول . ولو رجعت الى كتب اللغة كلسان العرب والمخصص لابن سيده والمحكم له ، واذا تركنا هذه الى (المثل السائر) أو (سر الفصاحة) ، وغيرها من الكتب وجدت آراءه وكلماته وتعليلاته وما نقل عن العرب منتشرا مبثوثا فيها،

(١) اشرنا أن هذا وهم ازاله فيما بعد واقرأ النص التالي

(٢) ظهر الاسلام ٨٩/٢

(٣) (مدرسة القياس) - مجلة مجمع اللغة العربية ج ٣٥٣/٧ - ٣٥٤

(٤) ظهر الاسلام ٢٦٧/١

(٥) ظهر الاسلام ٦٩/١

ولأعجب في ذلك اذا كان « هو القطب في لسان العرب واليه انتهت الرياسة في الادب »(١) كما يقول صاحب اليتيمة .

فمثلا نرى (لسان العرب) ينقل تعبيراً له وهو قوله « ومنهم من يخف ويسرع قبول ماسمعه » وبورده ليبين استعمال أسرع متعدياً(٢) فيقول « فهذا اما أن يكون يتعدى بحرف وبغير حرف ، وأما أن يكون اراد (الى قبوله) فحذف وأوصل. »

ومثل آخر ماجاء في (الخصائص) :

ماربة لؤلؤ ان اللون اودها طل وبنّس عنها فرقد خصر

ثم قال : وقوله ـ بنس عنها هو من النوم »(٣) وفي اللسان :

(بنس) قال ابن سيده ـ قال ابن جني ـ قوله بنس عنها انما هو من النوم غير انه انما يقال للبقرة ولا اعلم هذا القول من غير ابن جني »(٤) وفيه (فرح) ـ « ورجل فرِح وفرُح ومفروح عن ابن جني » وفيه (خرفع) ، « الخُرْفُع ، والخرفِع والخرُفع بكسر الخاء وضم الفاء الاخيرة عن ابن جني »(٥) (والضشبل) بكسر الضاد وضم الباء ـ عن ابن جني واستكبر الشيء رآه كبيراً وعظم عنده ، عند ابن جني »(٦) .

وفي « الهمع » فعلات ويجوز الفتح والسكون مع الاتباع بشرط ان تكون

---

(١) اليتيمة ١ / ١٢٤

(٢) دائرة المعارف ـ فؤاد البستاني ٢ / ٤١٨

(٣) الخصائص ٢ /٢٤

(٤) مقدمة الخصائص ص ٣٣

(٥) الخصائص ١ / ٦٨ ومقدمة الخصائص ص ٣٣

(٦) لسان العرب ، مقدمة الخصائص ٣٣

الفاء مضمومة أو مكسورة لامفتوحة الا في ثلاثي معتل اللام نحو ظبية فيجوز فيه ظبيات بالسكون اختياراً في لغة حكاها ابن جني والمشهور الفتح . »(١)

وفيه « ولايثنى أجمع وجمعاء على رأي البصريين الاستغناء عنهما بكلا وكلتا ولم يجمع يسار استغناء عنها بجمع (شمال) .
قاله ابن جني في كتاب التمام »(٢) .

واخيراً أنقل لك هذا النص عنه هو نفسه لترى سعة ثقافته واطلاعه وثقته بنفسه . قال في (الخصائص) : « فهذه هي الاصول التي يكون فيها المثلان أصلين. وما علمنا ان وراء ماحضرنا وأحضرنا منها مطلوباً فيتعب بالتماسه وتطلبه . »(٣)

أدبه ـ شعره ونثره

شعره

لابن جني شعر جيد الا انه كان مقلا ، ذكرت كتب التراجم أنه كان يقول الشعر ويجيد نظمه(٤) ، وان له اشعاراً حسنة(٥) . وذكر ابن ماكولا ان له شعراً بارداً وكذا في الكامل(٦) .

وقال الباخرزي « وماكنت اعلم أنه ينظم القريض أو يسيغ ذلك الجريض حتى قرأت له مرثية في المتنبي أولها : (٧) .

---

(١) همع الهوامع ١/٢٤

(٢) همع الهوامع ١/٤٣ ـ لاحظ التمام ص ١٢٢

(٣) الخصائص ٢/٥٨

(٤) تاريخ بغداد ١١/٣١١ ، نزهة الالباء ص ٢٤٨

(٥) وفيات الاعيان ٢/٤١٠

(٦) الكامل لابن الاثير حوادث سنة ٣٩٣

(٧) دمية القصر ص ٢٩٧

غاض القريض وأودت نضرة الأدب وصوحت بعد ري دوحة الكتب

وذكروا من أشعاره :

فان اصبح بلا نسب فعلمي في الورى نسبي

وهي قصيدة طويلة(١)

وذكروا من شعره : -

صدودك عني ولاذنب لي يدل على نية فاسده
وقد وحياتك مما بكيت خشيت على عيني الواحده
ولولا مخافة أن لا أراك لما كان في تركها فائده(٢)

ويقال ان هذه الابيات لغيره وكان قائلها أعور(٣) أيضاً . وله شعر جميل يأخذ باللب من مثل : -

غزال غير وحشي حكى الوحشي مقلته
رآه الورد يجني الور د فاستكساه حلته
وشم بأنفه الريحا ن فاستهداه زهرته
وذاقت ريقه الصهبا ء فاختلسته نكهته(٤)

أسلوبه ونثره

وكما كان لابن جني شعر حسن كان له نثر يتميز بالسلاسة والسهولة والفصاحة وكانت عبارته جميلة ، وأنت اذا قرأت في كتبه ترى عبارة سهلة عذبة فصيحة واسلوبا سائغا وتعبيرا محكماً(٥) .

---

(١) تاريخ بغداد ٣١١/١١ ، نزهة الالباء ٢٢٨ ، انباه الرواة ٣٣٦/٢

(٢) نزهة الالباء ٢٢٨

(٣) البداية والنهاية ٣٣١/١١ وقد مر ذلك

(٤) يتيمة الدهر ١٢٤/١ (٥) دائرة المعارف - لفؤاد البستاني ٤٢٠/٢

يقول الدكتور محمد أسعد طلس : « فأنا لا أعرف نحوياً أو صرفياً أو بلاغياً كتب في النحو والصرف والبلاغة بلغة كلها سلاسة وعذوبة وكلها جمال ولذة بأسلوب فني رائع إلا الامام أبا الفتح بن جني وإلا الامام عبدالقاهر الجرجاني رحمهما الله (١). »

لقد جمعت عبارته بين الوضوح والجمال فهي تكاد تخلو من الغريب والتعقيد مرتبط بعضها ببعض متسلسلة تسلسلا منطقياً ولا ينتقل الى موضوع جديد إلا اذا أشبع موضوعه بياناً وامتلأت نفسه اطمئناناً(٢) .

يقول الابيوردي في أبي علي أحمد بن محمد المرزوقي :- وهو يتفاصح في تصانيفه كابن جني(٣) فهو اذن مشهور بالتفاصح في أسلوبه ، والمرزوقي أيضا ممن أخذ عن أبي علي(٤) .

ومن نثره في خطبة نكاح :-

الحمد لله فاطر السماء والارض ، ومالك الابرام والنقض ، ذي العزة والعلاء، والعظمة والكبرياء ، مبتدع الخلق على غير مثال ، والمشهود بحقيقته في كل حال ... وأشهد شهادة تخضع لعلوها السماوات وما أظلت ، وتعجز عن حملها الارضون وما أقلت ، أنه مالك يوم البعث والمعاد ، القائم على كل نفس بالمرصاد ، وأن لا معبود سواه ولا إله إلا هو ، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم ، وبجّل وكرم ، عبده المنتخب ، وحجته على العجم والعرب(٥) .

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي المجلد ٣٠ ج ٦١٣/٤

(٢) مقدمة سر الصناعة ص٢٢

(٣) معجم الادباء - ترجمة المرزوقي ج ١٠٤/٢ عن مقدمة الخصائص ص ٢٧ .

(٤) المصدر السابق

(٥) معجم الادباء ٩٣/١٢

وهناك هنات يسيرة تؤخذ عليه منها :-

١ - جاء في (لخصائص) :- كما ان القول قد لايتم معناه الا بغيره(١) . وجاء في (المنصف) :- وكذلك مثال (مفاعل) قد لاينصرف معرفة ولانكرة(٢) وذكر صاحبا المغني والقاموس ان (قد) مختصة بالفعل المتصرف الخبري المثبت المجرد من جازم وناصب وحرف تنفيس(٣) .

٢ - استعمل (كافة) معرفة بأل ومضافة في أماكن كثيرة نحو قوله :- « والوجه فيه ما عليه الكافة(٤) . وجاء فيه « اجازة هذا مذهب سيبويه وأبي الحسن وكافة أصحابنا»(٥) وانظر أيضا الخصائص ١ /١٨٨ ، ١ /٢٤٣ ، ١ /٣٥٥ ، ١٥/٢ ، ١٥/٢ أيضا ، ٣٨٨/٢ ، ٤٦٦/٢ ، ٢٢٠/٣ ، ٢٤٥/٣ وسر الصناعة ٤٨/١ ، ٨٢/٢ ، ١٤٥ ، ١٩٨ والتمام ٥٥ .

ذكر صاحب القاموس أن ذلك لايجوز(٦) ، وذكر آخرون ان ذلك أسلوب عربي سائغ مقبول(٧) .

٣ - وجاء في (الخصائص) : - وبذلك تعرف حاله أصاب هو أم رخو ؟ وأصحيح هو أم سقيم(٨) .

---

(١) الخصائص ١ /٢٠

(٢) المنصف ٢ /٧١

(٣) مغني اللبيب (قد) ١ /١٧١ ، القاموس المحيط (القد) ، مقدمة الخصائص ٢٨

(٤) الخصائص ١ /٩

(٥) الخصائص ١ /١٨٨

(٦) القاموس المحيط (الكف)

(٧) انظر تاج العروس - شرح القاموس ، الصحاح للجوهري ، لسان العرب

(٨) الخصائص ١ /٣٦

والصـــواب أو صحيح هو أم ســقيم(١)

٤ ـ وجاء فيه : ـ فقد ترى الى معرفة اسبابه(٢) وجاء فيه « وقد ترى ذلك الى كثرة ماتوالت فيه الضمتان »(٣) وجاء فيه ايضا « فقد ترى الى توافي هــذه الاشياء(٤) . وهذا التعبير لايصح اذ الرؤية بالعين تتعدى الى مفعول واحدو بمعنى العلم تتعدى الى مفعولين(٥) و (ألم تر الى كذا) كلمة تقال عند التعجب وعنــد تنبيه المخاطب(٦) كقوله تعالى : ـ الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم ؟

٥ ـ جاء في (الخصائص) : ـ وكذا ينبغي ان يعتقد ذلك منهم لما نذكره آنفاً(٧) ، و ، آنفا ، اي ، قبيلا ،(٨) وسالفاً(٩) والصواب على هــذا ان يقال لما ذكرناه آنفاً ، او لما نذكره بعد .

٦ ـ جاء في (الخصائص) : « لاسيما والقياس اليه مصغ(١٠) وفيه : لاسيما

---

(١) شرح الرضي على الكافيــة ٤٣١/٢ ، شرح المفصــل ١٥١/٨ ، مقــدمة الخصائص ٢٨

(٢) الخصائص ٥٠/١

(٣) الخصائص ١٧٧/٣

(٤) الخصائص ١٢٣/١

(٥) الصحاح

(٦) القاموس المحيط (الرؤية) ، لسان العرب (رأى)

(٧) الخصائص ٢٤٥/١

(٨) لسان العرب

(٩) الصحاح وانظر تاج العروس

(١٠) الخصائص ٣٠٩/١

والاصمعي ليس ممن ينشط للمقاييس(١) وانظر الخصائص ايضا ١٨٧/٢ ، ٤٠٧ ، ١٢٨/٣ ، وسر الصناعة ٥٧/١ ، ٥٧ ايضاً ، ٨١ والتمام ٢٢٢ .

وهذا التعبير منعه المرادي وجوزه آخرون وقالوا هو تركيب عربي .(٢)

٧ - جاء في (الخصائص) : - وقد كان أبو علي رحمه الله كتب الي من حلب جوابا على سؤالي اياه عنها(٣) وجاء فيه ، اخذ في الجواب عليه ،(٤) وجاء فيه : فهذه كلها ونحوه من غير ما ذكرنا اجوبة صحيحة على اصول فاسدة ،(٥) .

والصواب أن يقال : - أجاب عن سؤاله(٦) لا على سؤاله .

٨ - جاء في (الخصائص) : - فلما كان الامر كذلك اقتضت الصورة رفض البعض واستعمال البعض(٧) وجاء في (المبهج) ، وانا اذكر البعض منها ليدل على الكل ان شاء الله(٨) .

وبعض لاتدخله اللام خلافا لابن درستويه(٩) وقد استعملها سيبويه والاخفش في كتابيهما(١٠) .

---

(١) الخصائص ٣٦١/١

(٢) الرضي على الكافية ٢٧١/١ ، حاشية الصبان ١٦٨/٢ ، مقدمة الخصائص ٢٩

(٣) الخصائص ٣٨/٣

(٤) الخصائص ٣٢٨/٣

(٥) الخصائص ٣٣٠/٣

(٦) الصحاح ، لسان العرب (جوب) و (تاج العروس) (الجواب)

(٧) الخصائص ٦٤/١

(٨) المبهج ٢٩٩

(٩) انظر القاموس (بعض) وتفصيل ذلك في اللسان وفي تاج العروس ، مقدمة الخصائص ٢٨

(١٠) المصدر السابق

٩ ـ جاء في (الخصائص) : ـ ثم الا ترى الى صحة طوال ... ثم ألا ترى الى صحة طواء. (١)

والصواب أثم. وقد أشار الى هاتين النقطتين الاستاذ محمد النجار في مقدمة الخصائص :

١٠ ـ جاء في (سر الصناعة) : ـ ألا ترى أنك اذا قلت «قمت وزيدا قد كان يجوز ذلك» والصواب ربط الجواب بالفاء أي فقد كان يجوز.

١١ ـ جاء في (المنصف) : ـ واذا ثبت انها فعل قـد يخلو من أن تكون في الاصل فَعَل أو فَعُل أو فعِل. (٢)

والصواب فقد يخلو.

١٢ ـ جاء في (المبهج) :ـ انما يكون هواياها لاطيفاً على الحقيقة ... أي اذا كان هو هي فلا محالة انها حاضرة ناظرة الى مايجرى هناك(٣).

والصواب .. اذا كان هواياها فلا محالة ، والغريب أن الضمير الاول اتى به نصباً والثاني رفعاً.

١٣ ـ جاء في (الخصائص) :ـ ووجوه الحكمة فيها خفية عنا(٤) وجاءفيه:ـ وان خفيف عنا اغراضه ومعانيه(٥). وجاء في (المنصف) فلو كان لـ « ركك» أصل في كلامهم لما خفي عنه(٦).

---

(١) الخصائص ١/١٥٩

(٢) المنصف ١/٢٨٥

(٣) المبهج ٥٢

(٤) الخصائص ١/٤٨

(٥) الخصائص ١/٥٢

(٦) المنصف ٢/٣١٠

والذي نعلم أنه في الامور المعنوية يقال خفي عليه(١) الامر وفي المحسوسات يقال :ـ « خفي عنه » .

١٤ـ جاء في الخصائص :ـ وذلك انه على حذف المضاف لاغير(٢) قالت طائفة :ـ لا غير لحن ، وقد رد عليهم صاحب المحيط قال لانه مسموع(٣) .

واستشهد ببيت في ذلك هو :ـ

جوابا به تنجو اعتمد فوربنا   لعن عمل أسلفت لاغير تسأل

١٥ـ جاء في (الخصائص) :ـ وأما أنا فأجيز أن تكون الهاء في قوله :

• جزى وبه عني عدى بن حاتم •

عائدة على عدى خلافا على الجماعة(٤) .

والذي نعلم ان الصواب « خلافا للجماعة » .

١٦ـ جاء في الخصائص :ـ ألا ترى انك اذا قلت : ما جاءني غير زيد فانما في هذا دليل على أن الذي هو غيره لم يأتك ، فأما زيد نفسه فلم تعرض للاخبار عنه باثبات مجيء له أو نفيه عنه فقد يجوز أن يكون قد جاء وأن يكون أيضاً لم يجيء(٥) .

والمعلوم في نحو هذه العبارة أن يكون معناها مثل : ما جاءني الا زيد(٦) .

١٧ـ جاء فى مقدمة الخصائص في قول ابن جني « وانما جاز ذلك في هذا

---

(١) اللسان (خفا)

(٢) الخصائص ١/١٩٢

(٣) القاموس المحيط (الغبرة)

(٤) الخصائص ١/٢٩٣

(٥) الخصائص ١/١٣٥ .

(٦) حاشية الصبان ٢/١٥٤ ، حاشية الخصائص ١ / ١٣٥ رقم (٦)

الموضع لا لشيء برجع الى نفس أو بل لقرينة انضمت »(١) وهـذا اسلوب غير قاصد فان (لا) في قوله (لا لشيء) عاطفة ولم يتقدم معطوف .

١٨ ـ جاء في (الخصائص) :ـ ألا تراهم كيف يدخلون تحت قبح الضرورة مع قدرتهم على تركها ليعدوها لوقت الحاجة اليها ، فن ذلك قوله :ـ

قد أصبحت أم الخيار تدعي ... عليّ ذنبا كلُّه لم أصنع

أفلا تراه كيف دخل تحت ضرورة الرفع ولو نصب لحفظ الوزن وحمى جانب الاعراب من الضعف (٢) .

ورد ذلك الامام عبدالقاهر الجرجاني قال : « وإذا تأملت وجدته لم يرتكبه ولم يحمل نفسه عليه الا لحاجة له الى ذلك ، والا لانه رأى النصب يمنعه ما يريد ، وذاك انه اراد انها تدعي عليه ذنباً لم يصنع منه شيئاً البتة لا قليلا ولا كثيراً ولا بعضاً ولا كلا . والنصب يمنع من هـذا المعنى . ويقتضي ان يكون قـد أتى من الذنب الذي ادعته بعضه » (٣) فان قلت : لم آخـذ كل الدراهم فمعنى ذلك انك اخذت بعضاً منها واذا قلت : كلّ ذلك لم يكن فمعناه انه لم يكن منه شيء (*) .

١٨ ـ جاء في (المقتضب) :ـ وهـذا هدف مصيف عنه أي اصاف السهم

---

(١) الخصائص ١ / ٣٤٨

(٢) الخصائص ٣ / ٦١

(٣) دلائل الاعجاز ٢١٥

(*) يشكل على البيانيين نحـو قوله تعالى (ان الله لا يحب كل مختال فخور) والجواب عن الآية بأن دلالة المفهوم انما يعوّل عليه عند عدم المعارض وهو هنا موجود ، اذ دل الدليل على تحريم الاختيال والفخر مطلقاً

(انظر مغني اللبيب ـ كل ١ / ٢٠٠)

عنه أي عـدل (١) ولعل هنا تصحيفا في الكلمة (اصاف) بزيادة الهمزة في اولها والصواب (صاف) (٢) ولو كان المقصود به الرباعي لقال (مصاف) .

٢٠ ـ جاء في (الخصائص) : والمعنى الذي يرفع الفعل هـو وقوع الفعل موقع الاسم ، وجاز في الافعال ان يرفعها المعنى كما جاز في الاسماء ان يرفعها المعنى اعني الابتداء لمضارعة الاسم للفعل (٣)

والامثل ان يقول : لمضارعة الفعل للاسم فالفعل المضارع هـو الذي يشبه الاسم ويضارعه ولذلك سمي كذلك وحمل عليه .

تلامذته

أخذ عن أبي الفتح بن جني جماعة كثيرون من أشهرهم :ـ

الشريف الرضي(٤)

وهو أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى(٥) الشاعر المشهور ، ولد ببغداد سنة٣٥٩هـ وتلقى العلوم والآداب على أساتذتها وعلمائها ودرس اللغة على أبي الفتح عثمان بن جني حتى صار بارعا في الفقه والفرائض والآداب وسائر فروع العلم (٦). ابتدأ يقول الشعر بعد أن جاوز عشر سنين(٧) حتى صار شاعراً فريداً به . وقد رثى السيد الشريف أبا الفتح بقصيدة مطلعها :ـ

---

(١) المقتضب ٢٥

(٢) انظر الصحاح (الصوف) والقاموس (الصوف)

(٣) الخصائص ١ / ٢٧٦

(٤) روضات الجنات ٤٤٦ ، الكنى والالقاب ١ـ٣٠٦ ، أعيـان الشيعة ج ٣٩ ص٢٠٩

(٥) الكامل ٧ـ٢٨٠ ، مصادر الدراسة الادبية ص١٨٩

(٦) تاريخ الادب العربي ـ لحنا الفاخوري ص٦٦٦

(٧) يتيمة الدهر ٣ـ١٣٦

ألا يا لقومي للخطوب الطوارق وللعظم يرمى كل يوم بعارق

وهي في ديوانه(١) ومنها :ـ

لتبك أبا الفتح العيون بدمعها وألسننا من بعـدها بالمناطق
شقيقي اذا التاث الشقيق وأعرضت خلائق قومي جانبا عن خلائقي

وقال فيه قصيدة أخرى مطلعها :ـ

أراقب من طيف الحبيب وصالا ويأبى خيال أن يزور خيالا

ومنها :ـ

وأكبر همي أن ألاقي فاضلا أصادف منه للغليـل بلالا
فدى لأبي الفتح الافاضل انه يـبر عليهم إن أرم وقالا
اذا جرت الآداب جاء أمامها قريعاً وجاء الطالبون إفالا(٢)

وهي في ديوانه (٣) . توفي السيد الشريف ببغداد سنة ٤٠٦هـ في خلافة القادر بالله .

عمر بن ثابت الثمانيني : ـ

أبو القاسم عمر بن ثابت الثمانيني(٤) النحوي الضرير ، وهو من (ثمانين) بلفظ العدد بليدة في ناحية الموصل يقال انها أول قرية بنيت بعد الطوفان بناها الثمانون الذين خرجوا من السفينة وسميت بهم(٥) امام فاضل وأديب(٦) أخذ عن أبي الفتح

---

(١) المجلد الثاني ٦٣

(٢) القريع « فحل الابل ، الافال » الواحد أفيل : الفصيل

(٣) المجلد الثاني ١٦٦

(٤) نزهة الالباء ص٢٤٠

(٥) بغية الوعاة ٣٦٠

(٦) معجم الادباء ١٦/٥٧

عثمان بن جني وأخذ عنه أبو المعمر يحيى بن طباطبا العلوي(١) مات سنة ٤٤٢ هـ وله شرح اللمع لابن جني وهو موجود مخطوط منـه نسـخة في القاهرة - ثاني ١٣٥/٢ (٢) وشرح الملوكي في التصريف لابن جني ايضاً(٣) وكتاب المفيـد في النحو(٤) .

أبو أحمد عبدالسلام البصري : -

عبدالسلام بن الحسين(٥) بن محمد أبو احمد البصري اللغوي ، سكن بغداد ، كان لغويا فاضلا قارئاً للقرآن عالماً بالقراءات وكان يتولى ببغداد دار العلم وحفظ كتبها والاشراف عليها .

ولد سنة تسع وعشرين وثلثمائة ، وتوفي يوم الثلاثاء لسبع خلون من المحرم سنة خمس واربعمائة في خلافة القادر بالله .

قرأ على الفارسي والسيرافي وابن جني وسمع محمد بن اسحاق بن عباد التمار وجماعة من البصريين وحدث عنه عبدالعزيز الازجي وغيره(٦) .

أبو الحسن السمسمي(٧)

علي بن عبيد الله بن عبدالغفار السمسمي اللغوي كان لغوياً ثقة أخذ عن أبي

---

(١) نزهة الالباء ٢٤٠ ، بغية الوعاة ٣٦٠

(٢) بروكلمان ٢٤٧/٢

(٣) نزهة الالباء ٢٤٠

(٤) معجم الادباء ٥٧/١٦ ، بغية الوعاة ٣٦٠

(٥) فى نزهة الالباء (الحسن) ٢٣١

(٦) نزهة الالباء ٢٢٩-٢٣١ ، انباه الرواة ١٧٥/٢ ، تاريخ بغداد ٥٧/١١ ، بغية الوعاة ٣٠٦ ، ٣٢١

(٧) في انباه الرواة ٢-٢٨٨ ، وفيات الاعيان ٢-٤٧٤ وتاريخ بغـداد ١٢-١٠=

الفتح بن جني(١) وسمع أبا بكر بن شاذان وأبا الفضل بن المأمون(٢) وقرأ على أبي علي الفارسي وأبي سعيد السيرافي(٣) . قال الخطيب البغدادي : ـ كتبت عنه وكان صدوقاً(٤) وكان صاحب خط متقن في الصحة مرغوب فيـــه لتحقيقه . كتب الكثير وتصدر ببغداد للرواية وأقرأ الادب . (٥) مات في المحرم سنة خمس عشرة واربعمائة في خلافة القادر بالله . (٦)

ثابت بن محمد الجرجاني الاندلسي : ـ

أبو الفتوح كان اماماً في العربية متمكناً في علم العرب ومولده سنة خمسين وثلثمائة ودخل بغداد وأقام بها طالباً . روى ببغداد عن ابن جني وعلي بن عيسى الربعي وعبدالسلام بن الحسين البصري وروى كثيرا من علم الادب ... شرح جمل الزجاجي . قال ابن بشكوال قتل في المحرم من سنة ٤٣١(٧) .

علي بن زيد القاشاني ـ

علي بن زيد القاشاني النحوي ، أحد أصحاب أبي الفتح بن جني وهو صاحب

= (السمسماني) قال ابن خلكان ولا اعرف نسبته الى ماذا هي ... ثم بين انه نسبة الى السمسم خطأ والصواب سمسمي

(١) نزهة الالباء ٢٣٢

(٢) تاريخ بغداد ١٢ـ١٠ ، انباه الرواة ٢ـ٢٨٨

(٣) معجم الادباء ج ١٤ ص ٥٨

(٤) تاريخ بغداد ج ١٢ ص ١٠

(٥) انباه الرواة ٢ـ٢٨٨ ، معجم الادباء ج ١٤ ص ٥٨

(٦) نزهة الالباء ٢٣٢ ، معجم الادباء ج ١٤ ص٥٨

(٧) معجم الادباء ٧ـ١٤٥ ، البغية ٢١٠

الخط الكثير الضبط المعقد سلك فيه طريقة شيخه أبي الفتح(١) .

ومن تلاميذه أيضاً الامير عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي المتوفى سنة ٤٦٦ هـ صاحب سر الفصاحة(٢) . ومحمد بن عبدالله بن شاهويه وحدث بالاجازة عن أبي الفتح بن جني وذكر أنه قرأ عليه من كتب الادب والنحو .(٣)

أثره في الكتب بعده

من يطلع على المعجمات وكتب اللغة وكتب اصول النحو وكتب التصريف يجد أثر ابن جني واضحاً فيها ، وكأن كتبه كانت المعين لها . يقول ميتس « وكما ان كتب اللغة التي الفت بعد الجوهري كلها عيال عليه فكذلك كتب علم الاشتقاق وفقه اللغة ومعرفة أسرار العربية فانها مما ابتكر الامام ابن جني الذي فهم اسرار العربية وفلسفتها وبخاصة الاشتقاق وأنه لمن المؤسف أن لايجيء بعد ابن جني عالم يتم مابدأ به مع أن كل الذين جاؤا من بعده قد استفادوا من كتبه .»(٤)

ولايعلم حقيقـــة أثر ابن جني في التصريف واللغة الا من اطلع على آثار الصرفيين وأصحاب المعجمات من بعده فانها كلها مطبوعة بطابعه(٥) .

ومن يتصفح لسان العرب والمخصص لابن سيده والمحكم له وسر الفصاحة للخفاجي والمثل السائر لابن الاثير والاشباه والنظائر للسيوطي والاقتراح له وكتب التصريف يدرك مدى الاثر الذي طبعه فيها . فصاحب اللسان كثير النقل عن ابن جني ـ وقد ضربنا أمثلة لذلك ـ وكذلك ابن سيده في كتابيه المخصص والمحكم وربما

---

(١) معجم الادباء ١٣ / ٢١٨ ، البغية ٣٣٨

(٢) أعلام النبلاء ١ / ٢٠ ، فوات الوفيات ١ / ٤٨٩ ، مقدمة سر الصناعة ١٧

(٣) البغية ٥٢ ـ ٥٣

(٤) ميتس ٢٢٧

(٥) مجلة المجمع العلمي العربي ـ الدكتور محمد أسعد طلس المجلد ٣١ ج ١/١١١

أورد ألفاظه وعباراته دون أن يشير اليه(١) . فمثلا يقول ابن سيده في بحث أصل اللغة أمتواطأ عليها أم الهام « وقد أدمت التنقير والبحث مع ذلك عن هذا الموضع فوجدت الدواعي والخوالج قوية التجاذب لي مختلفة جهات التغول على فكري وذلك لأنا اذا تأملنا حال هذه اللغة الشريفة الكريمة . . . . » وأول الكلام في (الخصائص) « واعلم فيما بعد أنني مع تقادم الوقت دائم التنقير والبحث عن هذا الموضع فأجد الدواعي والخوالج قوية التجاذب لي مختلفة جهات التغول على فكري »

وفي (المحكم) ٢ / ٥٦٨ ترجمة (فوه) يسوق ابن سيده كلاما طويلا في أصل « فم » ثم يقول « فالقول في تشديد الميم عندي أنه ليس بلغة في هذه الكلمة (فمه) » . ولم ينسبه ابن سيده الى ابن جني وهذا البحث برمته في سر الصناعة في أول حرف الميم(٢) . وفي (المحكم) أيضاً نقل فصلا في تفسير النحو أنشأه ابن جني في (الخصائص) لم يعزه الى صاحبه وجاء صاحب اللسان فعزاه الى ابن سيده(٣).

ويذكر السيوطي في مقدمة « الاقتراح » أنه استمد كثيراً من كتاب « الخصائص » فيقول « واعلم اني قد استمددت في هذا الكتاب كثيراً من كتاب « الخصائص » لابن جني فانه وضعه في هذا المعنى وسماه أصول النحو(٤) ولو تصفحت كتاب « الاشباه والنظائر » لوتابعت العناوين التي صدرها بحثه لوجدت أثره فيه بيناً فانك تجد فيه من مثل الاتباع ، الاتساع ، اجراء اللازم مجرى غير اللازم ، مطابقة المعنى للفظ ، اصلاح اللفظ ، الاستغناء وغير ذلك . ومجرد النظر الى هذه العناوين يدل دلالة واضحة على أثر ابن جني فيه .

آثاره

خلف ابن جني كتبا كثيرة في النحو والتصريف واللغة والعروض والقراءات

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي ـ المجلد ٣١ ج ٤ ـ ٦٤٧

(٢) المحكم ٢ ـ ٦٨ عن مقدمة الخصائص ص ٣١

(٣) المحكم ٢ ـ ٣٣٦ ـ المصدر السابق ص ٢٩

(٤) الاقتراح ص٢

وغير ذلك ذات قيمة علمية عظيمة ، منها ماهو مطبوع بين ايدينا ومنها مالايزال مخطوطا في خزائن الكتب ومنها ماضاع ولانعلم عنه شيئا . وكتبه التي عثرت عليها هي : ـ

١ ـ الاراجيز ذكره ياقوت في الاجازة(١) .

٢ ـ اسم المفعول وهو المقتضب ذكره ياقوت في الاجازة كذلك(١) وقد طبع المقتضب مع رسالتين أخريين بعنوان « ثلاث رسائل للامام ابي الفتح عثمان بن جني » بالمطبعة العربية بمصر ١٣٤٢هـ ـ ١٩٢٣ م .

٣ ـ اعراب الحماسة وهو موجود مخطوط بعنوان اعراب ابيات مااستصعب من الحماسة « الازهر أدب « ٧٧٨ » ٩٠٣٣(٢) .

٤ ـ الالفاظ من المهموز وقد ورد في الفهرست(٣) ولعله هو المطبوع بعنوان « عقود «الهمز» مع المقتضب وما يحتاج اليه الكاتب .

٥ ـ البشري والظفر ـ صنعه لعضد الدولة ومقدارة خمسون ورقة في تفسير بيت من شعر عضد الدولة .

أهلا وسهلا بذي البشرى ونوبتها   وباشتمال سرايانا على الظفر(٤)

٦ ـ التبصرة في العروض(٥)

٧ ـ تذكرة أبي علي ـ اختصرها أبو الفتح(٦)

---

(١) معجم الادباء ١٢-١١٠

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي ـ المجلد ٣١ج٢-٢٤٣

(٣) الفهرست ص١٣٤

(٤) ياقوت ١٢ / ١١٢

(٥) هدية العارفين ـ المجلد الاول ص ٦٥٢

(٦) كشف الظنون ٣٨٤

٨ ـ التذكرة الاصبهانية«١»

٩ ـ التصريف الملوكي وهو مطبوع نشرته مطبعة شركة التمـدن الصناعية بمصـر .

١٠ ـ التعاقب وذكره في الخصائص ١ ـ ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٣ ـ ٥٨ ، ٢٢٥ .

١١ ـ تفسـير أرجوزة أبي نواس وجاء ذكره في معجم الادباء(٢) ، منه نسخة في مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمة(٣) .

١٢ ـ تفسير شعر المتنبي وقـد ذكره في سر الصناعة«٤» وورد اسمه بأسماء مختلفة فقد ورد بأسم الصبر في شرح شعر المتنبي(٥) وورد باسم الفسر(٦) كما ورد بأسم النشر(٧) وهـذا الكتاب موجود مخطوط فى المتحفة الآسيوية بموسكو ورقه ٢٧٥ والمتحفة البريطانية ثاني ١٠٤٠(٨) وقد قدمنا ذكره .

١٣ ـ تفسير العلويات وهي اربع قصائد للشريف الرضي(٩) ولعل هـذا الكتاب هو مايسمى ايضا كتاب تفسير المراثي الثلاث والقصيدة الرائية للشريف الرضي .(١٠)

١٤ ـ تفسير معاني ديوان المتنبي وذكره ياقوت في الاجازة اي اجازة ابن

---

(١) شذرات الذهب ٣ ـ ١٤٠

(٢) ياقوت ١٢ ـ ١١٠

(٣) مجلة المجمع العلمي العربي ـ المجلد ٣١ ج ٢ ـ ٣٤٣

(٤) سر الصناعة ١ ـ ٢٢٢ ، ٢٣٣

(٥) انباه الرواة ٢ ـ ٣٣٦ ، وفيات الاعيان ٢ ـ ٤١١

(٦) الفهرست ١٣٤ ، كشف الظنون ٨١٠

(٧) شذرات الذهب ٣ ـ ١٤٠

(٨) مجلة المجمع العلمي العربي ـ المجلد ٣١ ج ٢ ـ ٣٤٦

(٩) ياقوت ١٢/١١٠

(١٠) الفهرست ١٣٤

جني لأبي عبدالله الحسين بن احمد بن نصر وذكر أن حجمـــه مائة ورقة وخمسون ورقة(١) وهو موجود فى القاهرة «ف ٤:٢٦٥ على ماذكر الدكتور محمد اسعد طلس»

١٥ ـ التلقين(٢)

١٦ ـ التمام وهو مطبوع باسم التمام فى تفسير اشعار هذيل مما أغفله السكري. طبع ببغداد الطبعة الأولى ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦٢ م وجاء فى « انباه الرواة » باسم التمام فى شعر الهذليين(٣) وجاء فى « الخصائص » قوله « وقد ذكرنا هذا فى كتابنا شعر هذيل »(٤) وذكره ايضاً بأسم في ديوان هذيل »(٥) .

١٧ ـ التنبيه ذكره ابن خلكان(٦) وذكر جرجي زيدان انه كتاب ضخم في نيف واربعمائة صفحة فيهـــا شرح لغوي نحوي موجود في ليـــدن وفي المكتبة الخديوية(٧) وهو في شرح ديوان الحماسة(٨) ولعله هو المقصود بالتصبية الذي ذكره ابن خير «٩» ولعل الاخير تصحيف وذكر ابن جني أن له كتاباً في تفسير ابيات الحماسة .(١٠)

---

(١) ياقوت ١١٠/١٢

(٢) انباء الرواة ٣٣٦/٢

(٣) انباء الرواة ٣٣٦/٢

(٤) الخصائص ١٢٤/١

(٥) الخصائص ١٥١/١

(٦) وفيات الاعيان ٤١١/٢

(٧) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٣٠٣/٢

(٨) الاعلام ـ للزركلي ٣٦٤/٤

(٩) فهرسة أبي بكر بن خير ٣١٧

(١٠) الخصائص ٢ ـ ٤٠٥

١٨ ـ تفسير المذكر والمؤنث ليعقوب(١)

١٩ ـ الخاطريات ـ قال بروكلمان ان في مكتبة سليم اغا بالاستانة كتاباً له بأسم المخاطريات رقم ٤/١٠٧٧ ويغلب على الظن انه هو والاسم محرف(٢)

٢٠ ـ الخصائص وهو مطبوع

٢١ ـ الخطيب(٣)

٢٢ ـ الدمشقيات جاء في « الاشباه والنظائر » للسيوطي « وقال ابن النحاس في « التعليقة » حكى ابن جني في كتاب له يسمى « الدمشقيات » غير الدمشقيات المشهورة له بين الناس قولا عن الاخفش »(٤)

٢٣ ـ ذو القد«٥» وورد باسم هذا القد أيضاً(٦) .

٢٤ ـ الزجر وذكره في الخصائص(٧) « وقد كنت عملت كتاب الزجر عن ثابت بن محمد وشرحت احوال تصريف الفاظه واشتقاقها . »

٢٥ ـ سر الصرور(٨) ونقل عنه ياقوت .

٢٦ ـ سر الصناعة والجزء الاول منه مطبوع سنة ١٩٥٤ وقد ذكره ابن جني في اماكن من كتبه(٩)

---

(١) مقدمة الخصائص ص ٦٣

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي ـ المجلد ٣١ ج ٢ ـ ٣٤٦

(٣) هدية العارفين ـ المجلد الأول ٦٥٢

(٤) الاشباه والنظائر ٢٥٣/١

(٥) مجلة المجمع العلمي العربي المجلد ٣١ ج ٣٤٨/٢

(٦) انباه الرواة ٣٣٦/٢

(٧) الخصائص ٤٠/٢ ، ٢٣١/٣

(٨) ياقوت ١١٠/١٢

(٩) الخصائص ٢ / ١٥ ، ٨٤ ، ٢٩٧ ، ٣ / ٥ ، التمام ٤٣ ، المبهج ٣١

٢٧ - شرح الايضاح لابي علي الفارسي ذكر بروكلمان انه موجود في مكتبة شهيد علي باشا ٩٣٠(١) .

٢٨ - شرح الفصيح(٢)

٢٩ - شرح القلب والابدال ليعقوب(٣)

٣٠ - شرح القوافي ذكره ابن الانباري(٤)

٣١ - شرح المقصور والممدود عن ابن السكيت ذكره ابن جني في الخصائص(٥) .

٣٢ - الشعر قال الدكتور محمد اسعد طلس - هو كتاب لاستاذه ابي علي الفارسي رواه عنه ابن جنى وعلق عليه تعليقات لغوية ومنه نسخة بمكتبة برلين رقمها ٦٤٦٥(٦)

٣٣ - شواذ القرآن منه نسخة في برلين رقمها ٦٧٤(٧) .

٣٤ - العروض(٨) ذكره جرجي زيدان وقال « هو مختصر لطيف في برلين وفينا وليدن(٩) .

---

(١) بروكلمان ٢ / ٢٤٧

(٢) معجم الادباء ١٢ / ١١٠

(٣) الخصائص ٢ / ٨٨

(٤) نزهة الالباء ٢٢٨

(٥) الخصائص ٢ / ٤٨

(٦) مجلة المجمع العلمي العربي - المجلد ٣١ ج ٢ / ٣٤٦

(٧) المصدر السابق

(٨) نزهة الالباء ٢٢٨

(٩) تاريخ آداب اللغة العربية ٢/٣٠٢ - ٣٠٣

٣٥ ـ علل التثنية منه نسخة خطية في ليدن(١) رقمها ١٤٥(٢)

٣٦ ـ الفائق(٣) .

٣٧ ـ الفرق(٤) .

٣٨ ـ الفصل بين الكلام الخاص والعام(٥) .

٣٩ ـ رسالة في مد الاصوات(٦) .

٤٠ ـ الكافي في شرح قوافي الاخفش(٧) .

٤١ ـ اللمع في النحو « ذكر جرجي زيدان انه موجود في برلين وأيا صوفيا(٨) » وله شروح متعددة منها : ـ

أ ـ شرح اللمع لابي نصر القاسم بن محمد بن مناذر الواسطي استاذ ابن بابشاذ (كوتا ٢١٠)

ب ـ شرح اللمع لأبي البركات عمر بن ابراهيم بن محمد الكوفي المتوفى سنة ٥٣٩ « عاطف افندي ٢٥٥٤ » .

ج ـ شرح اللمع لسعيد بن الدهان « شهيد علي باشا ٩٣٩ »

د ـ شرح اللمع لعبدالله بن الحسين العكبري ـ مكتبة البلدية بالاسكندرية (٣٣ نحو) .

هـ ـ شرح اللمع لاسعد بن نصر العبرتي المتوفى سنة ٥٨٩ « برلين ٦٤٦٧ » .

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ٢/٣٠٢ ـ ٣٠٣

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي ـ المجلد ٣١ ج ٢ / ٣٤٨

(٣) معجم الادباء ١٢ / ١١٠

(٤) المصدر السابق

(٥) الفهرست ١٣٤

(٦) ياقوت ١٢ / ١١٠

(٧) انباء الرواة٢ / ٣٣٦

(٨) تاريخ آداب اللغة العربية ٢ / ٣٠٢ ـ ٣٠٣

و ـ شرح اللمع لعمر بن ثابت الثمانيني المقدم ذكره في تلامذته « القاهرة ثاني : ١٣٥ »

ز ـ شرح اللمع لم يسم مؤلفه « بايزيد ١٩٩ » (١) .

وشرحه آخرون منهم الخطيب التبريزي وابن الخشاب النحوي والشيخ ابو بكر الخفاف المالقي والشيخ أبو الحسن علي بن الحسن بن عنتر المعروف بشميم الحلي والشيخ بدر الدين العيني وآخرون(٢) .

٤٢ ـ ما يحتاج اليه الكاتب وهو مطبوع مع رسالتين صغيرتين هما عقود الهمز والمقتضب .

٤٣ ـ المبهج في تفسير اسماء شعراء ديوان الحماسة ، وهو مطبوع بدمشق بمطبعة الترقي عام ١٣٤٨ . وقد ذكر ابن جني في كتبه ان له كتاباً في تفسير اسماء شعراء الحماسة(٣) وورد في (انباه الرواة) وفي كتب أخرى باسم (المنهج)(٤) .

٤٤ ـ المجالس المذكورة للعلماء باللغة العربية مخطوط مصور بمعهد احياء المخطوطات بالامانة العامة للجامعة العربية(٥) .

٤٥ ـ محاسن العربية(٦)

٤٦ ـ المحتسب في اعراب الشواذ في مكتبة راغب وفي دار الكتب المصرية ٢ ش قراءات(٧) .

---

(١) بروكلمان ٢ / ٢٤٧

(٢) روضات الجنات ٤٤٦

(٣) الخصائص ٢ / ١٩٧

(٤) انباه الرواة ٢ / ٣٣٦

(٥) مجلة المجمع العلمي العربي المجلد ٣١ ج ٢ / ٣٤٨

(٦) بغية الوعاة ٣٢٢

(٧) مجلة المجمع العلمي العربي ـ المجلد ٣١ ج ٢ / ٣٤٦

٤٧ ـ المختارات « سليم اغا ١٠٧٧ » رقم ٤(١) .

٤٨ ـ مختصر العروض(٢) ولعله العروض المقدم ذكره لكونه مختصراً .

٤٩ ـ مختصر في القوافي في الاسكوريال(٣) ثاني ٤٤٢ رقم ٤ .

٥٠ ـ المذكرات هي مذكرات عن حدود ومعان وفوائد كتبها أبو الفتح عن الامام ثعلب النحوي ... من محفوظات مكتبة الفاتيكان بايطاليا(٤) .

٥١ ـ المذكر والمؤنث ذكر بروكلمان انه طبع بعناية المستشـرق ريشـر Rescher في المجلة (M.O.) . ج ٨ من ١٩٣ ـ ٢٠٢ .

٥٢ ـ المسائل الواسطية(٥) .

٥٣ ـ مسألتان من كتاب الايمـان لمحمد بن الحسن الشيباني الفقيه الحنفي ـ فاتيكان ثالث (ملحق ٣٢)(٦) .

٥٤ ـ المعاني المجردة(٧) وفي هدية العارفين معاني المحررة(٨) .

٥٥ ـ المعرب في تفسير قوافي ابي الحسن وقد ذكره في مواطن عدة كالخصائص ١ / ٨٤ ، ٢ / ٩٩ ، ٢٦١ والمنصف ١ / ٢٢٤ ، والتمام ١٤١ ، ١٢٢ ولعله هو المقصود فيما ذكر عن (شرح القوافي) السالف الذكر وقـد ذكر في التمام (والمعرب في

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي ـ المجلد ٣١ ج ٢ / ٣٤٨

(٢) انباه الرواة ٢ / ٣٣٦

(٣) زيدان وطلس

(٤) مجلة المجمع العلمي العربي ـ المجلد ٣١ / ٣٤٨

(٥) انباه الرواة ٢ / ٣٤٠

(٦) بروكلمان ٢ / ٢٤٧

(٧) ياقوت ١٢ / ١١٠

(٨) هدية العارفين ١ / ٦٥٢

شـــرح القوافي)(١) وذكره ياقوت باسم (المغرب)(٢) . ولعـــله (الكافي) المذكور آنفاً :

٥٦ ـ المفيد فى النحو(٣)

٥٧ ـ المقتطف فى معتل العين(٤)

٥٨ ـ مقدمات ابواب التصريف(٥)

٥٩ ـ المقصور والممدود(٦)

٦٠ ـ المنتصف فى النحو(٧)

٦١ ـ المنصف شرح تصريف المازني وقد طبع بثلاثة اجزاء بمصر . وقد ذكره فى كتبه (شرح تصريف أبي عثمان)(٨) وورد باسم (المصنف) أيضاً(٩).

٦٢ ـ من نسب الى أمه من الشعراء الفه الامام محمد بن حبيب بن أمية (توفي ٢٤٥هـ) ورواه عنـــه ابن جني وأضاف اليه تعليقات ومنـــه نسختان بدار الكتب المصرية ارقامها ٥٧ ش ، ١٢٢ مجاميع(١٠) .

---

(١) التمام ص ٤٣

(٢) ياقوت ١٢ / ١١٠

(٣) هدية العارفين ١ / ٦٥٢

(٤) هدية العارفين

(٥) معجم الادباء ١٢ / ١١٠

(٦) انباه الرواة ٢ / ٣٣٦

(٧) ياقوت ١٢ / ٩١ ، كشف الظنون ١٨٥٠

(٨) الخصائص ١ / ٣٦٩ ، ٢ / ٢٨٨ ، ٣ / ٨٧ ، سر الصناعة ١ / ١٠٩ ، ١٣٢ ، التصريف الملوكي ٦

(٩) نزهة الالباء ٢٢٨ ، كشف الظنون ١٧١٢

(١٠) مجلة المجمع العلمي العربي ـ المجلد ٣١ ج ٢ / ٣٤٨

٦٣ ـ المهذب فى القراءآت(١)

٦٤ ـ النقض على ابن وكيع في شعر المتنبي وتخطئته(٢) وقيل اسمه النقد(٣) على ابن وكيع .

٦٥ ـ النوادر الممتعة وذكره ابن جني وقال مقداره الف ورقة(٤) وذكره ياقوت في الاجازة(٥) .

٦٦ ـ الهجاء وقد وعد بتأليفه(٦) .

٦٧ ـ كتاب الوقف والابتداء(٧) .

• • •

---

(١) كشف الظنون ١٩١٤

(٢) معجم الادباء ١٢ / ١١٠

(٣) العربية ـ ليوهان فلك ص ١٨٠

(٤) الخصائص ١ / ٣٣٢

(٥) ياقوت ١٢ / ١١٠

(٦) الخصائص ٣ / ٢٣٠

(٧) الفهرست ١٣٤ ، ياقوت ١٢ / ١١٠

الباب الثالث

دراسة وموقفه من الشواهد

التطور النحوي من أوليته الى عصره

أقدم من ينسب اليه وضع النحو أبو الاسود ظالم بن عمرو الدؤلي الكناني : ذكرت طائفة من العلماء أنه ابتدعه وذكرت طائفة أخرى أنه أشار عليه بوضعه علي كرم الله وجهه . وهذا الاسم - أعني أبا الاسود - وان كان أقدم من يذكر في هذا الباب ليس مجمعاً عليه أنه هو الواضع الاول للنحو . والذين ذكروا أنه المخترع له لم يتفقوا على كيفية بدايته ولا في أي زمن كان ذاك . وبرزت معه أسماء أخرى كنصر بن عاصم ويحيى بن يعمر وعبدالرحمن بن هرمز على أنهم هم الواضعون له . فقد ذكر ابن قتيبة في كتابه (الشعر والشعراء) أن أبا الاسود « هو أول من عمل كتابا في النحو(١) » وفي كتاب (المعارف) له :- « أبو الاسود أول من وضع العربية(٢) » وذكر أبو الطيب عبدالواحد بن علي في كتاب (مراتب النحويين) : « كان أول من رسم للناس النحو أبا الاسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب »(٣) .

وذكر أبو الفرج الاصفهاني أن أبا الاسود كان الاصل في بناء النحو وعقده ، وقال ابن خلدون :- وأول من كتب فيها أبو الاسود الدؤلي من كنانة ، ويقال باشارة علي رضي الله عنه(٤) . وقال السيرافي :- « اختلف الناس في أول

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢/٦١٥

(٢) المعارف لابن قتيبة ٤٣٤

(٣) مراتب النحويين ص٦

(٤) تاريخ ابن خلدون ص١٠٢٦

من رسم النحو . فقال قائلون : أبو الاسود الدؤلي وقال آخرون « نصر بن عاصم الدؤلي ويقال الليثي » ، وقال آخرون عبدالرحمن بن هرمز وأكثر الناس على أبي الاسود »(١) .

والى اللحظة التي نكتب فيها هـذه السطور لم يقطع بهذه المسألة بل لايزال الغموض يسـيطر على نشـوء النحو وكيفيته حتى قال المرحوم مصطفى صادق الرافعي :ـ « أما تاريخ النحو فلا سـبيل الى تحقيقه البتة(٢) » . ويذكر دي بور في كتابه (تاريخ الفلسفة في الاسـلام) :ـ « والحقيقة ان الناس بدأوا يدرسون النحو في البصرة والكوفة ويحيط الغموض بأول نشوء دراسـته(٣) » بينما يقول الاستاذ حسن عون :ـ « نستطيع أن نقول ونحن مطمئنون أن واضع اللبنة الاولى في بناء النحو العربي انما هو أبو الاسود الدؤلي دون سواه(٤) » . ويذكر المرحوم الاستاذ طه الراوي أن « مجلي الحلبة في هذا المضمار أبو الاسود الدؤلي الكناني أحد أرباب البصائر الحية فاستعرض طائفة من كلام العرب وتوصـل الى استخراج طائفة من المسائل له واستنباط بعض القواعد أسماها (النحو) ودونها في صحيفة له عرفت عنـد النحاة بالتعليقة(٥) » ويقول الاستاذ كمال ابراهيم « ويمكننا أن نقرر حكما ثابتاً ان أبا الاسود الدؤلي هو واضع تلك البداية ولكن عمله لم يكن عملا تاماً وافياً في حينه فجاء بعده من العلماء من وفاه وأتمه » .

ان المجمع عليه بالنسبة لابي الاسود هو نقط القرآن على عهد زياد بن أبيه، أما بالنسبة لعمله في النحو فلا يزال الاختلاف فيه ضارباً جرانه ، ويمكن أن نقول

---

(١) أخبار النحويين البصريين ص ١٠

(٢) تاريخ آداب العرب ٣٣٦/١ حاشية رقم (١)

(٣) دي بور ص٥٤ـ٥٥

(٤) اللغة والنحو ص ٢٣٥

(٥) نظرات في اللغة والنحو ص ٧

ان نقط القرآن كان بداية لتنبه الاذهان لحركات الرفع والنصب والجر فبدأت المساءلة عن سبب هذا الاختلاف وبدأ استقراء أولي انتهى بالجهود المتضافرة المواصلة على مر السنين الى وضع النحو .

وذكر الأستاذ ابراهيم مصطفى انه أجرى احصاء في كتاب سيبويه لأقدم اسماء من نسبت اليهم مسألة نحوية ، وهذه نتيجة الاحصاء : -

١ - عبدالله بن اسحاق المتوفى سنة ١١٧هـ في ٦ مواضع :
٢ - عيسى بن عمر الثقفي المتوفى سنة ١٥٠هـ في ١٨ موضعاً .
٣ - أبو عمر بن العلاء المتوفى سنة ١٥٤هـ في ٣٩ موضعا .
٤ - الخليل بن أحمد المتوفى سنة ١٦٠هـ في٣٧٦ موضعاً وأكثر نقل سيبويه عنه.
٥ - يونس بن حبيب المتوفى سنة ١٨٥هـ في ١٥٥ موضعاً .

وأقدم هؤلاء هو عبدالله بن أبي اسحاق وتسند اليه آراء نحوية حتى في كتب المتأخرين كالاشموني المتوفى سنة ٩٠٠هـ والسيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ .

وأول مانلاحظ انا لم نجد في كتاب سيبويه ولافيما بعده من الكتب التي نظرناها أي رأي نحوي منسوب الى ابي الاسود الدؤلي ولا الى طبقتين من النحاة معه(١) .

وعلى أي فانا نعلم يقيناً ان نشأة النحو كانت في البصرة ثم بعد مرورطبقتين وبعد ارتسام صورة تكاد تكون متميزة للنحو بدأ الكوفيون يأخذونه عن رجال البصرة . وانقل اليك هذا الجدول مبيناً التطور النحوي بالنسبة للبصريين والكوفيين(٢) .

---

(١) في اصول النحو - مجلة مجمع اللغة العربية ج١٣٨/٨ - ١٣٩

(٢) لم يتفق على تقسيم طبقات النحويين واعلامها ، وهذا تقسيم تقريبي لها . انظر مقدمة اخبار النحويين البصريين للسيرافي ص٥ ونشأة النحور محمد الطنطاوي ص٥٢

ابو الاسود الدؤلي ٦٩هـ

(١)

نصــر	عنبسه	ابن هرمز	يحيى
٨٩ هـ	١٠٠ هـ	١١٧ هـ	١٢٩ هـ

بصرية

(٢)

ابن ابي اسحاق	عيسى بن عمر	ابو عمرو
١١٧ هـ	١٤٩ هـ	١٥٤ هـ

(٣) — بصرية

الاخفش الاكبر	الخليل	يونس
١٥٧ هـ	١٧٤ هـ	١٨٣ هـ

(٤)

سيبويه	اليزيدي	ابو زيـد
١٨٠ هـ	٢٠٢ هـ	٢١٥ هـ

(٥)

الاخفش	قطرب
٢٠٨ هـ	٢٠٦

(٦)

الجرمي	المازني	الرياشي
٢٢٥ هـ	٢٤٩ هـ	٢٥٧ هـ

(٧)

المـبرد

٢٨٥ هـ

بصريـــة

(١) — كوفية

الرؤاسي	الهراء
١٨٧ هـ	١٨٧ هـ

(٢)

الكسائي

١٨٩ هـ

(٣)

الاحمر	الفراء	اللحياني
١٩٤ هـ	٢٠٧ هـ	٢٢٠ هـ

(٤)

ابن سعدان	الطوال	ابن السكيت
٢٣١ هـ	٢٤٣ هـ	٢٤٤ هـ

(٥)

ثعلب

٢٩١ هـ

كوفيـــة

غير ان الكوفيين كانوا أسبق الى بغداد عاصمة الخلافة من البصريين لمكان الكوفة منها من الوجهتين السياسية والجغرافية(١) وكان علماؤها اسبق اتصالا بقصور الخلفاء والأمراء فكان الكسائي ـ مثلا ـ ملازما للرشيد حتى مات في سنة ١٨٩ هـ وكان تلميذه يحيى بن زياد الفراء متصلا بالمأمون وأمره ان يجمع أصول النحو في كتاب وأفرد له مكاناً خاصاً في دار الحكمة ووكل به من يقوم بحاجته وصنف له كتاب (الحدود) .

وكانت اول محاولة لنحاة البصرة للاتصال بالخلفاء هي محاولة سيبويه التي رجع منها خائباً حتى أنجح أبو العباس محمد بن يزيد المبرد المتوفى سنة ٢٨٥هـ خاتمة اعلام النحويين البصريين وآخر من يذكر في طبقات البصريين في الاتصال بالمتوكل والتغلب على نده أبي العباس احمد بن يحيي ثعلب في كثير من مناظراته معـه حتى انحاز اليه جماعة من تلامذة ثعلب .

وظهر رجال في بغداد يأخذون بهذا المذهب أو ذاك أو يمزجون بين المذهبين اختلف المترجمون لهم في عدهم مع البصريين او الكوفيين أو يطلقون عليهم احيانا اسم البغداديين واطلقوا على التطور النحوي الذي حدث في بغداد اسم (المدرسة البغدادية) كما سنذكره . وبرز رجال في بغداد بعد المبرد ممن تلمذ له أو لتلامذته من اعلام النحاة من أمثال ابي اسـحاق الزجاج وأبي بكر محمد بن السرى السراج وأبي علي الفارسي وأبي سعيد السيرافي وعلي بن عيسى الرماني وعلي بن عيسى الربعي وابن خالويه وغيرهم منـذ نهاية القرن الثالث الهجري والرابع الهجري الى القرن الخامس والسادس .

عصره وفساد الألسنة فيه :

مما يذكر من مظاهر هذا العصر فشو اللحن وخصوصاً في الدور والشوارع

(١) نظرات في اللغة والنحو ـ طه الراوي ص ٩٥

وذلك لكثرة الجواري والنساء الأعجميات وغلبة الديلم والأتراك حتى على القصور (١) ولما ذكرناه من غلبة العناصر الأخرى على الخلافة وغزوها في عقر دارها. وظهور بوادر اللحن على الالسنة قديم لم تسلم منه السنة عاشت في الجاهلية وهو رأي طائفة من الباحثين، فقد ذكر ان الرسول (ص) قال: رحم الله امرءا أصلح من لسانه، غير ان اصلاح اللسان شيء علم وأن رجلا تكلم بحضرته ممثلا لوفد فلحن فقال صلى الله عليه وسلم للوفد: أرشدوا اخاكم فقد ضل. وذكروا سقطات في زمن عمر بن الخطاب في اللسان والكتابة دعت عمر أن يأمر عامله ابا موسى بضرب كاتب كتاب أرسل به اليه فيه لحن سوطا، واشتد في زمن الامام علي وصدر الدولة الاموية حتى دعا ذلك زيادا أن يأمر بنقط المصحف لتدارك اللحن فيه، وأن تظهر النواة لشجرة النحو.

وأخذ فساد الألسنة يسرى ويستشرى حتى عم الحواضر وبدأ يسري الى البادية ومواطن الفصاحة حتى اختلت الالسنة وانتقضت الفصاحة. وذكروا في ساقة الشعراء الاسلاميين، ابراهيم بن علي، المعروف بابن هرمة وكان قد توفي في اواسط القرن الثاني للهجرة، وذكروا على رأس المولدين بشار بن برد المتوفى سنة ١٦٧هـ (٢) اي من الذين لايستشهد بأقوالهم. هذا في القرن الثاني للهجرة فما ظنك بالقرن الرابع الذي هو عصر نحوينا أبي الفتح؟

يصف ابن جني عصره وما دخل فيه على الالسنة من اضطراب حتى لاتكاد ترى بدوياً فصيحاً فيقول «- وكذلك لو فشا في أهل الوبر ماشاع في لغة أهل المدر من اضطراب الالسنة وخبالها وانتقاض عاده الفصاحة وانتشارها لوجب رفض لغتها وترك تلقي ما يردعنها وعلى ذلك العمل في وقتنا هذا لانا لا نكاد نرى بدوياً فصيحاً وان نحن آنسنا منه فصاحة في كلامه لم نكد نعدم مايفسد ذلك ويقدح فيه

(١) ظهر الاسلام ٢/١٨

(٢) نظرات في اللغة والنحو ص٢٣

وينال ويغض منه(١) » ويضرب مثلا لرجل طرأ عليه ، يدعي الفصاحة البدوية » وتلقى اكثر كلامه بالقبول حتى انشده شعراً لنفسه وجاء بالفاظ على غير قياس وعلى ما لا اصل له من مثل « اشاؤها وأداؤها » وشعراً آخر له يقول فيه » كأن فاي(٢) فقوي في نفسه بعده عن الفصاحة . ثم يقول فيه بعد « وعلى ان هذاالرجل الذي أومأت اليه من امثل من رأيناه ممن جاءنامجيئه وتحلى عندنا حليته »(٣).

على أن هـذا العصر لم يعدم فصيحاً كما ذكر ابن جني نفسه فقد ذكر ان اعرابياً كان يحضره وهو من الفصحاء هو أبو عبدالله محمد بن العساف العقيلي الجوثي التميمي - تميم جوثة - ويذكره احيانا باسم الشجري وكرر ذكره في مواضع عدة من كتبه(٤) . ويذكر ايضا انه سأل غلاماً فصيحا عن لفظة فيقول : - وسألت غلاما من آل المهيا فصيحاً عن لفظـة من كلامه لايحضرني الآن ذكرها فقلت : أكذا أم كذا ؟ فقال : كذا بالنصب لانه أخف . فجنح الى الخفة وعجبت من هذا مع ذكره النصب بهذا اللفظ .

وأظنه استعمل هذه اللفظة لانها مذكورة عندهم في الانشاد الذي يقال له النصب مما يتغنى به الركبان »(٥) .

اذن فابن جني عاش في عصر ساد فيه اللحن واضطراب الالسنة والتباعد عن الفصـاحة وعم ذلك الاعراب حتى لاتكاد ترى بدوياً فصيحاً وقـد ذكر ذلك هو نفسه .

---

(١) الخصائص ٢/٥

(٢) القياس أن يقول : كأن فيّ مثل كأن أبي ، فالاسماءالستة لاتعرب بالحروف اذا أضيفت الى ياء المتكلم كما هو معلوم

(٣) الخصائص ٢/٥-٨

(٤) الخصائص ١/٧٦ ، ٧٨ ، ٢٤٠ ، ٢/٢٦ ، المبهج ٦٧

(٥) الخصائص ١ / ٧٨

أشهر النحويين في عصره

أبرز النحويين في عصر ابن جني ثلاثة ـ أبو علي الفارسي وأبو سعيد السيرافي وعلي بن عيسى الرماني .

أبو سعيد السيرافي » ـ ٢٨٤ هـ ـ ٣٦٨ هـ

الحسن بن بهزاد عبدالله بن المرزبان السيرافي القاضي النحوي(١) كان ابوه مجوسياً اسمه« بهزاد » فأسلم فسماه أبوسعيد عبدالله(٢) . ولد ابوسعيد بسيراف (٣) من اصل فارسي . ابتدأ فيها بتحصيل العلم(٤) وتلقى فيها علوم العربية على كثير من علمائها(٥) خرج من بلده قبل العشرين وثلثمائة فمضى الى عمان وتفقه فيها على مذهب أبي حنيفة النعمان ثم رجع الى بلده فأقام فيها قليلا ثم رجع الى عَسكر مُكرَم(٦) فأقام بها مدة قرأ فيها على محمد بن عمر الصيمري المتكلم(٧) واخذ عن اعلامها في النحو واللغة والادب وعلوم الكلام والدين وهاجر الى بغداد بعد ذلك

---

(١) اللباب ١ / ٥٨٦ ، البغية ٢٢١

(٢) معجم الادباء ٨ / ١٤٦ ، اللباب ١ / ٥٨٦

(٣) جاء في معجم البلدان « سيراف » بكسر اوله وآخره فاء . . . مدينة جليلة على ساحل بحر فارس وذكر ان بين سيراف والبصرة اذا طاب الهواء سبعة ايام : قال « ـ ومن سيراف هذه ابو سعيد الحسن ابن عبدالله السيرافي النحوي :

(٤) الفهرست ص ٩٩ ، مجلة المجمع العلمي العربي ـ المجلد ٢٤ ج ٤ / ٥٤٢

(٥) تمهيد كتاب اخبار النحويين البصريين ص ٣

(٦) جاء في معجم البلدان « ـ عسكر مكرم . بضم الميم وسكون الكاف وفتح الراء وهو مُفْعَل من الكرامة وهو بلد مشهور من نواحي خوزستان منسوب الى مُكْرَم بن معزاء الحارث احد بني جعونة بن الحارث بن نمير بن عامر بن صعصعة

(٧) الفهرست ٩٩ ، مجلة المجمع العلمي العربي ـ المجلد ٢٤ ج ٤ / ٥٤٢

وهو مكتهل الرجولة(١) . سكن بغداد وكان من أعلم الناس بنحو البصريين وقرأ القرآن على ابي بكر بن مجاهد ، واللغة على ابي بكر بن دريد والنحو على ابي بكر بن السراج وعلى ابي بكر مبرمان ثم كان الناس يشتغلون عليه بعدة علوم منها القرآن والقراءآت وعلوم القرآن والنحو واللغة والفقه(٢) . اتصل بالقاضي أبي محمد بن معروف قاضي قضاة بغداد فقرأ هذا عليه العربية(٣) وكان فقيهاً على مذهب الحنفيين العراقيين وخلف القاضي أبا محمد بن معروف على قضاء الجانب الشرقي ثم الجانبين ثم الجانب الشرقي(٤) .

وقيل كان معتزلياً فقد قدمنا انه درس على محمد بن عمر الصميري المتكلم ولم يظهر منه شيء وكان لا يأكل الا من كسب يده ، ينسخ ويأكل منه وسمع الحديث من محمد ابن أبي الازهر البوشنجي وأبي عبيد بن حربويه وروى عنه الحسين بن محمد بن جعفر الخالع وغيره(٥) .

كثر تلاميذه والاخذ عنه والانتفاع به في فروع العلم المختلفة وتخرج به جمهرة من الفحول الأجلة كابن خالويه والحسين بن حماد المشهور (ياقوت ٤/٤) واسماعيل بن حماد الجوهري صاحب الصحاح (ياقوت ٢٦٦/٢) وأبي علي المحسن ابن ابراهيم الصابي (١٥٣/٨) وعلي بن المستنير حفيد قطرب (ياقوت ١٧٨/٨) وغيرهم(٦) وتلمذ له أبو حيان التوحيدي وهو يحكي عنه في كتابه (الامتاع

---

(١) تمهيد كتاب اخبار النحويين البصريين ص ٣

(٢) معجم الادباء ٨ / ١٤٦ ، اللباب ١ / ٥٨٦

(٣) مجلة المجمع العلمي العربي المجلد ٢٤ ج ٥٤٢/٤

(٤) الفهرست ٩٩

(٥) اللباب ١ / ٥٨٦

(٦) مجلة المجمع العلمي العربي - محمد أسعد طلس المجلد ٢٤ ج ٥٤٥/٤

والمؤانسة) ويروي ما يرويه عنه في اجـلال وتوثيق(١) وكان يقول فيه :ـ « أبو سعيد بعيد القرين لانه كان يقرأ عليه القرآن والفقه والشـروط والفرائض والنحو واللغة والعروض والقوافي والحساب والهندسة والحديث والاخبار وهو في كل هذا إما في الغاية وإما في الوسط(٢) .

ومن المسائل النحوية التي ذكرها له تلميذه هذا ـ

١ ـ « الحروف التي تتعدى الى الافعال ، والافعال التي تتعدى بالحروف يراعى فيها السماع فقط لا القياس .

قال : « هذا كان مذهب أمامنا أبي سعيد(٣) » .

٢ ـ وقال :ـ « وسمعت أبا سعيد السيرافي يقول : الاعراب حركة تحـل بآخر حرف من الاسم كالدال من زيد(٤)» .

٣ ـ وكان غـيره يقول :ـ الاسماء أصـل والافعال فروع عليها ، وسمعته يقول :ـ « المذكر أصل والمؤنث فرع والمذكر أخف والمؤنث أثقـل ، والنكرة أخف من المعرفة لان النكرة حال الاسم في الاول .

والوصف أثقل من الموصوف لان الموصوف أصل والوصف تابع له ، لانه لايشتبه بالفعل في وقوعه موقعه كقولك « هذا رجل يضرب زيداً » فتصفه به كما تقول « هذا رجل ضارب زيداً(٥) » .

توفى أبو سعيد في رجب سنة ثمان وستين وثلثمائة ببغداد عن اربع وثمانين

---

(١) ظهر الاسلام ٢٤٢/١

(٢) الامتاع والمؤانسة ١٣٣/١ ، وانظر ٢٢١/١ ، ٢٢٢ ، ٢/٢ ، ١٧٨/٣ ، ١٩٩/٣

(٣) الامتاع والمؤانسة ٢٢١/١

(٤) البصائر والذخائر ١٧٥

(٥) البصائر والذخائر ١٧٥

سنة(١) وقد رثاه الشريف الرضي بقصيدة منها(٢)

لم ينسـنا كافي الكفاة مصابه ... حتى دهانا فيك خطب مضلع
قرح على قرح تقارب عهده ... ان القروح على القروح لأوجع
وتلاحق الفضلاء أعدل شاهد ... ان الحمام بكل علق مولع

ومن آثاره - شرح كتاب سيبويه ، والفات القطع والوصل ، واخبار النحويين البصريين ، وشرح مقصورة ابن دريد ، والاقناع في النحو ولم يتمه فتمه ابنه يوسف وكان يقول « وضع أبي النحو في المزابل بالاقناع يريد انه سهله ، وغير تلك من الكتب(٣) .

علي بن عيسى الرماني : ٢٩٦ هـ - ٣٨٤ هـ

ابو الحسن علي بن عيسى بن عبدالله الرماني(٤) النحوي المتكلم الاخشيدي . أخذ الكلام عن ابن الاخشيد المتكلم فنسب اليه(٥) ولد سنة ٢٩٦ هـ ونشأ بالرمان بمدينة واسط ثم وفدالى بغداد فأخذ عن الزجاج وابن دريد وابن السراج(٦) وغيرهم ونبغ في العربية مؤيدا المذهب البصري مع ميل الى الفلسفة لانه معتزلي وظهر ذلك في دراسته وتآليفه حتى قال الفارسي فيه : ان كان النحو مايقوله الرماني فليس معنا منه شيء وان كان النحو مانقوله فليس معه منه شيء(٧) .

---

(١) اللباب ١ / ٥٨٦

(٢) يتيمة الدهر ١ / ١٣٦

(٣) معجم الادباء ٨ / ١٤٩

(٤) معجم الادباء ١٤ / ٣٣ ، اللباب ١ / ٤٧٥

(٥) معجم الادباء ١٤ / ٧٤ ، مجلة المجمع العلمي العربي - المجلد ٢٥ ج ١ / ٨٣

(٦) ياقوت ٧٤/١٤

(٧) معجم الادباء ٧٥/١٤ ، نشأة النحو ١٥٧

روى عنه ابو القاسم التنوخي وأبو محمد الجوهري(١) ، وتخرج عليه علي بن كردان النحوي وأحمـــد بن أبي بكر العبـــدي ومحمد بن أحمد بن عمر الخلال اللغوي وغيرهم(٢) .

وكان أبو حيان التوحيدي يسميه الشيخ الصالح(٣) وقال فيه انه عالي الرتبة في النحو واللغة والكلام والعروض والمنطق وعيب به . هذا مع الدين الثخين والعقل الرزين(٤) .

توفي في جمادى الاولى سنة اربع وثمانين وثلاثمائة(٥) ومن مؤلفاته في النحو شرح كتاب سيبويه وشرح مقتضب المبرد وشرح اصول ابن السراج(٦) وغيرها وعمل في القرآن كتابا نفيسا . (٧)

أبو علي الفارسي :-

اما الحسن بن احمد بن عبدالغفار الفارسي الفسوي شيخ ابن جني فقد ترجمنا له وترسمنا طرفاً من صفاته ونهجه في بحثه .

كان أبو علي الفارسي واجـــداً على السيرافي والرماني وكانا واجدين عليه ، ويذكر أبو حيان التوحيدي أن ابا علي متقد بالغيظ على ابي سعيد والحسد له لأنه شرح كتاب سيبويه (٨)

---

(١) اللباب ٤٧٥/١

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي - المجلد ٢٥ ج ١/ ٨٣

(٣) الامتاع والموانسة ١/ ١٠٧ ، ٣/ ١٣٠

(٤) الامتاع والمؤانسة ١/ ١٣٣

(٥) اللباب ١/ ٤٧٥

(٦) نشأة النحو ١٥٧

(٧) الامتناع والمؤانسة ١/ ١٣٣

(٨) الامتاع والمؤانسة ١/ ١٣١

ويعقد أبو حيان موازنة بين هؤلاء الثلاثة فيقول :-

«أبو سعيد اجمع لشمل العلم وانظم لمذاهب العرب وادخل في كل باب واخرج من كل طريق والزم للجادة الوسطى في الدين والخلق (١)».

وذكر ان نوح بن نصر خاطبه بالامام والمرزبان بن محمد ملك الديلم من اذربيجان خاطبه بشيخ الاسلام وابن خنزابة من مصر خاطبه بالشيخ الجليل وهم يسألونه في القرآن والحديث والفقه ومسائل مختلفة(٢) .

« واما أبو علي فأشد تفرداً بالكتاب (٤) وأشد اكبابا عليه وأبعد من كل ما عداه مما هو علم الكوفيين وما تجاوز في اللغة كتب ابي زيد واطرافاً مما لغيره . وهو متقد بالغيظ على ابي سعيد وبالحسد له كيف تم له تفسير كتاب سيبويه ... لأن هذا شيء ما تم للمبرد ولا للزجاج ولا لابن السراج ولا لابن درستويه مع سعة علمهم وفيض كلامهم ...

ولأبي علي أطراف من الكلام في مسائل اجاد فيها ولم يأتل ولكنه قعد على الكتاب (٣) على النظم المعروف .

وأبو علي يشرب ويتخالع ويفارق هدي أهل العلم وطريقة الربانيين وعادة المتنسكين .

وأبو سعيد يصوم الدهر ولا يصلي إلا في الجماعة ويقيم على مذهب أبي حنيفة ويلي القضاء سنين ويتأله ويتحرج وغيره بمعزل عن هذا . (٤) وأما علي بن عيسى (الرماني) - وقد تقدم ذكر اكثر هذا في ترجمته - فعالي الرتبة في النحو واللغة والكلام والعروض والمنطق وعيب به الا انه لم يسلك طريق واضع المنطق بل أفرد

---

(١) الامتاع والمؤانسة ١/١٠٧

(٢) الامتاع والمؤانسة ١/١٢٩

(٣) يعني كتاب سيبويه

(٤) الامتاع والمؤانسة ١/١٣١-١٣٢

صناعة واظهر براعة ... هذا مع الدين الثخين والعقل الرزين(١) .

والذي يظهر من هذه الموازنة التي عقدها أبو حيان أن أبا حيان كان متعصباً لشيخه رافعاً له وبصورة خاصة على أبي علي الفارسي .

ان طريقة أبي علي الفارسي هو الاهتمام بالقياس - كما علمنا - ولا يهمه أن يخطىء في خمسين مسألة لغوية على أن لايخطىء في واحدة من القياس(٢) . ووجد للشيخ أبي محمد بن الخشاب بخطه « كان شيخنا يعني أبا منصور موهوب بن الخضر الجواليقي قلما ينبل عنده ممارس للصناعة النحوية ولو طال فيها باعه ما لم يتمكن من علم الرواية وما تشتمل عليه من ضروبها ولا سيما رواية الاشعار العربية وما يتعلق بمعرفتها من لغة وقصة . ولهذا كان مقدماً لابي سعيد السيرافي على أبي علي الفارسي رحمهما الله . وأبو علي أبو علي في نحوه وطريقة أبي سعيد في النحو معلومة ، ويقول : أبو سعيد أروى من أبي علي وأكثر تحققاً بالرواية وأثرى منه فيها . وقد قال لي غير مرة لعل أبا علي لم يكن يرى فيما يراه أبو سعيد من معرفة هذه الاخباريات والانساب وما جرى في هذا الاسلوب كبير أمر(٣) .

وكان الناس يقولون :- أبو سعيد أكثر رواية وأبو علي أكثر دراية(٤) ، ويعد أبا سعيد زعيم المحافظين وأبا علي زعيم الاحرار في اللغة(٥) .

أما أبو الحسن الرماني فهو ولوع بالمنطق وكان من كبار المعتزلة وقد أكثر من البحث في المنطق والكلام وما اليهما والف في ذلك كثيراً(٦) وكانت كتب أبي

---

(١) الامتاع والمؤانسة ١/١٣٣

(٢) الخصائص ٢/٨٨

(٣) مقدمة سر الصناعة ص ٢٨

(٤) ظهر الاسلام ٢/٩١

(٥) المصدر السابق

(٦) مجلة المجمع العلمي العربي - المجلد ٢٥ ج ١/٨٣

الحسن الرماني وأسلوبه في جدله واحتجاجه صورة ناطقة بغلبة المنطق(١) وقد مرّ بنا أن أبا علي الفارسي كان يقول فيه :- ان كان ما يقوله الرماني هو النحو فليس معنا منه شيء(٢) وذكر ياقوت أن الناس كانوا يقولون في هؤلاء الثلاثة :- « النحويون في زماننا ثلاثة : واحد لايفهم كلامه وهو الرماني وواحد يفهم بعض كلامه وهو أبو علي الفارسي وواحد يفهم جميع كلامه بلا استاذ وهو أبو سعيد السيرافي(٣) » .

أما الفارسي فكان يميل الى المنطق وأقيسته ويطبقها في بحوثه في العربية ولا يغالي في ذلك مغالاة الرماني وهو وسط بين الرجلين على ما ذكر ياقوت .

هؤلاء هم أشهر النحويين في عصر أبي الفتح عثمان بن جني .

دراساته

في اللغة والاصوات :-

اشتهر ابن جني بدراساته اللغوية المستفيضة حتى عرف عنه أنه لغوياً أكثر منه نحوياً . وان تصفحت كتبه ولاسيما الخصائص وسر الصناعة وجدت دراساته في اللغة عميقة مستفيضة تنم على سعة اطلاع ورسوخ قدم في هذا الباب لم يكد أحد يبلغ ما بلغ فيه .

تكلم في اللغة وحدّها بـ « انها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم(٤) » . وعرض لنظريات نشوء اللغة وذكر ان فريقاً قال انها وحي وتوقيف من عند الله وذكر ان شيخه أبا علي كان يذهب الى هذا المذهب .

---

(١) مدرسة الكوفة ٢٩٠

(٢) معجم الادباء ١٤/٧٥

(٣) معجم الادباء ١٤/٧٥

(١) الخصائص ١/٣٣

وان فريقاً آخر قالوا انما هي تواضع واصطلاح ويقول ابن جني ان أكثر أهل النظر على هـذا الامر ، وذلك كأن يجتمع حكيان أو ثلاثة فصاعداً فيحتاجوا الى الابانة عن الاشياء المعلومات فيضعوا لكل واحـد منها سمة ولفظاً اذا ذكر عرف به ما مسماه ليمتاز عن غيره وليغنى بذكره عن احضاره الى مرآة العين .

وذهب بعضهم الى أن أصل اللغات كلها انما هو من الاصوات المسموعات كدوي الريح وحنين الرعد وخرير الماء وشحيج الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس ونزيب الظبي ونحو ذلك ، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعـد ، وهـذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل(١) .

ثم ذكر أنـه توقف عن الاخذ بأي رأي فيقول « فأقف بين تين الخلتين حسيرا وأكاثرهما فأنكفىء مكثورا وان خطر خاطر فيما بعد يعلق الكف باحدى الجهتين ويكفها عن صاحبتها قلنا به(٢) » .

فهو يستحسن الرأي القائل ان اللغة مضارعة للاصوات ولم يقطع بـه فيما وجدت من كتبـه التي بين يدي ، اما قول من قال ان ابن جني جزم بانها تواطؤ واصطلاح اي انه مال الى المذهب الوضعي(٣) فلم أجد مايؤيده في كتبه . قال في الخصائص « قد تقدم في اول الكتاب القول على اللغة أتواضع هي ام الهام وحكينا وجوزنا فيها الامرين جميعاً »(٤) وذكر ذلك السيوطي في الاقتراح قال « والمذهب الثالث الوقف اي لايدرى أهي من وضع الله أو البشر لعدم دليل قاطع في ذلك وهو الذي اختاره ابن جني اخيراً »(٥) .

(١) الخصائص ١/٤٠-٤٧

(٢) الخصاص ١/٤٧

(٣) تاريخ آداب العرب ـ للرافعي ١ / ٤٦ حاشية

(٤) الخصائص ٢ / ٢٨

(٥) الاقتراح ص ٧

والرأي الذي استحسنه ابن جني ولم يقطع به هو النظرية المتقبلة التي ذهب اليها معظم المحدثين وهو الرأي الذي يقول ان اللغة الانسانية نشأت من الاصوات الطبيعية : التعبير الطبيعي عن الانفعالات ، اصوات الحيوان ، أصوات مظاهر الطبيعة ، الاصوات التي تحدثها الافعال عند وقوعها كصوت الضرب والقطع والكسر وسارت في سبل الرقي شيئاً فشيئاً(١) .

اما رأي شيخه فقد ذكره ابن جني نفسه فقال « الا ان ابا علي رحمه الله قال لي يوماً هي من عند الله واحتج بقوله سبحانه « وعلم آدم الاسماء كلها » وهذا لايتناول موضع الخلاف . وذلك انه قد يجوز ان يكون تأويله « أقدر آدم على أن واضع عليها »(٢) وذكر المرحوم الرافعي أن رأي الفارسي وابن جني هو التواطؤ والاصطلاح قال « وفريق آخر ذهب الى ان الانسان طفل تاريخي ، فاللغة درس تقليدي طويل مداره على التواطؤ والاصطلاح ، وهذا هو المذهب الوضعي وبه قال ديودورس وشيشرون واليه ذهب أبوعلي الفارسي وتلميذه ابن جني وطائفة من المعتزلة »(٣) .

والصواب ما اثبتناه الا اذا كان بين الآراء رأي آخر له رآه مؤخراً لم نطلع عليه.

وتكلم في (الاشتقاق الاكبر) في اللغة . والاشتقاق الاكبر هو « ان تأخذ أصلا من الاصول الثلاثية فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً ، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه ، وان تباعد شيء من ذلك عنه رد بلطف الصنعة والتأويل اليه كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد»(٤) وذلك نحو « ق و ل » فان معناها اين وجدت وكيف وقعت من تقدم بعض حروفها

(١) علم اللغة ـ علي عبد الواحد في ص ٩٥ ـ ٩٦

(٢) الخصائص ١ / ٤٠

(٣) تاريخ آداب العرب ١ / ٤٦

(٤) الخصائص ٢ / ١٣٤

على بعض وتأخره عنه انما هو للخفوف والحركة(١) ، والتراكيب الستة هي : قول ، قلو ، وقل، ولق ، لقو ،لوق(٢) ونحوه«كلم» ، فانها حيث تقلبت فمعناها الدلالة على القوة والشدة(٣) والمستعمل منها أصول خمسة وهي : كلم ، كمل ، لكم ، مكل ، ملك(٤) .

وكان شيخه ابو علي يخلد اليهـا ويستعين بها من غير ان يسميها او يجعلها نظرية(٥) .

ولو تصفحت كتاب (العين) لوجدته يدور على تقاليب الكلمة الواحدة ويذكر المستعمل منها مثل : عهج وهجع(٦) ،ومثل (هعل ، عله ، هلع ، لهع)(٧) ومثل (عشق قعش ، قشع ، شقع)(٨) ومثل (عقص ، قعص ، قصع ، صعق ، صقع)(٩) ومثل (قعد ، قدع ، عقد ، عدق ، دعق ، دقع)(١٠) .

وكذلك كتاب (جمهرة اللغة) لأبي بكر بن دريد يسير على نفس المنهج مثل (ب ث ن) (النبث ، الثبن)(١١) ومثل (ب ث و) (باث، ثاب، الوثب)(١٢)

---

(١) الخصائص ١ / ٥

(٢) الخصائص ١ / ٥

(٣) الخصائص ١ / ٣

(٤) الخصائص ١ / ١٣

(٥) الخصائص ١ / ١٢ ، ٢ / ١٣٣

(٦) العين ص ٣٦ ، ٣٧

(٧) العين ٤١ ـ ٤٣

(٨) المصدر السابق ٥٢ ـ ٥٣

(٩) المصدر السابق ٥٤ ـ ٥٥

(١٠) المصدر السابق ٦٣ ـ ٦٨

(١١) جمهرة اللغة ص ٢٠٤

(١٢) جمهرة اللغة ص ٢٠٤

ومثل (ب ح ر) (البحر ، البرح ، الحبر ، الحرب ، الربح ، الرحب)(١) ومثل (ب ر س) (البرس ، البسر ، الربس ، رسب ، السرب ، سبر)(٢) .

والفرق بين عمل ابن جني وصاحب العين والجمهرة ان ابن جني حاول ان يعقد على التقاليب الستة للكلمة معنى واحداً وان تباعد شيء من ذلك رده بلطف التأويل اليه ، اي ان له فضل الربط وايجاد الصلة بين هذه الالفاظ ذات الاصول الواحدة .

وذكر الاب انستاس الكرملي ان «جمهور اللغويين انتبهوا الى اصول الكلم وما بينها من المعاني على انهم لم ينبهوا في كل منها على ذلك الاشتراك الظاهر لكل ذي عينين اما لوضوح الامر ، واما لانهم لم يروا فيه عظيم الفائدة واما لاسباب نجهلها . وقد سبق جميع اصحاب المعاجم الليث بن نصر بن سيار الخراساني في كتابه (العين) المنسوب وهماً الى الخليل بن احمد الفراهيدي فانه نبه في صدر كل ترجمة مايشعر ان في التركيب الفلاني المعنى الفلاني ، وان لم يصرّح به تصريحاً بيناً .»(٣)

وجاء ابن جني فأشار تصريحاً الى المعنى الواحد الذي تدور عليه تقاليب الكلمة الستة وان تباعد شيء من ذلك رده بلطف الصنعة والتأويل اليه ، فهو الذي منح هذه النظرية اسمها ووسع القول فيها . وكان شيخه ابو علي يخلد اليها ويستعين بها من غير ان يسميها(٤)

ولا شك ان هذه النظرية تشهد للقائلين لها بنفاذ نظرهم وعمق ادراكهم إذ انتبهوا الى هذه الفكرة قبل اهل الغرب ، والآن ترى غير ابناء الضاد يشيرون في

---

(١) المصدر السابق ٢١٧

(٢) المصدر السابق ٢٥٥

(٣) نشوء اللغة ـ للكرملي ١٠٩

(٤) الخصائص ١ / ١٢ ، ٢ / ١٣٣

معاجمهم المطولة الباحثة عن الاصـول الى أصل المادة بقولهم : وهـذا الأصل يفيد كذا(١) .

وهو رأي يصيب أحياناً ويخطىء أحياناً وليس مطرداً في اللغة جميعها كما أشار هو نفسه ، قال : « واعلم أنا لا ندعي أن هـذا مستمر في جميع اللغة كما لا ندعي للاشتقاق الاصغر أنه في جميع اللغة . بل اذا كان ذلك الذي في القسمة سدس هذا أو خمسه متعذراً صعباً كان تطبيق هـذا واحاطته أصعب مذهباً وأعز ملتمساً . بل لو صح من هذا النحو وهذه الصنعة المادة الواحدة تتقلب على ضروب التقلب كان غريباً معجباً فكيف به وهو يكاد يساوق الاشتقاق الاصغر ويجاريه الى المدى الابعد(٢) ؟ » .

والرأي عندي أنه لايطرد اطراد الاشتقاق الاصغر ولا يجاريه تلك المجاراة التي ذكرها . ولاشك ان هذا الرأي يدل على عمق فكره ونفاذ رأيه وقوة ملاحظته .

وتكلم في (تركب اللغات وتداخلها) ونعى في هـذا البحث على ضعاف اللغويين الذين جمعوا أشياء على وجـه الشذوذ عندهم وأدعوا انها موضوعة في أصل اللغة على ما سمعوه بأخَرة من أصحابها نحو فعِل يفعُل مثل نعِم ينعُم ودِمت تدوم ومِت تموت ونحو قَلى يقلى وسلا يسلى وجبى يجبى وركَن يركَن وقنَط يقنَط في حين أن أكثر ذلك وعامته انما هو لغات تداخلت فتركبت(٣) . اذ يسمع العربي من قبيلته لفظة ومن قبيـلة أخرى لفظة فتتداخـل اللغتان وتجتمعان في كلامه(٤) . وكان موفقاً للاصابة كل التوفيق حين عرض في هـذا الباب لقانون

---

(١) نشوء اللغة ـ للكرملي ١٠٩

(٢) الخصائص ٢/١٣٨-١٣٩

(٣) الخصائص ١/٣٧٤-٣٧٥

(٤) الخصائص ١/٣٧٠-٣٧٤ الى آخر الباب

المغايرة الذي اعترف به المحدثون وأشاروا الى أهميته في الاشتقاق(١) فقد قال ما نصه :ـ « وقد دلت الدلالة على وجوب مخالفة صيغة الماضي لصيغة المضارع(٢)» ثم قال :ـ « ألا ترى أن ما ماضيه فعِل انما بابه فتح عين مضارعه نحو ركِب يركَب وشرِب يشرَب . فكما فتح المضارع لكسر الماضي فكذلك أيضاً ينبغي أن يكسر المضارع لفتح الماضي ، وانما دخلت (يفعُل) في باب فعَل على يفعِل من حيث كانت كل واحدة من الضمة والكسرة مخالفة للفتحة(٣) » .

وتكلم في (مساوقة الالفاظ للمعاني) أو مايسميه « تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني » وذكر من ذلك ماذهب اليه الخليل وسيبويه من ان العرب توهموا في صوت الجندب استطالة فقالوا صرّ الجندب وتوهموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا صرصر البازي . وهذا الذي لحظه الخليل وسيبويه اشبعه ابن جني بحثاً .

ويضرب لذلك أمثلة فيقول :ـ وذلك انك تجد المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير نحو الزعزعة والقلقلة والصلصلة...ووجدت ايضا « الفَعَلى » في المصادر والصفات انما تأتي في السرعة نحو :ـ البَشَكى والجَمَزى ... فجعلوا المثال المكرر للمعنى المكرر ـ اعني باب القلقلة ـ والمثال الذي توالت حركاته للافعال التي توالت الحركات فيها(٤) .

ويتكلم في مقابلة الالفاظ بما يشاكل أصواتها من الاحداث ويرى انهم كثيرا مايجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها فيعدّ لونها ويحتذونها عليا(٥). من ذلك قولهم :ـ خضم وقضم فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ

(١) في اللهجات العربية ـ ابراهيم أنيس ١٥٣

(٢) الخصائص ١/٣٧٥

(٣) الخصائص ١/٣٧٩

(٤) الخصائص ٢/١٥٣

(٥) الخصائص ٢/١٥٧

والقثاء والقضم للصلب اليابس . فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب والقاف لصلابتها لليابس حذوا لمسموع الاصوات على مسموع الاحداث(١) . ويقول في «التمام» :- ومنه قولهم بحث التراب ونحوه وهو على ترتيب الاصوات الحادثة عنده ، فالباء للخفقة بما يبحث به عن التراب والحاء فيما بعد كصوت رسوب الحديدة ونحوها اذا ساخت في الارض والثاء لحكاية صوت ما ينبث من التراب فتأمله(٢) » .

وكما كان لابن جني فضل كبير في دراسة اللغة فقد كان له فضل كبير جداً في دراسة الاصوات وتوسعة الكلام عليها واختلاف اصدائها بل قيل ان له الفضل الاكبر في ذلك(٣) .

بحث في (سر الصناعة) الحروف المفردة وقسمها حسب مدارجها الصوتية تقسيما يختلف عن تقسيم (العين) وذكر أن التقسيم المذكور في العين غير دقيق، ودرسها دراسة مستفيضة حتى قال بعد الكلام في مخارج الحروف :- « وما علمت أن أحداً من أصحابنا خاض في هذا الفن هذا الخوض ولا أشبعه هذا الاشباع ومن وجد قولا قاله(٤) » .

ويضرب مثلا رائعاً في اختلاف الاجراس في الحروف ويشبهها بالآلات الموسيقية فيقول :- « ولاجل ما ذكرنا من اختلاف الاجراس في حروف المعجم باختلاف مقاطعها .. ما شبه بعضهم الحلق والفم بالناي ، فان الصوت يخرج فيه مستطيلا أملس ساذجاً كما يجري الصوت في الالف غفلا بغير صنعة ... ونظير ذلك أيضاً وتر العود فان الضارب اذا ضربه وهو مرسل سمعت له صوتاً فان حصر آخر العود ببعض أصابع يسراه أدى صوتا آخر ، فان ادناها قليلا سمعت غير

(١) المصدر السابق

(٢) التمام ١٣٠

(٣) دائرة المعارف - فؤاد البستاني ٤١٨/٢

(٤) سر الصناعة ٦٣/١

الاثنين ... فالوتر في هذا التمثيل كالحلق والخفقة بالمضراب عليه كأول الصوت من أقصى الحلق(١) » .

وهو دقيق الملاحظة جداً في تقارب الاصوات وتدرجها ويرى أن الحرف يقلب الى آخر لمضارعته اياه فقد ذكر في ابدال الواو من الباء أن ذلك لأمرين :- « احدهما مضارعتها اياها لفظاً والآخر مضارعتها اياها معنى ، أما اللفظ فلأن الباء من الشفة كما أن الواو كذلك وأما المعنى فلأن الباء للالصاق والواو للاجتماع والشيء اذا لاصق الشيء فقد اجتمع(٢) » .

ويرى أن للصوت والنغمة أثراً في التعبير فيقول :- « وأنت تحس هذا من نفسك اذا تأملته ، وذلك أن تكون في مدح انسان والثناء عليه فتقول :- كان والله رجلا » فتزيد في قوة اللفظ بـ (الله) هذه الكلمة وتتمكن في تمطيط اللام واطالة الصوت بها وعليها أي رجـلا فاضلا أو شجاعاً أو كريماً ونحو ذلك ، وكذلك تقول :-«سألناه فوجدناه انساناً » وتمكن الصوت بانسان وتفخمه فتستغني بذلك عن وصفه بقولك :-«انساناً سمحاً أو جواداً أو نحو ذلك(٣) » .

وقد برهنت التجارب الحديثة على ان الانسان حين ينطق بلغته لايتبع درجة صوتية واحدة في النطق بجميع الاصوات ، ومن اللغات ما يجعل لاختلاف درجة الصوت أهمية كبيرة ، اذا تختلف فيها معاني الكلمات تبعاً لاختلاف درجة الصوت حين النطق بها . ومن أشهر هذه اللغات اللغة الصينية اذ قد تؤدي فيها الكلمة الواحدة عدة معان ويتوقف كل معنى من هذه المعاني على درجة الصوت حين النطق بالكلمة . ففي اللغة الصينية كلمة (فان) مثلا تؤدي ستة معان لاعلاقة

---

(١) سر الصناعة ١/٩

(٢) سر الصناعة ١/١٦٠

(٣) الخصائص ٢/٣٧٠ وما بعدها

بينها هي :ـ (نوم ، يحرق ، شجاع ، واجب ، نعم ، مسحوق) وليس هنـاك من فرق سوى النغمة الموسيقية في كل حالة(١) .

وبهذا التعليل يعلل أبو الفتح قراءة من قرأ (يا حسـره على العباد) بالهاء ساكنة ويرى انما هـو لتقوية المعنى في النفس ، وذلك أنه موضـع وعظ وتنبيه وايقاظ وتحـذير فطال الوقوف على الهاء كما يفعله المستعظم للامر المتعجب منه ، الدال على انه قد بهره وملك عليه لفظه وخاطره . ثم قال من بعد :ـ (على العباد) عاذراً نفسه في الوقوف على الموصول دون صـلة لما كان فيه ودالا للسامع على أنه انما تجشم ذلك على حاجة الموصـول الى صـلته ، وضعف الاعراب وتحجره على جملته ليفيد السامع منه ذهاب الصـورة بالناطق ، ولا يخف ذلك عليك على ما به من ظاهر انتقاض صنعته فان العرب قـد تحمل على الفاظها لمعانيها حتى تفسـد الاعراب لصحة المعنى(٢) » .

من هـذا الاستعراض السريع لنماذج من دراساته في اللغة والاصوات نرى ان ابن جني قـد درسهما دراسة عميقة وانتهى الى نتائج لاتختلف كثيراً عما أثبته المحدثون . يقول الدكتور محمد أسعد طلس :ـ « أما بعد فنحن ازاء آراء أبي الفتح هذه أمام آراء فيلسوف كبير عرف أسرار اللغة ودقائقها حتى ضرب الناس بذلك الامثال ... (و) قـد بذل في اكتناه أسرار هـذا العلم وكشف المخبأ منه جهوداً كثيرة وقرر منذ الف عام كثيراً من القواعد التي أقرها اليوم المستشرقون وعلماء الاصوات(٣) » .

في التصريف :ـ

ذكر ابن جني ان «التصريف» وسيطة بين النحو واللغة يتجاذبانه، والاشتقاق

---

(١) الاصوات اللغوية ـ ابراهيم أنيس ١٠٣

(٢) المحتسب ٢٦٩ـ٢٧٠ مخطوطة مصورة في دائرة اللغة العربية ببغداد

(٣) مجلة المجمع العلمي العربي ـ المجلد ٣٠ ج ٦٢١/٤ـ٦٢٢

أقعد في اللغة من التصريف، كما ان التصريف أقرب الى النحو من الاشـتقاق. فالتصريف انما هو لمعرفة انفس الكلم الثابتة والنحو انما هو لمعرفة أحواله المتنقلة.(١) ولهذا يرى لزاما على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف لان معرفة ذات الشيء الثابتة ينبغي أن يكون أصلا لمعرفة حاله المتنقلة. (٢)

وقد اشتهر ابن جني بالتصريف اشتهارا بالغا. قال ياقوت: - « ولم يكن في شيء من علومه أكمل منه في التصريف، ولم يتكلم أحد في التصريف أدق كلاما منه(٣)، وقال ايضا: - « واعتنى بالتصريف فما أحد أعلم منه به ولا أقوم بأصوله وفروعه ولاأحسن أحداحسانه في تصنيفه(٤)، وقال ابن الانباري نحو ذلك وقال: فانه لم يصنف احد في التصريف ولاتكلم فيه أحسن ولاأدق كلاماً منه. (٥)، وهو امام الصرفيين وسندهم(٦) ويعد ابن جني اكثر الثقات علما بالتصريف(٧). ولو اطلعت على كتابه (المنصف شرح التصريف للامام أبي عثمان المازني) لوجدتـه آية في التصريف لايكاد يضارعه فيه أحد. ويعلل ابن الانباري تبحره في التصريف فيقول: ان السبب في صحبته ابا علي وتغربه عن وطنه ومفارقة اهله مسألة تصريفية فحمله ذلك على التبحر والتدقيق فيه. (٨) الا ان هناك مأخذاً يؤخذ عليه وعلى من

---

(١) المنصف ١/٤

(٢) المصدر السابق

(٣) ياقوت ١٢/٨١

(٤) ياقوت ١٢/٩١

(٥) نزهة الالباء ٢٢١

(٦) تاريخ علوم اللغة العربية ص٢٦

(٧) دائرة المعارف الاسلامية ـ المجلد الاول ١٢٢-١٢٣ ولاحظ دائرة المعارف لفؤاد البستاني ٢/٤٢٠

(٨) نزهة الألباء ٢٢٩ ذكر أن المسألة كانت في قلب الواو الفا في قام وقال

سواه من الصرفيين القدامى على الاطلاق ان شيئا مهما كان يعوزهم هو عدم اطلاعهم على اللغات السامية واللغات الأخرى ومعارضتها بالعربية(١) ولو فعلوا ذلك لجاءت بحوثهم مكتملة أو تكاد ولكن باغفالهم هذه المسألة دخلوا في تعليلات بعيدة عن واقع اللغة وتخريجات وتأويلات في غاية البعد ولو التفتوا لهذا الأمر لسدوا هذه الثلمة في بحوثهم ، واليك على سبيل المثال :

١ ـ (المسك) : جاء في(الخصائص) « وكذا تجد أيضاً معنى (المسك)وذلك أنه (فِعْل) من أمسكت الشيء كأنه لطيب رائحته يمسك الحاسة عليه ولايعدل بها صاحبها عنه »(٢) في حين ان كلمة (مسك) معربة عن الفارسية . (٣)

٢ ـ (الصوار) أي القطعة من المسك » فقيل له (صوار) . لأنه (فعال) من صاره يصوره اذا عطفه وثناه ... وانما قيل له ذلك لأنه يجذب حاسة من يشمه اليه وليس من خبائث الأرواح فيعرض عنه . (٤) والصوار ايضا فارسي كما في (اللسان) . (٥)

٣ ـ (الرطل) جاء في (الخصائص) : « قولهم غلام رطل وجارية رطلة للينها . وهو من قولهم : رطلّ شعره اذا أطاله فاسترخى . ومنه عندي الرطل الذي يوزن به . وذلك ان الغرض في الاوزان أن تميل ابداً الى ان يعادلها الموزون

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي ـ المجلد ٣١ ج١/١١٥

(٢) الخصائص ٢/١١٨

(٣) شفاء الغليل ١٨٢ ، المعرّب للجواليقي ٣٢٥ ، اللغة العربية كائن حي لجرجي زيدان ص ٢٥ حاشية ، فقه اللغة ـ لعلي عبد الواحد وافي ص ٢٠٠ ، مقدمة الخصائص ٣٤

(٤) الخصائص ٢ / ١١٧ ـ ١١٨

(٥) لسان العرب (صور) ، مقدمة الخصائص ص ٣٤

بها »(١) والرطل كما في كتاب (تفسير الألفاظ الدخيلة) معرب عن الآرامية وهو فيها « رِطلا » يراد به ١٢ أوقية(٢) .

٤ ـ (الابريز) جاء في (الخصائص) : « والابريز إفعيل من برز يبرز »(٣) كأنه ابرز من خبثه(٤) وهو معرب اصله يوناني كما في (كتاب تفسير الألفاظ الدخيلة) قال : ابريز يوناني Obryzon معناه الذهب الخالص(٥) . وذكر ابو منصور الجواليقي كذلك انه ليس عربياً محضاً(٦) .

٥ ـ (البرج) : « ومنه البرج لقوته في نفسه وقوة مايليه »(٧) وهو يوناني ايضاً معناه حصن(٨) . وقال الاستاذ بندلي جوزي : برج Pýrgos وفي اللاتينية Pyrgos وكلاهما على مايظهر من الجرمانية (Byrg)(٩) .

٦ ـ (القَيطون) : جاء في (الخصائص) : « وأما قيطون فانه فيعول من قطنت بالمكان لأنه بيت في جوف بيت »(١٠) وفي (شفاء الغليل) : قيل هو رومي

---

(١) الخصائص ٢ / ١٢٠

(٢) تفسير الألفاظ الدخيلة ص ٣١ ، مقدمة الخصائص ٣٤

(٣) الخصائص ٢ / ١٢٥

(٤) التمام ٢٤٧

(٥) تفسير الالفاظ الدخيلة ص ١

(٦) المعرّب ص ٢٣

(٧) الخصائص ٢ / ١٣٥

(٨) تفسير الألفاظ الدخيلة ص ٨

(٩) (بعض اصطلاحات يونانية في اللغة العربية) ـ مجلة مجمع اللغة العربية الملكي ج ٣ / ٣٣٩

(١٠) الخصائص ٣ / ٢٠٣

معرب(١) وفي (المعرب) انه اعجمي معرب(٢).

٧ - (منديل) جاء في (الخصائص) : «ومنديل من الندل وهو التناول»(٣) وذكر الأستاذ بندلي جوزي انها يونانية (Mand´eeli_on)(٤) .

٨ - (النبراس) : جاء في (سر الصناعة) : « وأما نون نبراس فقد ذهب الى زيادتهـا واشتق له من معنى (البرس) وهو القطن لأن النبراس : المصباح والفتيلة ابداً في غالب الأمر من قطن »(٥) وفي كتاب (تفسير الألفاظ الدخيلة) انه آرامي « نبرشتا » معناه اللهب والضياء مرادفة المصباح(٦) وأورده الجواليقي قال : قيل انه ليس بعربي(٧) .

٩ - (دُهْدُرَّين) ذكر في (الخصائص) انه اسم فعل . والدليل على اسميته التثنية وهي من خواص الأسماء وهذه التثنية لايراد بها ما يشفع الواحد مما هو دون الثلاثة وانما الغرض فيها التوكيد بها ولتكرير المعنى كقولك : بطلَ بطل(٨) وفي (شفاء الغليل) : « دهدرين وسعد القين من اسماء الكذب والباطل ، ويقال ان اصله ان سعد القين كان رجلا من العجم يدور في مخاليف اليمن يعمل لهم فاذا كسد عمله قال : ده بد رود كأنه يودع القرية اي انا خارج منها غدا وانما يقول

---

(١) شفاء الغليل ١٥٧

(٢) المعرب ٢٧٢

(٣) الخصائص ١ / ١٢٠

(٤) مجلة مجمع اللغة العربية ج ٣ / ٣٣٩

(٥) سر الصناعة ١ / ١٨٨

(٦) تفسير الألفاظ الدخيلة ص ٧٣

(٧) المعرب ٣٤٠

(٨) الخصائص ٣ / ٤٤

ذلك ليستعمل فعربته العرب وضربت به المثل في الكذب »(١) .

١٠ ـ (الجمل) : ويقول في (الجَمل) فَعل من الجمال(٢) . وكلمة (جمل) سامية قديمة في الآشورية (جَملو) وفي العبرية (جَمَل) وفي الآرامية (جَمْلا) وفي الحبشية (جمل)(٣)

١١ ـ (الدم) : ويقول فيه : « الدم من الدمية لفظاً ومعنى »(٤) وهي كلمة سامية قديمة كذلك في الآشورية (دَمُو) وفي العبرية (دم) وفي الآرامية (دْما) وفي الحبشية (دم)(٥)

وذكر غير ذلك من الألفاظ ذات الأصول اليونانية او الفارسية او السامية او غيرها عادا اياها عربية الأصول .

وهذه المؤاخذة لم ينج منها أحد من الصرفيين واللغويين الأقدمين . وأيا كان الامر فأبو الفتح قد ضرب بالسهم الأوفر في التصريف ولا أحسبني بعيداً عن الصواب اذا قلت ان أغلب ما ألف بعده من كتب التصريف عيال عليه ان لم اقل كلها .

في النحو :

وكما درس اللغة والتصريف درس النحو وجود فيه وعرف به فكان يترجم له باسم ابن جني النحوي(٦) وكان من أعلم أهل الأدب به . قال ابن الانباري

---

(١) شفاء الغليل ص ٨٤

(٢) الخصائص ١ / ١٢٢

(٣) تاريخ اللغات السامية ـ للدكتور اسرائيل ولفنسون

(٤) الخصائص ٢ / ١٣٢

(٥) تاريخ اللغات السامية

(٦) انظر نزهة الالباء ٢٢٨ ،انباه الرواة ٣٣٥/٢ ، معجم الأدباء ٨١/١٢ الكامل ٢١٩/٧ ، البداية والنهاية ٣٣١/١١ ، الانساب ١٣٩ آ وغيرها من الكتب .

« وأما أبو الفتح عثمان بن جني النحوي فانه كان من أحذق أهل الأدب واعلمهم بعلم النحو والتصريف(١) » وكذا قال ياقوت(٢) وجاء نحوه في مفتاح السعادة(٣) وقال الباخرزي : « ليس لأحد من أئمة الأدب في فتح المقفلات وشرح المشكلات ماله ، ولاسيما في علم الاعراب فقد وقع منها على ثمرة الغراب »(٤) وقد نقلناه قبلا وجاء في بعض الكتب انه وقف حياته على النحو خاصة(٥) .

فهو اذن درس النحو وكتب فيه واشتهر به وعُرف وسنحاول في رسالتنا هذه أن نبين منهجه في النحو بترسم معالمه وحدوده .

كما درس سائر علوم العربية الأخرى وألف فيها .

الشواهد

آ ـ القرآن الكريم والقراءات :

لاشك في ان القرآن الكريم أهم ينبوع للشاهد ، ومن المعلوم ان القرآن وصل إلينا بقراءات موصولة السند متصلة السلسلة الى رسول الله (ص) ، وقد قسم القراء القراءات الى متواترة وآحاد وشاذة ، وجعلوا المتواتر السبع والآحاد الثلاث المتممة لعشرها ثم مايكون من قراءات الصحابة رضي الله عنهم مما لايوافق ذلك ومابقي فهو شاذ . (٦)

وقد بذل القراء جهوداً عالية في تحقيق القراءات ورجعها الى رسـول الله (ص) .. ولو رجعت في كتب القراءات الى تسلسل النقل في طرقـه لرأيت مثلا

---

(١) نزهة الالباء ٢٢٨

(٢) ياقوت ٨١/١٢

(٣) مفتاح السعادة ١١٤/١

(٤) دمية القصر ٢٩٧

(٥) دائرة المعارف الاسلامية المجلد الأول ١٢٢ـ١٢٣

(٦) تاريخ آداب العرب ـ الرافعي ٥٣٤/٢

أعلى من احكام الضبط والتدقيق البالغ غايته في شتى النواحي المتصلة بالقرآن الكريم وكلماته وآياته وطرق ادائه » (١) . وكل قراءة متصلة السند بالرسول على مابينها وبين الاخرى من تخالف . (٢) وائمة القراء لاتعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغه والأقيس في العربية بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل واذا ثبتت الرواية لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة لأن القراءة سنة متبعة . يلزم قبولها والمصير اليها . (٣) والاسناد الصحيح هو الأصل الأعظم والركن الأقوم وكم من قراءة انكرها بعض اهل النحو ولم يعتبر انكارهم ! (٤) وجـاء نحو ذلك في (منجد المقرئين) (٥) ويقول الرافعي : ومن اجله كان صحيحاً ان لايعول ائمـة القراءة في امر الجواز على ماهو أفشى في اللغة وأقيس في العربية دون ماهو أثبت في الأثر وأصح في النقل ... واما اشتراط صحة الاسناد فهو امر ظاهر مادامت القراءة سنة متبعة وكثيراماينكر بعض اهل العربيـة قراءة من القراءات لخروجها عن القياس او لضعفها في اللغة ولايحفل أئمة القراء بانكارهم شيئاً . »(٦)

غير ان موقف النحاة ولا سيما البصريين غريب في بابه فهم يلحنون ويضعفون قسماً من القراءات التي لا توافق اقيستهم ومذهبهم . فالقراءة الثابتة الموصولة هي الحجة لا اقيسة النحاة ، وينبغي ان تكون اقيسة وراءها لا امامها ولكن ذلك لم يكن بل وقفوا منها موقف الناقد الراد لقسم من القراءات المضعّف للقسم الآخر الملحّن لطائفة اخرى .

(١) القواعد النحوية ١٦٧

(٢) ابو علي الفارسي ١٢

(٣) الاتقان ١/٧٥

(٤) نفس المصدر والصفحة

(٥) منجد المقرئين ٥٦٠ نقلا عن الدكتور الشلبي ص ١٦٣

(٦) تاريخ آداب العرب ٢/٣٩

١ ـ فهم ردوا قراءة ابن عامر وهو قارىء الشام من القراء السبعة « وكذلك زيّن لكثير من المشركين قتلُ اولادَهم شركائهم » باضافة المصدر الى الفاعل والفصل بينهما بالمفعول .

٢ ـ وقرأ حمزة « واتقوا الله الذي تساءلون به والارحامِ » بكسر الميم وهو أحد القراء السبعة وقرأ الباقون بفتحها فقال النحاة : لايعطف على مضمر مخفوض الا باعادة خافض فردوها . (١)

٣ ـ وقرأ عاصم « وقيل من راق » ببيان النون من (مَن) فقالوا ان ذلك معيب في الاعراب معيف في الاسماع(٢) .

وغيره كثير .

وقد حمل ابو الطيب عبدالواحداللغوي على حمزة والكسائي من القراء الكوفيين وهما من القراء السبعة وجهّلها فقال عن حمزة الزيات ان « اهل الكوفة يتخذونه اماما معظما مقدما وليس يحكى عنه شيء من العربية ولا النحو وانما هو صاحب قراءة . واما عند البصريين فلا قدر له . حدثنا جعفر بن محمد قال : حدثنا ابراهيم بن حُميد قال : اخبرنا ابو حاتم قال : سألت عن حمزة ابا زيد والأصمعي ويعقوب الحضرمي وغيرهم من العلماء فأجمعوا على انه لم يكن شيئا ، ولم يكن يعرف كلام العرب ولا النحو ولا كان يدعي ذلك ، وكان يلحن في القرآن ولايعقله يقول « وما انتم بمصرخيِّ » بكسر الياء الشديدة وليس ذلك من كلام العرب ونحو هذا من القراءة »(٣) في حين ان حمزة كان يقول : « ماقرأت حرفاً من كتاب الله الا بأثر » . (٤)

---

(١) الكشاف ٣٧٢/١ ، المفصل ١٧/٢ ، البحر المحيط ١٥٧/٣-١٥٩ وانظر ايضا في أصول النحو ـ الاستاذ ابراهيم مصطفى مجلة مجمع اللغة العربية ج ١٤٢/٨ ومقدمة (المقتضب للمبرد) لمحمد عبدالخالق عضيمة ص١١٢

(٢) الخصائص ٩٤/١

(٣) مراتب النحويين ٢٦ ـ ٢٧ (٤) النشر ١٦٦/١

وحمل على الكسائي وسائر علماء الكوفة فقال : « واخبرنا جعفر بن محمد بن حميد قالا : حدثنا ابو حاتم قال : لم يكن لجميــع الكوفيين عالم بالقرآن ولا كلام العرب ولولا ان الكسائي دنا من الخلفاء فرفعوا من ذكره لم يكن شيئا وعلمــه مختلط بلا حجج ولاعلل الا حكايات من الأعراب مطروحة لأنــه كان يلقنهم مايريــد وهو على ذلك اعلم الكوفيين بالعربيــة والقرآن وهو قدوتهم واليــه يرجعون . »(١)

هذا موقف النحاة من القراءات فما موقف نحويّنا أبي الفتح منها ؟

نذكر اولا رأي صاحب (الاقتراح) في الاحتجاج بالقراءات

قال : اما القرآن فكل ما ورد انه قرئ به جاز الاحتجاج به في العربيــة سواء كان متواتراً أم آحاداً أم شاذاً ، وقــد اطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية إذا لم تخالف قياساً معروفاً بل ولو خالفته يحتج بها في مثل ذلك الحرف بعينه وان لم يجز القياس عليه كما يحتج بالمجمع على وروده ومخالفته للقياس في ذلك الوارد بعينه ولا يقاس عليه نحو استحوذ ويأبى . (٢)

ان ابا الفتح لا يختلف كثيراً عن سائر النحاة في ذلك وهو ـ وان الف كتاب (المحتسب) في توجيه القراءات الشاذة ـ كغيره من النحاة يرد ويضعف طائفة من القراءات السبع . وعلى كل حال كان اسلم موقفاً من شيخه أبي علي الذي صنع كتاب (الحجة) في توجيه القراءات السبع فيقول في خطبة كتاب (المحتسب) : « الا اننا مع ذلك لا ننسى تقريبه على أهل القرآن ليحيطوا به ولا ينأوا عن فهمه فان ابا علي رحمه الله عمــل كتاب « الحجة » في القراءات فتجاوز فيه قدر حاجة القراء الى ما يجفو عنه كثير من العلماء . » (٣) وقــد خرّج قراءة حمزة : « واتقوا

(١) مراتب النحويين ٧٤

(٢) الاقتراح ـ للسيوطي ١٤

(٣) المحتسب ص ٣ مخطوطة مصورة في دائرة اللغة العربية ببغداد

الله الذي تساءلون به والارحام » « ليست هذه القراءة عندنا من الابعاد والفحش والشناعة والضعف على مارآه فيها وذهب اليه ابو العباس » (١) وخرجها على انها مجرورة بباء ثانية ثم حذفت لتقدم ذكرها ، في حين يقول شيخه في هذه الآية في قراءة حمزة : « واما من جر الارحام فانه عطف على الضمير المجرور بالباء وهذا ضعيف في القياس وقليل في الاستعمال وما كان كذلك فترك الاخذ به اولى . » (٢)

وابن جني في هذا الكتاب (أي المحتسب) جمع القراءات الشاذة وجاهد في توجيهها ، وهو مع ذلك رذّل فيه قراءات وضعّف اخرى وذكر ان بعضها لا يعرف في اللغة من ذلك :

١ ـ قراءة ابن محيصن (ثم اطّرّه) يدغم الضاد في الطاء قال ابو الفتح هذه لغة مرذولة (٣).

٢ ـ قراءة ابي جعفر يزيد «للملائكةُ اسجدوا» قال ابو الفتح : هذا ضعيف عندنا جداً (٤) .

٣ ـ قراءة يحيى « ما سِألتم » بكسر السين قال ابو الفتح فيه نظر (٥) .

٤ ـ قراءة الاعمش (اثنتا عشرة) بفتح الشين . قال ابو الفتح القراءة في ذلك عشْرة وعشِرة واما عشَرة فشاذ(٦) .

٥ ـ قراءة الاعمش « وما هم بضاري به من احد » قال ابو الفتح : هذا من ابعد الشاذ(٧) .

---

(١) الخصائص ١/٢٨٥

(٢) الحجة ٣/٢٢٩ نقلا عن الدكتور الشلبي ٢٤٣

(٣) المحتسب ص ٤٢ مخطوطة مصورة في دائرة اللغة العربية ببغداد

(٤) المصدر السابق ص ٢٤ ، ١١٤

(٥) المصدر السابق ص ٣٣

(٦) المصدر السابق ص ٣١

(٧) المصدر السابق ص ٤٠

وهو في سائر كتبه يقف من القراءات موقفاً مشابهاً لموقف سائر النحاة - وان كان يختلف عنهم احياناً في توجيه وتخريج طائفـــة من القراءات لم يرتضوها ويقف موقفاً اقرب الى الاعتدال من غيره كما يبدو في كتاب (المحتسب) وفي غيره من الكتب - أقـول انه يقف موقفاً مشابهاً لموقف سائر النحاة في تضعيف قراءة من القراءات السبع وانكارها وردها وسواها من القراءات المعتمدة وذلك نحو :

١ - ما جاء في (سـر الصناعة) « ومثل شهر رمضان » و « انا نحن نزلنا الذكر » و « انا نحن نحيي ونميت » لابد من ان تكون النون الاولى مختلسة الضمة تخفيفاً وهي بزنة المتحركة فأما ان تكون ساكنة والحاء قبلها ساكنة فخطأ . وقول القراء ان هذا ونحوه مدغم سهو منهم وقصور عن ادراك حقيقة هذا الامر » (١).

٢ - وما جاء في (سر الصناعة) ايضاً « فأما قراءة ابي عمرو « يغفر لكم » بادغام الراء في اللام فمدفوع عندنا وغير معروف عند اصحابنا انما هو شيء رواه القراء ولا قوة له في القياس » (٢) .

٣ - وما جـاء في (الخصائص) : الا ترى الى قراءة ابي عمرو « مالك لا تأمننا على يوسف » مختلساً لا محققاً وكذلك قوله عز وجل « اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى) مخفى لامستوفى ، وكذلك قوله عز وجل « فتوبوا الى بارئكم » مختلساً غير ممكن كسر الهمزة حتى دعا ذلك من لطف عليه تحصيل اللفظ الى ان ادعى ان ابا عمرو كان يسكن الهمزة . والذي رواه صاحب الكتاب(٣) اختلاس

---

(١) سر الصناعة ١ / ٦٥

(٢) سر الصناعة ١ / ٢٠٦

(٣) يريد سيبويه ج ٢ / ٢٩٧ ، وهذا الذي رواه صاحب الكتاب رواه القراء أيضاً ورووا مع هذا الاسكان . وممن روى الاسكان ابو محمد اليزيدي وهو من هو في القراءة والبصر بالعربية . ومثل أبي محمد ما كان يرمى باساءة السمع - وانظر النشر ٢ / ٢١٦ (حاشية الخصائص ١ / ٧٢)

هذه الحركة لاحذفها البتة وهو أضبط لهذا الأمر من غيره من القراء الذين رووه ساكناً ، ولم يؤتَ القوم في ذلك من ضعف امانة لكن اتوا من ضعف دراية »(١).

٤ ـ وجاء في (الخصائص) : « فأما قراءة عاصم (وقيل مَن راق) ببيان النون من (مَن) فعيب في الاعراب معيف في الاسماع ، وذلك ان النون الساكنة لاتوقف في وجوب ادغامها في الراء نحو : من رأيت ومن رآك ؟(٢)

٥ ـ وجاء فيه : « واما قراءة اهل الكوفة (ثمْ ليقطع) فقبيح عندنا »(٣).

٦ ـ وجاء فيه فأما قول أبي الاسود :

ليت شعري عن خليلي ما الذي   غاله في الحب حتى وَدَعه

فشاذ ، وكذلك قراءة بعضهم (ماوَدَعك ربك وماقلى)(٤).

٧ ـ وجاء فيه : « ومن شاذ الهمز عندنا قراءة الكسائي (أئمة) بالتحقيق فيهما »(٥)

٨ ـ وجاء فيه : « فأما التقاؤهما ـ يعني الهمزتين ـ على التحقيق من كلمتين فضعيف عندنا وليس لحنا وذلك نحو : قرأ أبوك و (السفهاء ألا) و (يمسك السماء أن تقع على الارض) و (أنبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين) فهذا كله جائز عندنا على ضعفه »(٦).

فهو ـ كما نرى ـ ينسبهم احياناً الى الجهل او الى السهو أو الى القصور عن

---

(١) الخصائص ١ / ٧٢

(٢) المصدر السابق ١ / ٩٤

(٣) المصدر السابق ٢ / ٣٣٠

(٤) المصدر السابق ١ / ٩٩

(٥) المصدر السابق ٣ / ١٤٣

(٦) المصدر السابق ٣ / ١٤٣

ادراك حقيقة الأمر . فهو موقف لايختلف كثيراً عن موقف سائر النحاة من البصريين :

ب ـ الحديث النبوي :

النحويون القدامى لايحتجون بالحديث النبوي ولا يستشهدون به ورفضوه جملة(١) وتعليل ذلك يرجع الى أمرين .

١ ـ ان المحدّثين أجازوا نقل الأحاديث بالمعنى ولم يتقيدوا باللفظ .

٢ ـ وقوع اللحن في بعض الأحاديث لأن في الرواة من ليس عربياً بالطبع ولا علم له بصناعة النحو(٢) .

وذُكرت احاديث يخالف اسلوبها وتركيبها الأسلوب الشائع الذائع من ذلك :

١ ـ الحديث (ان قعر جهنم سبعين خريفاً) وخرج على أن (سبعين) منصوبة على رأي من يجعل (إن) ناصبة للجزئين كقول عمر بن أبي ربيعة :

(ان حراسنا اسداه)

أو على الظرفية .

٢ ـ الحديث (كل امتي معافى الا المجاهرون) اي بالمعاصي والرفع جائز في لغة محكية وخرج هذا ايضاً على قراءة بعضهم (فشربوا منه الا قليل منهم)(٣) ومثله الحديث (الناس هلكى الا العالمون) .

٣ ـ الحديث (ان من اشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون) وخرج على زيادة (من) او اضمار ضمير الشأن اي انه . ونحو ذلك .

---

(١) في اصول النحو ـ ابراهيم مصطفى مجلة مجمع اللغة العربية ج ٨ / ١٣٤

(٢) نظرات في اللغة والنحو ص ١٣

(٣) القواعد النحوية ١٩٤

وانقسم العلماء فيما بعد قسمين : قسم يرى عدم الاحتجاج به وقسم يرى ضرورة الاحتجاج به .

قال المرحوم طه الراوي : « والقول بأن في رواة الحديث أعاجم ليس بشيء لأن ذلك يقال في رواة الشعر والنثر اللذين يحتج بهما فان فيهما الكثير من الأعاجم ، وهل في وسعهم أن يذكروا لنا محدثا ممن يعتد به يمكن أن يوضع في صف حماد الراوية الذي (كان يكذب ويلحن ويكسر) ومع ذلك لم يتورع الكوفيون ومن نهج منهجهم عن الاحتجاج بمروياته ولكنهم تحرجوا في الاحتجاج بالحديث ، ثم لو وصل الأمر برواة الحديث الى هذه الدركة من الجهل بالعربية سليقة وصناعة لما صح الاحتجاج بمروياتهم في الشريعة يجهلون العربية من طرفيها ولم يقل بذلك قائل . »(١)

ومما ذكر أيضا لضرورة الاحتجاج بالحديث ان اليقين ليس بمطلوب في هذا الباب وانما المطلوب غلبة الظن ان المنقول عن الرسول (ص) لم يبدل وكذلك تثبت الاحكام الشرعية . ثم ان التشدد والتحري والضبط في رواية الحديث يجعل احتمال التبديل ضعيفا .

ثم ان هناك خلافا في جواز النقل بالمعنى فمن الائمة لايجيز ذلك كالقاسم بن محمد ورجاء بن حيوة وابن سيرين .

والخلاف في جواز النقل بالمعنى هو فيما لم يدون ولا كتب وأما مادون وحصل في بطون الكتب فلا يجوز تبديل الفاظه بلا خلاف ، هذا مع العلم بأن تدوين الأحاديث وكثير من المرويات جرى في الصدر الاول قبل فساد اللغة العربية .

كما ان صيغ الاذكار والعبادات والأدعية والأحاديث التي سارت مسير الأمثال والاحاديث التي تضرب للدلالة على فصاحته صلى الله عليه وسلم او انه ارتجلها ابتداء والكتب التي بعث بها الرسول الى الملوك والأطراف والعهود المدونة لايكون

---

(١) نظرات في اللغة والنحو ص١٣

فيها اي احتمال للتبديل والتغيير(١) .

قال الامام النووي في اول شرحه على صحيح مسلم : « لاخلاف في منع رواية الحديث بالمعنى لمن لم يكن خبيرا بالالفاظ ومقاصدها عالما بما يحيل المعاني . اما من كان كذلك فالصواب الجواز » .

هذا وقد بحث مجمع فؤاد الأول للغة العربية الاحتجاج بالحديث الشريف وخلاصة رأيه هي : (٢)

« اختلف علماء العربية في الاحتجاج بالأحاديث النبوية لجواز روايتها بالمعنى ولكثرة الأعاجم في روايتها .

وقد رأى المجمع الاحتجاج ببعضها في أحوال خاصة مبينة فيما يأتي :

١ ـ لايحتج في العربية بحديث لايوجد في الكتب المدونة في الصدر الأول كالكتب الصحاح الستة فما قبلها .

٢ ـ يحتج بالحديث المدون في هذه الكتب الآنفة الذكر على الوجه الآتي :

أ ـ الأحاديث المتواترة والمشهورة .

ب ـ الاحاديث التي تستعمل الفاظها في العبادات .

ج ـ الأحاديث التي تعد من جوامع الكلم .

د ـ كتب النبي .

هـ ـ الأحاديث المروية لبيان أنه كان (ص) يخاطب كل قوم بلغتهم .

و ـ الأحاديث التي دونها من نشأ بين العرب الفصحاء .

ز ـ الأحاديث التي عرف من حال رواتها انهم لا يجيزون رواية الحديث بالمعنى مثل القاسم بن محمد ورجاء بن حيوة وابن سيرين .

---

(١) انظر القواعد النحوية ص١٩٤ وكتاب نظرات في اللغة والنحو ص٢٢ نقلا عن الدماميني ومجلة مجمع فؤاد الاول للغة العربية ج٤/٧

(٢) مجلة مجمع فؤاد الاول للغة العربية ج ٤/٧

ح - الأحاديث المروية من طرق متعددة والفاظها واحدة » .

وهو رأي مقبول مسوغ للاستشهاد بالحديث . فما موقف ابي الفتح من الاحتجاج بالحديث ؟

جاء في (مجلة مجمع اللغة العربية) :

« وأجاز قوم الاحتجاج بالحديث في اللغة وعدوه في الأصول التي يرجع اليها في تحقيق الألفاظ وتقرير القواعد ومن عرف بهذا المذهب محمد بن عبدالله المعروف بابن مالك وعبدالله بن يوسف المعروف بابن هشام . . . وعد من أصحاب هذا المذهب الجوهري وابن سيده وابن فارس وابن خروف وابن جني وابن برى والسهيلي »(١) .

فهل كان ابن جني كذلك أي كان يعد الحديث في الأصول التي يرجع اليها في تحقيق الألفاظ وتقرير القواعد ؟

أنا لم اجد في كتبه التي بين يدي مايؤيد ذلك فلم أره مرة جعل حديثاً أصلا يرجع اليه في تقرير قاعدة أو اثبات نص لغوي ، وانما يورد في النادر حديثاً للاستئناس به أو الاستشهاد به فيما لم يخرم قاعدة ولم يقرر أصلا جديداً ودونك أمثلة على ذلك :

١ - جاء في (المبهج) ، « ويشهد لصحة مذهب سيبويه في باب زمّان ورمّان ما يحكى عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد جاءه قوم من العرب فسألهم عليه السلام فقال : من أنتم ؟ فقالوا : بنو غيان . فقال : بل انتم بنو رشدان ، او لا تراه صلى الله عليه وسلم كيف تلقى (غيان) بأنه من الغي فحكم بزيادة الفه ونونه وترك عليه السلام أن يتلقاه من باب الغين (غ ي ن) وهو الباس الغيم . . .

يدلك على انه صلى الله عليه وسلم تلقاه بما ذكرنا انه قابله بضده . فقال : بل انتم بنو رشدان ، فقابل الغي بالرشد فصار هذا عياراً على كل ماورد في معناه»(١).

فأنت تراه هنا مستشهداً لصحة مذهب سيبويه في الأخذ بالظاهر لا مقرراً

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية ج ٣ / ١٩٩

لقاعدة من الحديث .

٢ ـ وجاء في (الخصائص) « واعلم أن العرب تختلف احوالهـا في تلقي الواحد منها لغة غيره ، فنهم من يخف ويسرع قبول مايسمعه، ومنهم من يستعصم فيقيم على لغته البتة . . ألا ترى الى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قيل : يانبيء الله فقال : « لست بنبيء الله ولكنني نبي الله » وذلك انــه عليه الصلاة والسلام انكر الهمز في اسمه فرده على قائله لأنه لم يدر بمـــا سماه فاشفق أن يمسك على ذلك »(٢) .

وليس في هــذا استشهاد في اللغة ولا تقرير لقاعدة نحوية أو لغوية ولا ما أشبه ذلك :

٣ ـ وجاء في (الخصائص) : « ومن ذلك ماروى في الحديث : لاصلاة لجار المسجد الا في المسجد أي لاصلاة كاملة أو فاضلة أو نحو ذلك »(٣) .

٤ ـ وجــاء في (الخصائص) : « وقيل منها لغي يلغى اذا هذى . . . وفي الحديث (من قال في الجمعة صه فقد لغا) أي تكلم . »(٤) .

وعلى كل حال لم أر ما رآه آخرون أنه كان يستشهد بالحديث أو يحتج به ، في مثل هذه المواطن التي ذكرتها لا يمكن أن يسمى اتيانه بالأحاديث استشهاداً أو احتجاجاً يثبت به قاعدة أو أصلا ، او يرد أصلا او قاعدة هذا مع ندر مايذكر من حديث .

ج ـ كلام العرب من شعر ونثر :

ويراد بهؤلاء عرب الجاهلية وصدر الاسلام وما بعده الى ما يقارب النصف

---

(١) المبهج ص ١٤ ـ ١٥ ، الخصائص ١ / ٢٥٠

(٢) الخصائص ١ / ٣٨٣

(٣) الخصائص ٢ / ٣٧٢

(٤) الخصائص ١ / ٣٣

الاول من القرن الثاني للهجرة حين اختلفت العلائق واختبلت الألسنة، وقد احتج النحاة بالنظوم والمنثور من كلام الجاهليين والمخضرمين والاسـلاميين وطرحوا كلام المولدين والمحدثين وذكروا على رأس المولدين بشار بن برد(١).

وقد وقف ابن جني مما يروى من كلام العرب موقف اسلافه من البصريين فلا يأخذ بالشاذ والنادر ولايقيس عليه - على وجه العموم - وهو ينظر في ذلك من ناحيتين :

آ- المسموع

ب - الناقل

وهو يرد ماينقله العربي الفصيح الى المسموع فان لم يتفق مع الكثرة الغالبة طرحه أو وقف منه موقفاً خاصاً تمليه عليه طبيعة الناقل وطبيعة المنقول . وهذان الاصلان يمتزجان حتى يكادا يكونان أمراً واحداً فان « الناقل » هو الذي يحمل « المسموع » فهو يتكلم (في العربي الفصيح ينتقل لسانه)فان « انتقل من لغة الى لغة اخرى فصيحة وجب أن يؤخذ بلغته التي انتقل اليها ، كما يؤخذ بها قبل انتقال لسانه اليها . . . فان كانت اللغة التي انتقل لسانه اليها فاسدة لم يؤخذ بها ويؤخذ بالأولى حتى كأنه لم يزل من اهلها . »(٢)

فهو - كما ترى - يرد مايقوله العربي الفصيح الى « المسموع » ولايعتمد على قوله وحده .

وان سُمع من العربي الفصيح شيء لم يسمع من غيره أو مايسمى (المسموع المفرد) نحو ما أتى به ابن احمر الباهلي كالجبر وهو الملك والديدبون والمأنوسة وهي النار وغيرها « فالقول في هذه الكلم المقدم ذكرها وجوب قبولها . وذلك لما ثبتت

---

(١) نظرات في اللغة والنحو ص ٢٣

(٢) الخصائص ٢ / ١٢

به الشهادة من فصاحة ابن احمر »(١) « لكن لو جاء شيء من ذلك عن ظنين أو متهم أو من لم ترق به فصاحته ولا سبقت الى الأنفس ثقته كان مردوداً غير متقبل »(٢) .

فان ورد عن بعضهم شيء يدفعه كلام العرب ويأباه القياس على كلامها فانه لا يُقنع في قبوله أن تسمعه من الواحد ولا من العدة القليلة الا ان يكثر من ينطق به منهم(٣)

واذا رأيت الشاعر قد ارتكب ضرورات قبيحة كالفصول والفروق بين الجزءين المتصلين اتصالا قوياً فليس ذلك بدليل قاطع على ضعف لغته أو قصور فصاحته بل مثله في ذلك مثل مجري الجموح بلا لجام(٤) .

وفيما يرد عن العربي مخالفا للجمهور يذكر أنه ينظر في حال العربي وفيما جاء به فان كان الانسان فصيحاً في جميع ما عدا ذلك القدر الذي انفرد به وكان ما أورده مما يقبله القياس الا أنه لم يرد به استعمال إلا من جهة ذلك الانسان فان الاولى في ذلك أن يحسن الظن به ولا يحمل على فساده .. فان لم يكن القياس مسوغا له كرفع المفعول وجر الفاعل ورفع المضاف اليه فينبغي أن يرد وذلك لانه جاء مخالفاً للقياس والسماع جميعاً فلم يبق له عصمة تضيفه ولا مُسكة تجمع شعاعه(٥).

ودونك على سبيل المثال قوله في :

• جادت بكفَّيْ كان مِن أرمى البشر •

أي بكفي رجل أو انسان كان من أرمى البشر فقد روي غير هذه الرواية .

---

(١) الخصائص ٢ / ٢١ ـ ٢٤

(٢) الخصائص ٢ / ٢٥

(٣) الخصائص ٢ / ٢٥

(٤) الخصائص ٢/٣٩٠-٣٩٣

(٥) الخصائص ١/٣٨٥-٣٨٧

روي « بكفي كان مَن أرمى البشر » بفتح ميم (من) أي بكفي من هو أرمى البشر وكان على هذا زائدة ولو لم تكن فيه الا هذه الرواية لما جاز القياس عليه لفروده وشـذوذه مما عليه عقـد هـذا الموضـع . ألا تراك لاتقول : مررت بوجهُه حسن ؟ »(١) .

فلا يأخذ - كما ترى - بالرواية الواحـدة المخالفة للقياس ، ولكن قـد يقل الشيء وهو قياس ويكون غيره أكثر منه إلا أنه ليس بقياس ، وذلك نحو قولهم في النسب الى شَنوءة - شنئي فلك أن تقول قياساً على هـذا قَتوبة قَتَبي وركوبة رَكَبي مع أنه ورد هذا النسب في حرف واحد غير أنه جميع ما جاء .

وأما ما هو أكثر من باب شنئي ولا يجوز القياس عليه فنحو قولهم في ثقيف: ثقفي وفي قريش : قرشي وفي سُليم : سُلمي(٢) .

وخلاصة رأيه في النَقَلة والمسموعات المفردة :

١ - العربي الفصيـح اذا انتقل لسانه من لغة الى أخرى فصيحة وجب أن يؤخذ بلغته الجديدة ، فان انتقل لسانه الى لغة فاسدة لم يؤخذ بها ويؤخذبالاولى .

٢ - اذا سمع من العربي الفصيـح شيء لم يسمع من غيره ، فان كان هـذا الفصيـح ثقة ولم يخالف القياس أخذ به ، وان ورد منه شيء يأباه القياس فلا يقنع بقبوله من الواحد ولا من العدة القليلة .

٣ - اذا سمع من العربي ما هو مخالف للجمهور ينظر في الناقـل فان كان فصيحاً في جميع ما عـدا الذي انفرد به ، وكان ما أورده مما يقبله القياس يقبل منه ، فاذا لم يكن القياس مسوغاً له رد .

٤ - اذا كان المسموع فرداً لا نظير له مع أطباق العرب على النطق بـه فهذا

---

(١) الخصائص ٣٦٧/٢

(٢) الخصائص ١١٥/١-١١٦

يقبل ويحتج به ويقاس عليه اجماعاً مثل النسب الى فعولة فلم يرد إلا شنوءة شنئي(١) .

٥ - اذا ارتكب الشاعر ضرورات قبيحة في الفصول ونحوها فليس معنى ذلك الدلالة على ضعف لغته وقصور فصاحته .

أما بالنسبة لأشعار المولدين فانه يستشهد بها في المعاني لا في اللغة فأن المعاني يتناهبها المولدون كما كان يتناهبها المتقدمون ، ويذكر ان ابا العباس المبرد كان من الذين يستشهدون بأشعارهم لهذا الغرض(٢) . ويقول ابن جني بعد ان أورد ابياتاً للمتنبي : « ولا تستنكر ذكر هذا الرجل وان كان مولدا في اثناء مانحن عليه من هذا الموضع وغموضه ولطف متسربه فان المعاني يتناهبها المولدون كما يتناهبها المتقدمون(٣) . . . ثم يحذر من موقف التمنع من الاستشهاد بأبيات المولدين في هذا المجال فيقول بعد ذلك : (واياك والحنبلية بحتاً فانها خلق ذميم ومطعم على علاته وخيم(٤).

وقد استشهد بأبيات المتنبي كثيراً وبشعر غيره من المولدين ومن ذلك قول المتنبي :

فلو قدر السنان على لسان   لقال لك السنان كما اقول

وقوله أيضاً :

لو تعقل الشجر التي قابلتها   مدت محيية اليك الأغصنا(٥)

---

(١) انظر الاقتراح ص ٢٢

(٢) الخصائص ١ / ٢٤

(٣) الخصائص ١ / ٢٤

(٤) الخصائص ١ / ٢٥

(٥) الخصائص ١ / ٢٤

وقوله ايضاً :

نحن ركب م الجن في زي ناس فوق طير لها شخوص الجمال(١)

وجاء في (المنصف) في استعمال أفعال للمصادر ويل وويح وويس قال :

« وقد أنشدوا بيتاً في استعمال أفعال هذه المصادر وهو قول الشاعر :

فما وال ولا واح ولا واس أبو هند

وهذا من الشاذ وأظنه مولدا . . »(٢)

ويستشهد بأبيات لابن الرومي منها :

وحديثها السحر الحلال لو انه لم يجن قتل المسلم المتحرز
ان طال لم يملل وان هي أوجزت ود المحدث انها لم توجز(٣)

وبأبيات لمولد آخر يستشهد بها في الاستعارة من مثل :

وبيت قد بنينا فا رد كالكوكب الفرد
بنيناه على اعمدة من قضب الهند(٤)

فهو ـ كما ذكرنا ـ يستشهد بها في المعاني لا في اللغة .

---

(١) الخصائص ١ / ٣٠٢

(٢) المنصف ٢ / ١٩٨

(٣) الخصائص ١ / ٢٩ ـ ٣٠

(٤) الخصائص ١ / ٤٠

الباب الرابع

جهوده في أصول النحو

أصول النحو : أدلة النحو التي تفرعت منها فروعه وفصوله(١) .

جهوده في أصول النحو :

كان لابن جني في أصول النحو باع طويل وجهد كبير ، وهو أول من الف فيه بهذه السعة وهذا الشمول. وقد تحامى البصريون والكوفيون « الخوض في أدنى أو شاله وخلجه فضلا عن اقتحام غماره ولججه »(٢) .

ولقد الف أبو بكر بن السراج (المتوفى ٣١٦هـ) في أصـول النحو إلا انه - كما قال أبو الفتح - « لم يلمم فيه بما نحن عليه إلا حرفاً أو حرفين في أوله »(٣). وصنف أبو الحسن الاخفش سعيد بن مسـعدة (المتوفى ٢١٠هـ) في شـيء من المقاييس كتيبا ، قال أبو الفتح « اذا أنت قرنته بكتابنا هذا علمت بذاك أنـا نبنا عنه وكفيناه كفلة التعب به »(٤) .

والكتاب الذي صنفه لهذا الغرض هو كتابه المشهور (الخصائص) وكان

---

(١) لمع الادلة ٨٠

(٢) الخصائص ج ٢/١ ، ٣

(٣) الخصائص ج ٢/١ ، ٣

(٤) الخصائص ج ٢/١ ، ٣

ابن جني معظما له لاعتقاده فيــه « أنه من أشـــرف ما صنف في علم العرب وأذهب في طريق القياس والنظر »(١) . وليس غرضه فيه الرفع والنصب والجر والجزم « لأن هذا أمر قد فرغ في أكثر الكتب المصنفة فيه منه وانما هذا الكتاب مبني على اثارة معادن المعـاني ، وتقرير حال الأوضاع والمبادىء وكيف سرت أحكامها في الأحناء والحواشي(٢) والقول على أوائل أصول هذا الكلام »(٣) .

أثر علم الكلام والمنطق وأصول الفقه ومصطلح الحديث فيه :

لقد استفاد ابن جني ومن بعـــده ممن الف في أصول النحو من علم الكلام والمنطق وأصول الفقه ومصطلح الحديث ، استفادوا من المصطلحات ومن طريقة البحث ، ومن يقرأ كتابا في أصول النحو يلمس الأثر واضحاً فيه . وقد ذكر ابن جني ذلك بتصريح أكثر من مرة ، فيذكر أنه عمـــل كتاب (الخصائص) على مذهب أصول الكلام والفقه فيقول : « وذلك أنّا لم نر أحداً من علماء البلدين(٤) تعرّض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه »(٥). ويقول في مكان آخر: « ان هذا الكتاب ليس مبنياً على حديث وجوه الاعراب وانما هو مقام القول على أوائل أصول هذا الكلام وكيف بدىء والامَ نمي وهو كتاب يتساهم ذوو النظر من المتكلمين والفقهاء والمتفلسفين والنحاة والكتاب والمتأدبين التأمل له والبحث عن مستودعه »(٦) .

ويذكر أن علل النحويين أقرب الى علل المتكلمين منها الى علل المتفقهين

---

(١) الخصائص ١/١

(٢) الخصائص ١/٣٢

(٣) الخصائص ١/٦٧

(٤) البصرة والكوفة

(٥) الخصائص ١/٢ ، ٣

(٦) الخصائص ١/٦٧

فيقول : « اعلم أن عـلل النحويين ـ واعني بذلك حـذاقهم المتقنين لا ألفافهم المستضعفين ـ أقرب الى علل المتكلمين منها الى علل المتفقهين »(١) وعلل النحو وان كانت ليست في سمت العلل الكلامية البتـة الا انها أقرب اليها من العلل الفقهية(٢) . ويذكر ان كتب محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة انما ينتزع أصحابه منها العلل(٣) ،ومحمد بن الحسن هو الفقيه المشهور الذي أخذ عن أبي حنيفة وترجمنا له فيما قبل .

ولو تابعنا العناوين التي يصدر بها بحوثه في كتاب (الخصائص) لكفانا ذلك مؤونة البحث عن التشابه بينها فهي مأخوذة من أصول الفقـه ومن علم الكلام والمنطق فهو يتكلم في علل العربية أكلامية هي أم فقهية ، والعلل الموجبة والمجوزة، ويتكلم في الاستحسان ، وفي تخصيص العلل ، وتعارض العلل ، والعلة القاصرة(٤) والعلة وعلة العلة ، ودور الاعتلال ، والمعلول بعلتين ، والحكم يقف بين الحكمين ، وخلع الأدلة ، والاكتفاء بالسبب من المسبب وبالعكس ونحو ذلك . فتتبع العناوين وحدها يدلك على أثر الفقه وعلم الكلام والمنطق في بحثه ، وذكر صاحب (الاقتراح) أن ابن جني قال في (الخصائص) : « اذا أداك القياس الى شيء ما ثم سمعت العرب قد نطقت فيه بشيء آخر على قياس غيره فدع ما كنت عليه (الى ماهم عليه)(٥) انتهى وهذا يشبهه شيء من أصول الفقه: نقض الاجتهاد اذا بان النص بخلافه»(٦) .

---

(١) الخصائص ١ /٤٨

(٢) الخصائص ١ /٥٣

(٣) الخصائص ١ /١٦٣

(٤) ذكرها تحت عنوان (العلة اذا لم تتعد لم تصح)

(٥) الخصائص ١ / ١٢٥

(٦) الاقتراح ص ٨٦

وعلى هذا جميع كتب أصول النحو فلو تصفحت (لمع الأدلــة) لابن الأنباري أو (الاقتراح) للسيوطي وغيرهما من كتب الأصول لظهر ذلك جليــا واضحا . جاء في (الاقتراح) ان الحكم النحوي « ينقسم الى رخصة وغيرها »(١) وهو يشبه مافي أصول الفقه من انقسام الحكم الشرعي الى رخصة وعزيمة . وجاء في (لمع الأدلة) : « اذا تعارض المانع والمقتضي قدم المانع . من ذلك ماوجد فيه سبب الامالة ومانعها لايجوز امالته »(٤) وهو يشبه القاعدة الفقهية : درء المفاسد مقدم على جلب المنافع .

ويظهر أثر ذلك واضحاً في نحوي آخر هو ابن مضاء القرطبي الظاهري الذي حاول أن يهدم النحو القديم ويبني نحواً على اساس المذهب الظاهري ويربط مسائله بالشرع فيقول : ان التقــدير وادعاء الزيادة في الكلام وخصوصاً في كلام الله حرام ، وقـد قال رسول الله (ص) : من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد اخطأ ومقتضى هذا الخبر النهي ، وما نهى عنه فهو حرام ألا ان يدل دليل ، والرأي ما لم يستند الى دليل حرام . وقال (ص) : من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار . وهذا وعيد شديد . وما توعد رسول الله على فعله فهو حرام (٣).

وهو يدعو الى الغاء العوامل والعلل الثواني والثوالث ويدعو الى الغاء القياس والغاء التقــديرات والتأويلات بوحي هــذا المذهب الذي يأخذ بالظاهر وينكر ما عداه (٤) .

إذن فأثر الفقه والمنطق في أصول النحو مما لا يخفى على من له ادنى المام بهذا

---

(١) الاقتراح ص ٧١

(٢) لمع الأدلة ٨١

(٣) الرد على النحاة ٩٢

(٤) انظر مقدمة كتاب الرد على النحاة ص ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٧ الخ وانظر كتاب الرد على النحاة ص ٨٦ وما بعدها و ٩٦ و ٩٧ . . . الخ .

الشأن . قال أبو سليمان المنطقي السجستاني وقد عقد مشابهة بين المنطق والنحو « فالنحو يدخل المنطق ولكن مرتباً له ، والمنطق يدخل النحو ولكن محققاً له ... وما يستعار للنحو من المنطق حتى يتقوم أكثر مما يستعار من النحو للمنطق حتى يصح ويستحكم . » (١)

ان أثر المنطق وأصول الفقه واضح فيما يبحثه أبو الفتح من قضايا نحوية فيقول مثلا في (خرجت به) : لا يمكن اعتداد الباء كأنها بعض الفعل لأن « هنا دليلا آخر يدل على انها كبعض الاسم ، الا ترى انك تحكم عليها وعلى ما جرته بأنهما جميعاً في موضع نصب بالفعل حتى انك لتجيز العطف عليهما جميعاً بالنصب نحو قولك : مررت بك وزيداً ، ونزلت عليه وجعفراً فاذا كان هناك أمران أحدهما على حكم والآخر على ضده وتعارضا هذا التعارض ترافعا أحكامهما » . (٢)

ويتكلم على العلة في النحو فكأنه يتكلم على العلة في المنطق فيقول : «ومن بعد فالعلة الحقيقية عند أهل النظر لا تكون معلولة ، الا ترى ان السواد الذي هو علة لتسويد ما يحله انما صار كذلك لنفسه لا لأن جاعلا جعله على هذه القضية »(٣) .

وفي باب (الحكم للطاريء) يقول : « اعلم ان التضاد في هذه اللغة جار مجرى التضاد عند ذوي الكلام . فإذا ترادف الضدان في شيء منها كان الحكم منهما للطاريء فأزال الأول ، وذلك كلام التعريف اذا دخلت على المنون حذف لها تنوينه كرجل والرجل وغلام والغلام . وذلك ان اللام للتعريف والتنوين من دلائل التنكير ، فلما ترادفا على الكلمة تضادا فكان الحكم لطارئها وهو اللام .

وهذا جار مجرى الضدين المترادفين على المحل الواحد كالأسود يطرأ عليه

(١) المقابسات ـ لأبي حيان التوحيدي ـ مقابسة ٢٢ ص ١٧٢

(٢) الخصائص ١ / ١٠٢

(٣) الخصائص ١ / ١٧٤

البياض والساكن تطرأ عليه الحركة فالحكم للثاني منهما . ولولا أن الحكم للطاريء لما تضاد في الدنيا عرضان . (١)

وفي (باب في الحمل على أحسن القبيحين) كأنه يتكلم في بحث فقهي فيقول « اعلم ان هذا موضع من مواضع الضرورة المميلة وذلك ان تحضرك الحال ضرورتين لا بد من ارتكاب احداهما فينبغي حينئذ ان تحمل الأمر على أقربهما وأقلهما فحشاً » . (٢)

وهذا يشبه القاعدة الفقهية (يرتكب أخف الضررين) ويضرب مثلا لذلك فيقول في نحو (فيها قائما رجل) « لما كنت بين أن ترفع قائما فتقدم الصفة على الموصوف ، ـ وهذا لا يكون ـ وبين ان تنصب الحال من النكرة . وهذا على قلته جائز حملت المسألة على الحال فنصبت . » (٣)

وكما استفاد الباحثون في أصول النحو من أصول الفقه وعلم الكلام والمنطق استفادوا من مصطلح الحديث وان كان ظهور ذلك عند أبي الفتح أقل مما يظهر عند غيره فهو يتكلم على العربي الذي يرد عنه ما هو مخالف لما عليه الجمهور (٤) كما يتكلم المحدثون على الشخص الذي يرد عنه الحديث مخالفاً لأحاديث اخرى موثوق بها ، أو الثقة الذي خالف من هو اوثق منه أو ما يسمى عندهم (الحديث الشاذ) .

ويعقد بابا في الشيء يسمع من الفصيح لا يسمع من غيره ، وهو يشبه عند المحدثين (الحديث الغريب) وهو الذي يأتي عن ثقة لا يأتي عن غيره . ويعقد بابا في صدق النقلة وثقة الرواة والحملة كما يفعل المحدثون في الجرح والتعديل .

---

(١) الخصائص ٣ / ٦٢

(٢) الخصائص ١ / ٢١٢

(٣) الخصائص ١/ ٢١٣

(٤) الخصائص ١/ ٣٨٥

ويظهر ذلك في الكتب التي ألفت بعـده بصورة أوضح ففي (لمع الأدلة) يتكلم ابن الأنبـاري في (انقسام النقل الى تواتر وآحاد) ويتكلم في شـرط نقل المتواتر وشرط نقل الآحاد كما يفعل المحدثون وبنفس المصطلحات(١) . ويتكلم في قبول نقل أهل الأهواء مستعيناً بكتب الحديث فيقول : « والذي يدل على قبول نقلهم ، ان الامـة أجمعت على قبول صحيح مسلم والبخاري وقد رويا فيهما عن قتـادة وكان قدريا وعن عمران بن حطان وكان خارجياً . وعن عبدالرزاق وكان رافضياً »(٢) .

ويتكلم في قبول المرسـل والمجهول كما يتكلم أهل الحديث فيهما . ويعرف المرسل فيقول : « اعلم أن المرسل هو الذي انقطع سنده »(٣) . والمرسـل عنـد المحدثين هو الذي يرويه التابعي عن رسـول الله (ص) من غير ذكر للصحابي .

فتراه يستعين بالمحدثين ويتبـع سـنن أهل الحديث فى بحثه لأصول النحو فى اصطلاحاتهم وطريقة بحثهم .

إن أثر علم الكلام والمنطق وأصول الفقه ومصطلحات الحديث في وأصول النحو من الوضوح بمكان ، وهذه العلوم التي ذكرناها هي المعين لمادة أصول النحو في مصطلحاتها وطريقة بحثها .

ادلة الصناعة

(١) السماع (النقل) :

النقل هو « الـكلام العربي الفصيـح المنقول النقل الصحيح الخارج عن حد القلة الى حد الكثرة »(٤) .

---

(١) لمع الادلة ٨٣-٨٦

(٢) لمع الادلة ٨٦-٨٧ وما بعدها

(٣) لمع الادلة ٩٠

(٤) الاغراب في جدل الاعراب ص ٤٥

وقد تكلمنا على « السماع » في اثناء كلامنا على الشواهد وذكرنا انه وقف منه موقف سائر النحاة البصريين . ونلخص رأيه فيه بما يلي :

١ ـ انه ينقل عن العرب الفصحاء الذين ثبتت فصاحتهم ، وكان أبو الفتح نفسه يختبر من يرد عليه منهم وذلك كما كان يصنع مع الشجري وابن عمه غصن ومع أشخاص آخرين .

٢ ـ يُنقل عن العرب الفصحاء مشافهة أو بواسطة نَقَلة صادقين ثقات وقد عقد باباً في (صدق النقلة وثقة الرواة والحملة)(١) .

٣ ـ العربي الفصيح اذا انتقل لسانه من لغة الى اخرى فصيحة وجب أن يؤخذ بلغته الجديدة ، فان انتقل الى لغة فاسدة لم يؤخذ بها ويؤخذ بالاولى .

٤ ـ اذا سمع من العربي الفصيح شيء لم يسمع من غيره فان كان هذا الفصيح ثقة ولم يخالف القياس اخذ به .

٥ ـ فيما يرد عن العربي مخالفاً للجمهور وكان فصيحاً في كل ماعدا ذلك وكان ما أورده يتقبله القياس فهو مقبول .

٦ ـ اذا ورد شيء من ذلك عن ظنين أو متهم أو من لم ترق به فصاحته ولا سبقت الى الانفس ثقته كان مردوداً غير متقبل .

٧ ـ اذا ورد عنه ـ أي عن العربي الفصيح ـ ماهو مخالف للقياس كرفع المفعول وجر الفاعل فهو مردود .

٨ ـ اذا كان المسموع فرداً لانظير له مع اطباق العرب على النطق به فهذا يحتج به ويقاس عليه مثل شنئيء نسبة الى شنوءة .

٩ ـ اذا ارتكب الشاعر ضرورات قبيحة كالفصل بين متلازمين فليس ذلك

---

(١) الخصائص ٣ / ٣٠٩ ـ ٣١٢

دليلا على ضعف لغته وانتقاض فصاحته .

(٢) القياس :

القياس هو حمل غير المنقول على المنقول اذا كان في معناه كرفع الفاعل ونصب المفعول في كل مكان وان لم يكن كل ذلك منقولا عنهم(١) . وهو على ثلاثة اقسام :

آ ـ قياس العلة : وهو حمل الفرع على الاصل بالعلة التي علق عليها الحكم في الاصل مثل حمل نائب الفاعل على الفاعل بعلة الاسناد(٢) .

ب ـ قياس الشبه : وهو ان يحمل الفرع على الاصل بضرب من الشبه غير العلة التي علق عليها الحكم في الاصل كاعراب المضارع لشبهه الاسم من أوجه(٣).

ج ـ قياس الطرد : وهو الذي يوجد معه الحكم وتفقد الاخالة في العلة ـ والاخالة المناسبة ـ(٤) كأن تعلل بناء (ليس) لانها فعل جامد وهو ليس بحجة عند الأكثرين .

واركانه اربعة(٥) :

آ ـ المقيس عليه وهو كلام العرب من شعر ونثر اوما يسمى الشاهد وقد سبق ان ذكرنا شروطه .

ب ـ المقيس: وما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم نحو قولك في قوله: كيف تبني من « ضرب » مثل جعفر : ضربب هذا من كلام العرب ، ولو بنيت

---

(١) الاغراب في جدل الاعراب ٤٥

(٢) لمع الادلة ١٠٥

(٣) لمع الادلة ١٠٧

(٤) لمع الادلة ١١٠

(٥) الاقتراح من ٣٨ ـ ٤٦

مثل صَيرْب أو صَوْرب أو ضَروُب أو نحو ذلك لم يعتقد من كلام العرب لأنه قياس على الاقل استعمالا والأضعف قياساً(١). وقد نص ابو عثمان عليه فقال : ماقيس على كلام العرب فهو من كلام العرب . قال ابو علي : اذا قلت : « طاب الخشكنان » فهذا من كلام العرب لأنك في اعرابك اياه قد ادخلته في كلام العرب(٢) .

ج ـ الحكم : وهو مايظهر نتيجة لقياس المقيس على المقيس عليه بالعلة الجامعة كأن يكون مرفوعاً او منصوباً او جائز الوجهين ونحو ذلك من احكام نحوية .

د ـ العلة : وقد تكلم ابو الفتح في العلل كثيراً وسنذكر ذلك فيما بعد .

ومن قياس العلة ماعلل به رفع المبتدأ والفاعل فقال : « وأنا أرى انهم انما يقدمون الاقوى من المتقاربين من قبل ان جمع المتقاربين يثقل على النفس فلما اعتزموا النطق بهما قدموا اقواهما لأمرين : احدهما ان رتبة الاقوى اسبق واعلى ، والآخر انهم انما يقدمون الاثقل ويؤخرون الأخف من قبل ان المتكلم في أول نطقه اقوى نفساً واظهر نشاطاً فقدم اثقل الحرفين وهو على اجمل الحالين ، كما رفعوا المبتدأ لتقدمه فأعربوه بأثقل الحركات وهي الضمة وكما رفعوا الفاعل لتقدمه ونصبوا المفعول لتأخره فأن هذا احد مايحتاج به في المبتدأ أو الفاعل(٣) »

ومن قياس الشبه ماذكره في اعراب المضارع وبناء الماضي وفي باب مالا ينصرف قال : ـ وكما أنهم لما اعربوا المضارع لشبهه باسم الفاعل تخطوا اذ ذاك ايضا الى ان شبهوا الماضي بالمضارع فبنوه على الحركة لتكون له مزية على مالا نسبة بينه وبين المضارع اعني مثال أمر المواجه(٤). وقال : وعليه باب مالاينصرف.

---

(١) الخصائص ١ / ١١٤

(٢) الخصائص ١ / ٣٥٧

(٣) الخصائص ١ / ٥٥

(٤) الخصائص ١/٦٣

الا تراهم لما شبهوا الاسم بالفعل فلم يصرفوه، كذلك شبهوا الفعل باسم فأعربوه(١).

ونلخص رأيه في القياس بما يلي :

١ - في العربية ماهو مطرد في القياس والاستعمال جميعا وهذا هو الغاية المطلوبة نحو قام زيد وضربت عمرا ومررت بسعيد.

٢ - ومطرد في القياس شاذ في الاستعمال وذلك نحو الماضي من يذر ويدع وكذلك قولهم مكان مبقل.

٣ - ومطرد في الاستعمال شاذ في القياس نحو قولهم : اخوص الرمث، واستحوذ، وأغيلت المرأة، واستنوق الجمل.

٤ - والشاذ في القياس والاستعمال جميعاً : وهو كتتميم مفعول فيما عينه واو نحو ثوب مصوون. (٢)

٥ - قد يكثر الشيء وليس بقياس ويقل الشيء وهو قياس وذلك كما مر في النسب الى شنوءه : شنئي فلك ان تقيس عليه الاضافة الى (فَعولة) ومن الاول نحو قولهم في ثقيف ثقفي وفي قريش قرشي وفي سُليم سلمي (٣).

٦ - اذا تعارض السماع والقياس نطقت بالمسموع على ماجاء عليه ولم تقسه في غيره نحو قوله تعالى « استحوذ عليهم الشيطان » فهذا ليس بقياس لكنه لابدمن قبوله. (٤)

٧ - قد يمتنع العرب عما يجوز في القياس اذا استغنوا بلفظ آخر كاستغنائهم بقولهم : ما أجود جوابه عن قولهم ما : أجربه وكنحو استغنائهم عن وذر وودع

---

(١) الخصائص ٦٣/١

(٢) الخصائص ٩٧/١ - ٩٨

(٣) الخصائص ١١٥/١ - ١١٦

(٤) الخصائص ١١٧/١

بتركه(١) .

٨ - اذا ورد شيء واوجب له القياس حكما ، وكان من الجائز ان يأتي السماع بضد ذلك الحكم ، فلا يتوقف في ذلك الى ان يرد السماع بل يقطع بظاهر القياس ، وذلك نحو نون عنتر وعنبر وقرناس يحكم بأصليتها وان كان يجوز ان يرد دليل يقطع به على هذه النونات بالزيادة ، ولا يتوقف في ذلك انتظارا لورود السماع . (٢)

(٣) الاجماع :

والمقصود به اجماع النحاة من اهل البلدين(٣) ويقول ابو الفتح انه حجة اذا اعطاك خصمك يده ألا يخالف المنصوص والمقيس على المنصوص فأما ان لم يعط يده بذلك فلا يكون اجماعهم حجة عليه(٤) . قال : وانما هو علم منتزع من استقراء هذه اللغة فكل من فُرق له عن علة صحيحة وطريق نهجة كان خليل نفسه وابا عمرو فكره . (٥) وذكر ان من جملة مما احتج به على ابي العباس (المبرد) في انكاره جواز تقديم خبر (ليس) عليها ان اجازة هذا مذهب سيبويه وأبي الحسن واصحابهم كافة والكوفيين ، ثم يقول ان هذا ليس بموضع قطع على الخصم . . وانما لم يكن فيه قطع لأن للانسان أن يرتجل من المذاهب مايدعو اليه القياس مالم يَلوِ بنص أو ينتهك حرمة شرع(٦) .

وذكر هو عن نفسه انه خالف الاجماع ومما خالف فيه الاجماع منذ بديء العلم والى آخر هذا الوقت « ما رأيته أنا في قولهم : هذا حجر ضب خرب . فهذا

---

(١) الخصائص ٣٩١/١

(٢) الخصائص ٦٦/٣

(٣) البصرة والكوفة

(٤) الخصائص ١٨٩/١

(٥) المصدر السابق ١٨٩/١

(٦) الخصائص ١ / ١٨٨

يتناوله آخر عن أول وتال عن ماض على أنه غلط من العرب لايختلفون فيه ولايتوقفون عنه وانه من الشاذ الذي لايحمل عليه ولايجوز رد غيره اليه .

وأما أنا فعندي أن في القرآن مثل هذا الموضع نيفا على ألف موضع وذلك انه على حذف المضاف لاغير »(١) .

وقد احتج أبو الفتح بالاجماع في مواطن منها :

١ ـ ماجاء في (الخصائص) والضمير بالاجماع ابعد شيء عن الفعل . (٢)

٢ ـ وماجاء في (الخصائص) انهم ـ يعني النحاة ـ قد اجمعوا على أن الكاف في نحو ضربتك من الضمير المتصل(٣) .

٣ ـ وماجاء فيه في نحو (مررت بك ونزلت عليه) قال : « والآخر اطباق النحويين على أن يقولوا في نحو هذا : ان الضمير قد خرج عن الفعل ، وانفصل من الفعل ، وهذا تصريح منهم بأنه متصل اي متصل بالباء العاملة فيه . (٤)

٤ ـ عدم النظير :

ذكر أن « النظير » مما يؤنس به فأما ألا تثبت الأحكام الا به فلا ، ألا ترى انه قد اثبت في الكلام فَعُلت تفعَل وهو كَمُدت تكاد وان لم يوجدنا غيره(٥). ثم ان القياس اذا أجاز شيئاً وسمع ذلك الشيء عينه فقد ثبت قدمه وأخذ من الصحة والقوة مأخذه ثم لايقدح فيه الا يوجد له نظير لأن ايجاد النظير وان كان مأنوساً به فليس في واجب النظر ايجاده(٦) .

---

(١) الخصائص ١/١٩١

(٢) الخصائص ١/١٠٣

(٣) الخصائص ١/١٠٠ ـ ١٠١

(٤) الخصائص ١/١٠٣

(٥) الخصائص ١/٢٥٢

(٦) الخصائص ١/١٣٦

ويقول انـه اذا دل الدليل فلا يجب ايجاد النظير فاما ان لم يقم دليل فانك محتاج الى ايجاد النظير الا ترى الى «عِزْويت»(١) لما لم يقم الدليل على أن واوه وتاءه اصلان احتجت الى التعلل بالنظير فمنعت من أن يكون (فِعْوِيلا) لما لم تجد له نظيرا ، وحملته على (فِعْلِيت) لوجود النظير وهو عفريت ونفريت . (٢)

واستدل بعدم النظير في قول الشاعر :

اذا هو لم يخفنى في ابن عمي — وان لم الفه الرجل الظلوم

يقول : لم نر هذا الضمير (ضمير الشأن) على شريطة التفسير عاملا فيه فعل محتاج الى تفسير . فاذا أدى هذا القول الى مالا نظير له وجب رفضـه واطراح الذهاب اليه . (٣) وذكر أن أبا عثمان - يعني المازني - احتج بعدم النظير قال : - وكذلك قال أبو عثمان في الرد على من ادعى ان (السين) أو (سـوف) ترفعان الافعال المضارعة : لم نر عاملا في الفعل تدخل عليـه اللام ، وقد قال سـبحانه (ولسوف تعلمون) فجعل عدم النظير ردا على من انكر قوله(٤) .

ولا أدري ماذا يعني أبو عثمان وأبو الفتح في القول « لم نر عاملا في الفعل تدخل عليه اللام » مع انه قد ورد ذلك قال (ص) « لأن يجلسَ احدكم على جمرة فتخاص . . . » هـذه لام الابتداء ، وكذلك شأن لام الجر . قال تعالى « لئلا يعلم أهل الكتاب . . . »

٥ - الحمل على الظاهر :

وهو يأخـذ بهذا المبـدأ وان امكن ان يكون المراد غيره . قال : « فاذا

(١) قيل القصير وقيل اسم موضع - حاشية ١ / ١٩٧

(٢) الخصائص ١/١٩٧

(٣) الخصائص ١/١٠٤

(٤) الخصائص ١ / ١٩٧

شاهدت ظاهراً يكون مثله أصلا أمضيت الحكم على ما شاهدته في حاله وان أمكن أن تكون الحال في باطنه بخلافه . ألا ترى ان سيبويه حمل « سِيدا » على انه مما عينه ياء فقال في تحقيره « سُييد » كديك ودييك . فان قلت فانا لا نعرف في الكلام تركيب (س ي د) فهلا لما لم يجد ذلك حمل الكلام على ما في الكلام مثله وهو ما عينه من هذا اللفظ واو وهو السواد والسودد ونحو ذلك ؟ قيل : هذا يدلك على قوة الظاهر عندهم »(١). قال : ويشهد لصحة مذهب سيبويه ـ يعني في الأخذ بالظاهر ـ ما يحكى عن النبي صلى الله عليه وسلم ـ وقد مر قبلا ـ وقد جاءه قوم من العرب فسألهم عليه السلام فقال : من انتم ؟ فقالوا بنو غيان . فقال : بل انتم بنو رشدان . أو لا تراه صلى الله كيف تلقى غيّان بأنه من الغيّ فحكم بزيادة الفه ونونه وترك عليه السلام أن يتلقاه من بابّ « الغين » (غ ي ن) وهو الباس الغيم(٢) .

قال فصار هذا عيارا على كل ماورد في معناه(٣) .

٦ ـ استصحاب الحال :

وهو ابقاء حال اللفظ على مايستحقه في الأصل عند عدم دليل النقل عن الأصل كقولك في فعل الأمر : انما كان مبنيا لأن الأصل في الأفعال البناء ، وان مايعرب منها : لشبه الاسم ولادليل يدل على وجود الشبه ، فكان باقيا على الأصل في البناء . (٤) وقال ابن مالك من قال ان كان واخواتها لاتدل على الحدث فهو مردود بأن الأصل في كل فعل الدلالة على المعنيين فلا يقبل اخراجها عن الأصل الا بدليل . (٥)

---

(١) الخصائص ١ / ٢٥١

(٢) انظر لسان العرب (غين)

(٣) الخصائص ١ / ٢٥١ ، المبهج ص ١٤ ، ١٥

(٤) الاغراب ص ٤٦

(٥) لمع الأدلة ص ٧٢

وابن جني يستعمله وان لم يذكره باسمه وذلك نحو ما جاء في المتعلق به أهو أولى بالفعلية ام بالاسمية فقد ذهب ابن السراج وأبو الفتح الى انه اسم لكونه مفرداً والأصل في خبر المبتدأ ان يكون مفردا . (١)

استدلالات اخرى :

١ - الاستدلال بالتقسيم : وهو على ضربين : أحدهما ان يذكر الأقسام التي يجوز ان يتعلق الحكم بها فيبطلها جميعاً فيبطل بذلك قوله ، وذلك مثل أن يقال : لو جاز دخول اللام في خبر لكن لم يخل اما ان تكون لام التوكيد او لام القسم. بطل أن تكون لام التوكيد لأن لام التوكيد انما حسنت مع ان لاتفاقهما في المعنى واما لكن فمخالفة لها في المعنى . وبطل ان تكون لام القسم لأن لام القسم انما حسنت مع انّ لأن (ان) تقع في جواب القسم .. واذا بطل ان تكون لام التوكيد وبطل ان تكون لام القسم بطل ان يجوز دخولها في خبرها .

والثاني أن يذكر الأقسام التي يجوز أن يتعلق الحكم بها فيبطلها الا الذي يتعلق به الحكم من جهته فيصحح قوله . (٢)

وهو يستعمل هذا النوع من الاستدلال فيقول في (باب محل الحركات من الحروف معها أم قبلها أم بعدها) .

« أما مذهب سيبويه فان الحركة تحدث بعد الحرف وقال غيره : معه ، وذهب آخرون الى انها تحدث قبله » (٣) ثم أبطل قول من ذهب الى انها تحدث مع الحرف وقول من ذهب الى انها تحدث قبله ثم قال في ص ٣٢٤ : « فإذا بطل هذا ثبت قول صاحب الكتاب » .

---

(١) شرح الرضي على الكافية ١ / ٩٩

(٢) لمع الادلة ١٢٧

(٣) الخصائص ٢ / ٣٢١ - ٣٢٤

ويقول في قول الشاعر :

اذا هو لم يخفني في ابن عمي — وان لم القه — الرجل الظلوم

فيذكر أن (هو) ضمير الشأن مرفوع ، ثم يقول : « فلا يخلو رفعه من ان يكون بالابتداء — كما قلنا — او بفعل مضمر فيفسد ان يكون مرفوعا بفعل مضمر لأن المضمر لا دليل عليه ولا تفسير له وما كانت هذه سبيله لم يجز اضماره .

فاذا ثبت بما اوردناه ما اردنا علمت وتحققت ان (هو) من قوله (إذا هو لم يخفني . .) مرفوع بالابتداء لا بفعل مضمر »(١) .

وقال في (المنصف) في « ليس » : « قال أبو الفتح : قد صح ان « ليس » فعل ، لقولهم لست ولسنا كقمت وقمنا . واذا ثبت انها فعل قد يخلو من ان تكون في الاصل « فَعَـل أو فَـعُل أو فَعِـل » فلا يجوز ان تكون(فَعُـل) لانها ليس في ذوات الياء (فَعُـل) . . . ولا يجوز ان تكون كانت (فَعَـل) لأن ما كانت عينه مفتوحة لم يجز اسكانها . . فلا بد من ان يكون (فَعِـل) وأصلها « لِيس »(٢) .

٢ — الاستدلال الأولى : وهو أن يبين في الفرع المعنى الذي تعلق به الحكم في الاصل وزيادة ، وذلك مثل ان يدل على بناء اسماء الاشارة و (ما) التعجبية فيقول : « أجمعنا على ان الاسم يبنى اذا تضمن معنى حرف منطوق به فلأن تبنى اسماء الاشارة وما التعجبية لتضمن معنى حرف غير منطوق به كان من طريق الاولى(٣) .

وقد استدل ابو الفتح بهذا النوع من الاستدلال فمن ذلك :

آ — ما جاء في(الخصائص) : «فاذا لم يعمل المضمر ملفوظاً به كان الا يعمل

---

(١) الخصائص ١ / ١٠٤ — ١٠٥

(٢) المنصف ١ /٢٥٨

(٣) لمع الادلة ١٣١

غير ملفوظ به أحرى وأجدر .. »(١)

ب ـ وما جاء في (الخصائص) ايضا : « فاذا جاز ان يحمل حروف المضارعة بعضها على بعض ومراتبها متساوية وليس بعضها أصلا لبعض كان حمل المؤنث على المذكر لأن المذكر أسبق رتبة من المؤنث اولى وأجدر »(٢) :

٣ ـ اسقاط الدليل : جاء في (الخصائص) : « ومن ذلك قول البغداديين : ان الاسم يرتفع بما يعود عليه من ذكره نحو : زيد مررت به ، واخوك اكرمته : فارتفاعه عندهم انما هو لأن عائداً عاد عليه فارتفع بذلك العائد واسقاط هذا الدليل ان يقال لهم : فنحن نقول : زيد هل ضربته وأخوك متى كلمته ؟ ومعلوم ان ما بعد حرف الاستفهام لا يعمل فيما قبله »(٣) :

العلل

يرى أبو الفتح أن علل النحويين أقرب الى علل المتكلمين منها الى علل المتفقهين . وذلك انهم ـ أي النحويين ـ انما يحيلون على الحس ويحتجون فيه بثقل الحال أو خفتها على النفس وليس كذلك حديث علل الفقه . وذلك انما هي اعلام وأمارات لوقوع الاحكام ووجوه الحكمة فيها خفية عنا غير بادية الصفحة لنا(٤) .

ويضرب مثلا لذلك في ترتيب مناسك الحج وفرائض الطهور والصلاة وعدد ركعاتها والطلاق وغير ذلك بينما يرى ان التعليل واف لعلل النحو كرفع الفاعل ونصب المفعول وكقلب (واو) مِوْزان ومِوْعاد الى ياء ويرى أن التعليلات الفقهية لم تستفد من طريق الفقه ولايخص حديث الفرض والشرع بل هو أمر قائم في النفوس ولست تجد شيئاً مما علل بـه القوم وجوه الاعراب الا والنفس تقبله

(١) الخصائص ١/١٠٣

(٢) الخصائص ١/١١٢

(٣) الخصائص ١/١٩٩

(٤) الخصائص ١/٤٨

والحس منطوعلى الاعتراف به ،وعلى هذافعلل الفقه أخفض من رتبة علل النحو(١).

وأراه مغالياً فى هذه الموازنة بين علل الفقه والشرع فان ماذكره من أن علل الفقه لم تستفد من طريق الفقه ولا من طريق يخص الفرض والشرع ليس صحيحاً فقد وردت تعليلات لأحكام شرعية كثيرة فى القرآن الكريم والأحاديث النبوية نحو قوله تعالى فى شهادة المرأتين مع الرجل « أن تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى » وفى القصاص « ولكم فى القصاص حياة » وفى القتال « الا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » وفى تقسيم المال (كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم) وفى شهادة الميت (ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها) وفى الزواج بواحدة (ذلك أدنى ألا تعولوا) وفى نهي السكران عن أن يقرب الصلاة (حتى تعلموا ماتقولون) وفى الاختلاف بين الناس فى معايشهم (ليتخذ بعضهم بعضاً سُخرياً) وغير ذلك وغيره . وفى الحديث فى تحريم زواج القريبات اللاتي لم يرد ذكرهن فى القرآن مامعناه « انكم ان فعلتم ذلك قطعتم ارحامكم » وكقوله « اذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه الا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » أو كما قال وكقوله : « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » وغير ذلك .

أما تمثيله بعدد الركعات ومناسك الحج فهناك ماهو شبيه به فى اللغة ، فمن ذلك انه لم سمي « الحجر » حجراً ؟ ولم كان اسم هذا المسمى على ثلاثة أحرف ، و (الجدول) على أربعة أحرف و « الكرسي » على خمسة ؟ ولم كانت طائفة من المصادر مؤنثة والاخرى مذكرة كالعاقبة والمصير ؟ ولم كان « السبب » مذكراً و « والعلة » مؤنثة ، ولم كانت « الشمس » مؤنثة والقمر مذكراً فى حين ان ذلك فى الافرنسية - مثلا - معكوس ، ولم كان (الليل) و (النهار) مذكرين فى حين أن الليل فى بعض اللغات مؤنث والنهار مذكر ؟ ولم لم تكن لاسماء الجموع مفردات

---

(١) الخصائص ١/٤٨ وما بعدها

كالخيل والابل ؟ ولم كان المصدر من (عَرف يعرف) معرفةوعرفانا ومن (حفظ يحفظ) حفظاً ؟ ولم جعل (كي) حرف نصب و (لم) حرف جزم و (أن) ناصباً و (إن) جازماً ؟ ولم قالوا « استحوذ » ولم يقولوا استحاذ كاستقام ؟ ولم قالوا (بِيض) وقالوا (موقن) و (موسر) والعلةواحدة ؟ ولم استعملوا (العدل) فى أسماء محفوظة كعمر وزفر وزحل وثعل دون أن يكون هذا العدل فى مالك وحاتم وخالد ؟ وغير ذلك وغيره .

والقول بأن علل الفقه لم تستفد من طريق الفقه - لو سلم أنها كذلك وليست كذلك كما مر - كانت علل النحو مثلها . ان علل النحو التي ذكر قسما منها هي تعليلات للباحثين النحويين وهم ابتدعوها وفيها مسائل خلافية كثيرة أما الواضع فليس له تعليلات - بخلاف الأحكام الشرعية - ولا ذكر للعلل النحوية ومن هذه الناحية تكون علل الفقه أعلى من علل النحويين .

وهذه المناقشة في الحقيقة هي مجاراة له في قوله أما الصواب الذي نعتقده فهو ان علل النحو ليست فقهية ولا كلامية ولا في سمتها وانما هي متعلقة بطبيعة اللغة نفسها .

وأما ادعاؤه بأن كل ماعلل به القوم من وجوه الاعراب الا والنفس تقبله فغالاة والا فما الخلاف في التعليل بين البصريين والكوفيين وبين البصريين أنفسهم والكوفيين أنفسهم في اغلب مسائل النحو ، وأيسر حادثة تضرب مثلا لذلك حادثة شيخه أبي علي الفارسي مع عضدالدولة في تعليل نصب المستثنى في نحو : قام القوم الا زيدا . قال أبو علي انتصب بتقدير استثنى زيدا ، فقال عضد الدولة : لم قدرت استثنى ؟ هلا قدرت : امتنع زيد فرفعت ! فلم يحر الفارسي جوابا(١) .

ويذكر أن علل النحو على ضربين : احدهما واجب لابد منه لأن النفس لاتطيق في معناه غيره . والاخر مايمكن تحمله الا انه على تجشم واستكراه :

---

(١) نزهة الالباء ص ٣٨٨ طبع مصر

ومن الضرب الأول : قلب الألف واوا للضمة قبلها ، وياء للكسرة قبلها نحو قولك في تحقير ضـارب ضويرب وفي تحقير قرطاس وتكسـيره قريطيس وقراطيس فهذا ونحوه مما لابد منه من قبل انه ليس في القوة ولا احتمال الطبيعة وقوع الألف المدة الساكنة بعد الكسرة ولا الضمـة ، وليس كذلك قلب واو عصفور ونحوه ياء اذا انكسر ماقبلها نحو عصيفير وعصافير ألا ترى انه قد يمكنك تحمل المشقة في تصحيح هـذه الواو بعـد الكسرة وذلك بأن تقول عِصِفِوْر وعصافِوْر (١) .

ويفرق بين العلة والسبب ويسمى الأولى « العلة الموجبة » والثاني « العلـة المجوزة » ويرى أن أكثر العلل مبناها على الايجاب بها كنصب الفضلة أو ماشابه في اللفظ الفضلة ، ورفع المبتدأ والخبر والفاعل وجر المضاف اليه وغير ذلك ، فعلل هذه الداعية اليها موجبة لها غير مقتصر بها على تجويزها وعلى هذا مقاد كلام العرب.

وضرب آخر يسمى (علة) وانما هو في الحقيقة (سبب) يجوز ، من ذلك أسباب الامالة ، فان كل ممال لسبب لك أن تترك امالته مع وجود السبب . فهـذه اذن علة الجواز لاعلة الوجوب .

ومن ذلك علـة قلب واو « أقتت » همزة وهي انضمام الواو ضما لازما ومع ذلك فلك ان تجيز ظهورها واوا غير مبدلة فتقول : وقتت(٢) .

ويرى أن العلة اذا لم تتعد لم تصح أو مايسمى (العلة القاصرة) نحو قول من اعتل لبناء كم ومن وما ونحوها بأن هذه الأسماء لما كانت على حرفين شابهت بذلك ماجاء من الحروف على حرفين نحو هل وبل وقد ، فلما شابهتها من هـذا الموضع وجب بناؤها وهذه عله غير متعدية اذ لو كان ذلك كذلك لبني ماجاء من الاسماء على حرفين نحو يد وأخ وأب ودم وفم(٣) .

---

(١) الخصائص ١/٨٨

(٢) الخصائص ١/١٦٤

(٣) الخصائص ١/١٦٩

ويرى ان الحكم الواحد قد يكون معلولا بعلتين كالاسم الممنوع من الصرف وذلك أن علة امتناعه من الصرف انما هي لاجتماع شبهين فيه من اشباه الفعل فأما السبب الواحد فيقل عن أن يُتم علة بنفسه حتى ينضم اليه الشبه الآخر من الفعل(١) .

ويذكر أن الحكم الواحد قد تتجاذب كونه العلتان أو أكثر منهما كرفع المبتدأ فان البصريين يعللون رفعه بالابتداء والكوفيين يرفعونه بالخبر وكذلك القول في علة رفع الخبر والفاعل ونائبه وخبر ان واخواتها(٢) . وقد وجب في مثل هذه الأمور تأمل القولين واعتماد أقواهما ورفض صاحبه فان تساويا في القوة لم ينكر اعتقادهما جميعاً(٣) .

ويذكر أن الحكم قد يبقى مع زوال العلة نحو قولهم فيما أنشده أبو زيد :

حمى ٌ لا يُحَلّ ُ الدهرَ إلا باذننا ولانسأل الاقوام عقد المیاثق

ألا ترى أن فاء ميثاق التي هي واو وثقت انقلبت للكسرة قبلها ياء كما انقلبت في ميزان وميعاد فكان يجب على هذا لما زالت الكسرة في التكسير ان تعاود الواو فتقول على قول الجماعة المواثيق كما تقول الموازين والمواعيد(٤) .

وتتلخص أقواله في العلة بما يلي :

١ ـ ان الشيء اذا أكثر وشاع فله علة كرفع الفاعل ونصب المفعول(٥) .

٢ ـ ان علل النحو أقرب الى علل المتكلمين منها الى علل المتفقهين .

٣ ـ قد يكون للحكم الواحد أكثر من علة واحدة يعلل بها .

٤ ـ العلة اذا لم تتعد لم تصح .

---

(١) الخصائص ١/١٧٧

(٢) الخصائص ١/١٦٦

(٣) الخصائص ١/١٠٠

(٤) الخصائص ٣/١٥٧

(٥) الخصائص ١/١٠٠

٥ ـ قد يكون للشيء الواحد حكمان مختلفان دعت اليهما علتان مختلفتان كاعمال (ما) الحجازية واهمال (ما) التميمية(١) .

٦ ـ قد يكون الحكم الواحد معلولا بعلتين كالممنوع من الصرف .

٧ ـ قد تكون العلة واجبة لأن النفس لاتطيق في معناها غيرها ، وقد تكون ليست كذلك . من الضرب الاول تحقير ضارب وقرطاس ، ومن الضرب الثاني تحقير وتكسير عصفور .

٨ ـ وهنالك علة موجبة وعلة مجوّزة وهي السبب ، فالعلة الموجبة كرفع الفاعل ونصب الفضلة وجر المضاف اليه . والسبب نحو ما يذكر من أسباب الامالة وكقلب واو « أقتت » همزة .

٩ ـ ان الحكم قد يبقى مع زوال العلة وهذا لايدل على فساد العلة .

١٠ ـ العلة الحقيقية عند أهل النظر لاتكون معلولة ألا ترى ان السواد الذي هو علة لتسويد ما يحله انما صار كذلك لنفسه لا لأن جاعلا جعله على هذه القضية وعلى هذا فقول من قال(٢) ـ العلة وعلة العلة ـ في النحو ـ انما هو تجوز في اللفظ(٣) .

١١ ـ قد يعلل الحكم بدور الاعتلال كما ذهب اليه محمد بن يزيد (المبرد) في وجوب اسكان اللام في نحو ضرَبْنَ وضرَبْتَ الى أنه لحركة ما بعده من الضمير وذهب في حركة الضمير انما وجبت لسكون ما قبله فاعتل لهذا بهذا وهذا من القوادح في التعليل(٤) .

---

(١) الخصائص ١/١٦٧

(٢) يعني أبا بكر بن السراج

(٣) الخصائص ١/١٧٣ ـ ١٧٤

(٤) الخصائص ١/١٨٣ ـ ١٨٤

هل كانت العرب تلحظ العلل ؟

ذهب علماء اللغة فى هذا الموضوع مذهبين :

١ ـ المذهب الأول يدّعي أن العرب كانوا يتأملون مواقع الكلام .

٢ ـ والثاني يقول انهم كانوا يتكلمون سليقة وطبيعة من غير تأمل لمواقع الكلام .

وقد ذهب ابن جني الى المذهب الأول وأكده وكرره فى مواطن عدة من كتبه . جاء فى (الخصائص) : « وكان أبو الحسن يذهب الى أن ماغير لكثرة استعماله انما تصورته العرب قبل وضعه ، وعلمت أنه لابد من كثرة استعمالها اياه فابتدأوا بتغييره علما بأن لابد من كثرته الداعية الى تغييره .. وقد كان أيضاً أجاز أن يكون قد كانت قديمة معربة فلما كثرت غيرت فيما بعد . والقول عندي هو المذهب الأول لأنه أدل على حكمتها وأشهد لها بعلمها بمصاير أمرها فتركوا بعض الكلام مبنياً غير معرب نحو أمس وهؤلاء وأين »^(١)

وجاء فيه أيضاً : « فان قلت : ومن اين يعلم أن العرب قد راعت هذا الأمر واستشفته وعنيت بأحواله وتتبعته حتى تحامت هذه المواضع التحامي الذي نسبته اليها وزعمته مرادا لها ؟ .. قيل له : هيهات ! ما أبعدك عن تصور أحوالهم وبُعد أغراضهم ولطف أسرارهم ! »^(٢)

ويذكر انه سأل يوماً أبا عبدالله محمد بن العساف العقيلي الجوثي التميمي فقال له : يا أبا عبدالله كيف تقول ضربت أخاك ؟ فقال : كذاك . فقلت : أفتقول : ضربت أخوك ؟ فقال : لا اقول اخوك أبـداً . قلت : فكيف تقول : ضربني أخوك ؟ فقال : كذاك . فقلت : ألست زعمت أنك لاتقول : أخوك أبداً ؟ فقال :

(١) الخصائص ٣١/٢

(٢) الخصائص ٧٢/١

أيش ذا ! اختلفت جهتا الكلام . فهل هذا في معناه الا كقولنا نحن : صار المفعول فاعلا ، وان لم يكن بهذا اللفظ البتة فانه هو لامحالة(١) .

وسأل غلاما من آل المهيا فصيحاً عن لفظة من كلامه فقال : أكذا أم كذا؟ فقال : كذا بالنصب لأنه أخف فجنح الى الخفة وعجبت من هذا مع ذكره النصب بهذا اللفظ وأظنه استعمل هذه اللفظة لأنها مذكورة عندهم في الانشاد الذي يقال له النصب مما يتغنى به الركبان(٢) .

وعقد باباً (في ان العرب قد أرادت من العلل والأغراض ما نسبناه اليها وحملناه عليها) ويقول ان في هـذا الباب تصحيح ما ندعيه على العرب من أنها أرادت كذا لكذا(٣) ويرى أن اطراد رفع الفاعل ونصب المفعول والجر بحروف الجر والجزم بحروفه وغير ذلك من حديث التثنية والجمع والاضافة والنسب مما يطول شرحه دليل لايحسن بذي لب أن يعتقد ان هـذا كله اتفاق وقع وتوارد اتجه(٤) .

فان قلت فما تنكر أن يكون ذلك شيئاً طبعوا عليه وأجيئوا اليه من غير اعتقاد منهم لعلله . . قيل لن يخلو ذلك أن يكون خبراً روسلوا به أو تيقظاً نبهوا على وجه الحكمة فيه . فان كان وحياً أو مايجري مجراه فهو انبه لهم واذهب في شرف الحال به ، لان الله سبحانه انما هداهم لذلك ووقفهم عليه لأن في طباعهم قبولا له وانطواء على صحة الوضع فيه(٥) .

ويذكر ان المتنبي حدثه انه شاهد جماعة من العرب وأحدهم يتحدث فذكر

---

(١) الخصائص ١/ ٢٥٠

(٢) الخصائص ١/ ٧٨

(٣) الخصائص ١/ ٢٣٧

(٤) الخصائص ١/ ٢٣٨

(٥) الخصائص ١/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩

في كلامه فلاة واسعة فقال : يحير فيها الطرف قال : وآخر منهم بلقنه سرا من الجماعة بينه وبينه فيقول له : بحار بحار . أفلا ترى الى هداية بعضهم لبعض وتنبيهه اياه على الصواب ؟ (١)

ويذكر انه سأل أبا عبدالله الشجري فقال : ـ كيف تجمع (دكانا) فقال : دكاكين . قلت : فسرحانا ؟ قال : سراحين . . . قلت فعثمان ؟ قال : عثمانون . فقلت له . هلا قلت أيضا عثامين ؟ قال : أيش عثامين ! أرأيت انسانا يتكلم بما ليس من لغته والله لا أقولها ابدا . (٢) فهل ذلك الا لأنهم يحتاطون ويقتاسون ولا يفرطون ولا يخلطون ومع هذا فليس شيء مما يختلفون فيه ـ على قلته وخفته ـ الا له من القياس وجه يؤخذ به(٣) .

ويرى الأستاذ الرافعي ان ذلك من (خرفشة النحاة) ـ كما قال ابن خلدون ـ ويرى أن الصواب أنهم يتساندون الى السليقة ويجرون على مقتضى الطبع فلايفطنون الى اختلاف مواقع الكلام باختلاف جهاته ويرى انه لو ثبت تصفحهم لوجوه الكلام وتأملهم مواقعه ماجاز ان ينتقل لسان العربي عن لغة الى لغة أخرى ولا أن يستدرج في بعض الكلام ولا أن تضعف فصاحة الفصيح منهم للزومهم طريقا واضحا ومهيعا معروفا . (٤)

وقال الاستاذ محمد الطنطاوي نحو ذلك في كتابه (نشأة النحو) . (٥)

وما استدل به ابن جني من نحو تصحيح عربي لآخر قال: يحير فقال له: بحار، أو الاستدلال بجمع (دكان)و (عثمان) ، أو نحو سؤال الشجري عن (ضربت أخاك

---

(١) الخصائص ٢٣٩/١

(٢) الخصائص ٢٤٢/١

(٣) الخصائص ٢٤٤/١

(٤) تاريخ آداب العرب ٢٤٠/١ ـ ٢٤١

(٥) نشأة النحو ص ١٣

وضربني أخوك) وقوله : اختلفت جهتا الكلام ونحو ذلك ، لاأراه ينهض دليلا على أن المتكلم كان يتأمل مواقع الكلام ويعرف علل العربيـة التي ينسبها اليهم بل الذي أراه أنه يجري وفق سنن قومه ويتسـاند الى طبعه . فأما سؤاله الشجري عن (دكان وعثمان) فهذا مما يحدث نحوه للعامة صغارا وكبارا من دون معرفة بالسبب ماعدا الطبع اللغوي الذي طبعوا عليه وأخذوه من بيئتهم فهم يجمعون (الحمام) مثلا على (الحمامات) و (الشيال) على (الشيالات) على حين يجمعون (الصياد) على الصيادين و (السكين) على سـكاكين ولايعرفون شروط الجمع التي يعددها النحاة . ويجمعون (الدينار) على الدنانير ولايعرفون أن أصل الياء نون مع أنهم يجمعون (السيباط) على السيابيط و (النيشان) على النياشين . ثم قول الشجري : ايش عثمامين ؟ ليس فيه تعليل ولا قياس وليس فيه ذكر لسبب سوى متابعة النهج. ومايقال في هذا يقال في الاستدلال بسؤال الشجري عن (ضربت اخاك وضربني أخوك) فهو لايختلف عما سبق ، ولو سـألت عاميا : لم جمعت (الحمام) على الحمامات و (العطار) على العطارين و (الصفار) على الصفارين لقال لك : هذا غير ذاك ، وهـذا يختلف عن ذاك . والعامة يسـتعملون نون الوقاية مع الفعل ولا يستعملونه مع الاسم فيقولون : ضربني وأكرمني . ويقولون : مالي وحاجتي وولدي ولو سألتهم عن سر هذا الاستعمال ما أجابوك الا بقولهم : هكذا أو نحو ذاك ولايعرفون العلل التي ذكرها النحاة في استعمال نون الوقاية مع الفعل وعدم استعمالها في الاسم . وما يقال في هذا يقال في التصحيح الذي نقله المتنبي ، فقـد يحدث ان يخطيء احد الناس في اللغة فيصححه له من يسمعه فقـد سمعت كثيرين يجمعون (الموصلي) على (المصالوة) على حين يصححـه آخرون لهم فيقولون (المواصلة) وسمعت ولدا قرويا يخالف في كلامـه جميع أهل القرية فيقول : لاأروح ، لاأجي ، لالعبت ، لارحت ، والاولاد يضحكون منـه يقولون له : ماأروح وماألعب وما لعبت وكذا القول في سائر مااستدل به .

نعم ، ان اطراد قواعد اللغة مما يدل - كما قال - على أن الكلام ليس ترجيما

ولكن اي لغة لم تطرد قواعدها ؟ سواء أكانت لغة فصيحة أم عامية ؟ لاشك في ان اللغات جميعها ذات قواعد مطردة الفصحى منها والعامية ، ولو أردنا أن نستقري لها نحوا لخرجنا بقواعد كثيرة مطردة ، ولكن هل يقال ان العامة كانوا يعرفون هذه الأقيسة والقواعد ويحتذونها ويعرفون العلل التي يستخرجها المستقرون من كلامهم ؟

ليس من الممكن أن تكون لغة - فصيحة أو عامية - غير ذات قواعد تضبطها فلو كانت كذلك لم يحدث تفاهم ، ولكن ليس معنى ذلك ان القواعد كانت مفهومة لدى المتحدثين بها وأنهم يتأملون مواقع الكلام .

ان اللغة ليست صنع واحد أو مجموعة أفراد من الناس تواضعوا في قواعدها ولكنها تطور كبير وطويل المدى لتعبيرات مجموعة كثيرة من الناس وطوائف متعاقبة فلا غرو أن تكون ذات قواعد لمن أراد أن يستقري . وذكر أبو الفتح أبياتاً لعمار الكلبي يستدل بها على رأيه فقال : وقال عمار الكلبي - وقد عيب عليه بيت من شعره فامتعض لذلك(1) .

ماذا لقينا من المستعربين ومن ... قياس نحوهم هذا الذي ابتدعوا
ان قلت قافية بكرا يكون بها ... بيت خلاف الذي قاسوه أوذرعوا
قالوا لحنت وهذا ليس منتصبا ... وذاك خفض وهذا ليس يرتفع
وحرضّوا بين عبدالله من حُمُق ... وبين زيد فطال الضرب والوجع
كم بين قوم قد احتالوا لمنطقهم ... وبين قوم على اعرابهم طُبعوا
ما كل قولي مشروحاً لكم فخذوا ... ما تعرفون وما لم تعرفوا فدعوا

والذي أراه أن هذه الابيات تدل على عكس ما يريد أبو الفتح فهو يذكر ان الأعراب لايعرفون هذا المنطق الذي ابتدعه النحاة وانما هم مطبوعون على الكلام والاعراب .

---

(1) الخصائص ١/٢٣٩ - ٢٤٠

ويعقد أبو الفتح بابا في (أغلاط العرب) ويعلل وقوع الاغـلاط في كلامهم بتعليل شيخه وهو أنهم ليست لهم أصول يراجعونها ولا قوانين يعتصمون بها وانما تهجم بهم طباعهم على ما ينطقون به وما استهواهم الشـيء فزاغوا عن القصد(١) .

ومن الاغلاط التي يذكرها : (مالك موت) يعني ملك الموت اذ وهـم القائل انه من (ملك يملك) فصاغ منها على (فاعل) والصواب انها من (ملأك). ومن ذلك همزهم مصائب ومنائر ومزائد ومنها قولهم : حلأت السويق ورثأت زوجي بأبيات واستلأمت الحجر ولبأت بالحج وغير ذلك(٢) . ويذكر نحو ذلك في (المنصف) فيقول : « وانما يجوز مثل هـذا الغلط عندهم لما يستهويهم من الشبه لأنهم ليست لهم قياسات يستعصمون بها وانما يخلدون الى طبائعهم . (٣)

فالذي يدل عليه كلامه هذا هو عكس ماذهب اليه في الأول . وأما قول الأستاذ الرافعي انه لو ثبت انهم يتصفحون وجوه الكلام ويتأملون مواقعه لما جاز أن ينتقل لسان العربي عن لغة الى لغة أخرى ولا أن تضعف فصاحته ، فالذي أظنه أن ذلك ليس صحيحاً الى الحد الذي ذهب اليه وصوره . فنحن نتعلم أحكام اللغة وندرس قواعدها ومع ذلك فنحن اذا تركناها او انتقلنا الى بلاد أخرى لانتكلم بها فاننا ننسى وبمرور الزمن ينتقل اللسان وتغيب تلك الأحكام عنا .

وعلى هذا فالذي أراه ان ابن جني كان مغالياً فيما ذهب اليه في أن العرب كانوا يعرفون العلل والأغراض التي ينسبها اليهم النحاة .

ما لاحظته العرب من العلل في كلامها :

يذكر أبو الفتح في أثنـاء بحثه أن العرب لاحظت عللا تتبعها في كلامها

---

(١) الخصائص ٢٧٣/٣

(٢) الخصائص ٢٧٣/٣ .. الخ

(٣) المنصف ٣١١/١

وأهم هذه العلل هي :

١ ـ أمن اللبس :

وهي من أهم العلل في اللغة ان لم تكن أهمها على الاطلاق فالمتكلم يريد أن يُفهم ، واذا كان هناك لبس يحاول أن يزيل هـذا اللبس ما استطاع جاء في (الخصائص) : « وقد توهم قوم أن الألوقة(١) ـ لما كانت هي اللوقة في المعنى وتقاربت حروفها ـ من لفظها وذلك باطل لأنه لو كانت من هذا اللفظ لوجب تصحيح عينها اذ كانت الزيادة في أولها من زيادة الفعل والمثال مثاله فكان يجب على هذا أن تكون « أَلْوُقة » كما قالوا في أثوُب وأسوُق .. بالصحة ليفرق بذلك بين الاسم والفعل »(٢) أي لازالة اللبس بينهما . وجاء فيه « قال أبو اسحاق في رفع الفاعل ونصب المفعول انما فعل ذلك للفرق بينهما »(٣) أي لأمن اللبس .

وجاء في (سر الصناعه) في قولهم : زرني فأزورَك : فان قيل : ولم قدر في أول الكلام مصدر حتى اضطروا الى اضمار (أن) ثم عطفوا المصدر المنعقد للمعنى بأن والفعل جميعا على المصدر الذي قبله ؟

فالجواب : انهم انما فعلوا ذلك لمخالفة الفعل الثاني للفعل الأول في المعنى(٤) أي لأمن اللبس .

٢ ـ الخفة :

وهي علة مهمة جداً تراعيها العرب في كلامها . ومن ذلك ما ذكر عن علة رفع الفاعل ونصب المفعول ناقلا قول أبي اسحاق . «ان الفعل لا يكون له اكثر من فاعل واحد وقد يكون له مفعولات كثيرة فرفع الفاعل لقلته ونصب المفعول

---

(١) الزبدة

(٢) الخصائص ١ / ١٠

(٣) الخصائص ١ / ٤٩

(٤) سر الصناعة ١ / ٢٧٣

لكثرته وذلك ليقل في كلامهم مايستثقلون ويكثر في كلامهم ما يستخفون » (١).

ويقول في مكان آخر « وأما اهمال ما اهمل مما تحتمله قسمة التركيب في بعض الأصول المتصورة او المستعملة فأكثره متروك للاستثقال » (٢) « ومن حديث الاستثقال والاستخفاف انك لا تجد الثنائي على قلة حروفه ما اوله مضموم الا القليل وانما عامته الفتح » (٣) « وسألت غلاماً من آل المهيا فصيحاً عن لفظة من كلامه لا يحضرني الآن ذكرها فقلت : اكذا أم كذا ؟ فقال : « كذا بالنصب لانه اخف » « فجنح الى الخفة »(٤) . وذكر ان الامثال اذا ثقلت لتكريرها فيترك الحرف الى ما هو أثقـل منه ليختلف اللفظان فيخفا على اللسـان . وذلك نحو الحيوان ، الا ترى انـه عنـد الجماعة الا أبا عثمان من مضاعف اليـاء وأن اصله حيّيان فلما ثقل عدلوا عن الياء الى الواو وهذا مع احاطة العلم بأن الواو أثقل من الياء ولكنه لما اختلف الحرفان ساغ ذلك(٥) . وقال في قول الشاعر :

ولقد يغنى به جيرانك الـ ممسكو منكِ باسباب الوصال

أراد « الممسكون » ولكن حذف النون لطول الاسم لا للاضافة(٦) .

٣ ـ التصرف وعدم الاجهاد :

وذكر من ذلك اهمال بعض الثلاثي لامن أجل جفاء تركبه بتقاربه نحو سص وصس وانما لئلا يخلو هـذا من ضرب من الاجهاد له . (٧) وقال : « ألا ترى الى

(١) الخصائص ١ / ٤٩

(٢) الخصائص ١ / ٥٤

(٣) الخصائص ١ / ٦٩

(٤) الخصائص ١ / ٧٨

(٥) الخصائص ١٨/٣

(٦) المنصف ٦٦/١

(٧) الخصائص ٦٢/١

كثرة غلبة الياء على الواو في عام الحال ، ثم مع هذا فقد ملوا ذلك الى أن قلبوا الياء واواً قلباً ساذجاً أو كالساذج لا لشيء أكثر من الانتقال من حال الى حال فأن المحبوب اذا كثر ملّ . . وذلك الموضع الذي قلبت فيه الياء واوا على ما ذكرنا لام فعلى اذا كانت اسماً من نحو الفتوى والرعوى والتقوى . » (١) وذكر ان الفعل اذا كان بمعنى فعل آخر وكان احدهما يتعدى بحرف والآخر بآخر فان العرب قد تتسع فتوقع احد الحرفين موقع صاحبه ايذاناً بأن هذا الفعل في معنى ذلك(٢). وقال في (الاستحسان) : « وجماعه ان علته ضعيفة غير مستحكمة الا ان فيه ضرباً من الاتساع والتصرف(٣) .

٤ ـ الشبه والتجانس :

ومنه تعليل سيبويه جر الوجه من قولك : هذا الحسن الوجه وهو تشبيهه بالضارب الرجل (٤) وقال في مكان آخر : « الا ترى انهم لما شبهوا الفعل باسم الفاعل فأعربوه كنفوا هذا المعنى بينهما وأيدوه بأن شبهوا اسم الفاعل بالفعل فأعملوه » (٥) .وهو على اقسام :

آ ـ حمل الفرع على الأصل : قال في (الخصائص) : « اعلم أن العرب تؤثر من التجانس والتشابه وحمل الفرع على الاصل ما إذا تأملته عرفت منه قوة عنايتها بهذا الشأن وانه منها على أقوى بال ، الا ترى أنهم لما أعربوا بالحروف في التثنية والجمع الذي على حدّه فأعطوا الرفع في التثنية الألف والرفع في الجمع الواو والجر فيهما الياء وبقي النصب لاحرف له فماز جذبوه الى الجرفحملوه عليه»(٦) ،

---

(١) الخصائص ٨٧/١

(٢) الخصائص ٣٠٨/٢

(٣) الخصائص ١٣٣/١

(٤) الخصائص ١٨٣/١

(٥) الخصائص ١٨٧/١

(٦) الخصائص ١١١/١

وذكر جمع المؤنث السالم وانه حمل فيه النصب على الجر أيضاً .

ب ـ حمل المراتب المتساوية على بعضها : ذكر في حذف الهمزة في نكرم وتكرم ويكرم انها حذفت حملا على (أكرم) لاجتماع الهمزتين ومراتبها متساوية قال : فاذا جاز أن يحمل حروف المضارعة بعضها على بعض ومراتبها متساوية وليس بعضها أصلا لبعض كان حمل المؤنث على المذكر أولى(١) . وذكر منه حذف الواو في أعد وتعد ونعد حملا على (يعد) في وقوع الواو بين ياء مفتوحة وكسرة .

ج ـ حمل الأصل على الفرع : جاء في (الخصائص) : « وقد دعاهم ايثارهم لتشبيه الاشياء بعضها ببعض أن حملوا الأصل على الفرع ألا تراهم يعلون المصدر لأعلال فعله ويصححونه لصحته ، وذلك نحو قولك : قمت قياما وقاومت قواما . فاذا حملوا الاصل الذي هو المصدر على الفرع الذي هو الفعل فهل بقي في وضوح الدلالة على ايثارهم تشبيه الأشياء المتقاربة بعضها ببعض شبهة »(٢).

د ـ حمل الشيء على الشيء : جاء في (الخصائص) في (باب في حمل الشيء على الشيء من غير الوجه الذي أعطى الأول ذلك الحكم) : ـ اعلم ان هذا باب طريقة الشبه اللفظي وذلك كقولنا في الاضافة الى مافيه همزة التأنيث بالواو وذلك نحو حمراوي وصفراوي ... ثم انهم قالوا في الاضافة الى علباء : علباوي والى حرباء حرباوي فأبدلوا هذه الهمزة وان لم تكن للتأنيث لكنها شابهت همزة حمراء وبابها بالزيادة حملوا عليها همزة علباء .. ثم تجاوزوا هذا الى أن قالوا في كساء وقضاء كساوي وقضاوي فأبدلوا الهمزة واوا حملا لها على همزة علباء(٤) .

وعلى هذا مامنع الصرف من الاسماء للشبه اللفظي نحو أحمر وأصفر وأحمد لما في ذلك من شبه لفظ الفعل(٤) .

(١) الخصائص ١/١١٢

(٢) الخصائص ١/١١٣

(٣) الخصائص ١/٢١٣

(٤) الخصائص ١/٢١٥

د ـ حمل الشيء على نقيضه: قال : والعرب قد تجري الشيء مجرى نقيضه كما تجريه مجرى نظيره ، الا تراهم قالوا : جوعان كما قالوا شبعان ، وقالوا علِم كما قالوا جهِل وقالوا كثُر ماتقومَنّ كما قالوا قلّما تقومَنّ وذهب الكسائي في قوله :

اذا رضيت علي بنو قشير لعمر الله أعجبني رضاها

الى انه عدّى (رضيت) بعلى لما كان ضد سخطت وسخطت مما تعدى بعلى(١) .

٥ ـ مراعاة المعنى :

وهو على أقسام :

آ ـ مضاهاة الجرس للمعنى : قال : « فان كثيراً من هذه اللغة وجدته مضاهياً بأجراس حروفه أصوات الأفعال التي عبر بهـا عنها ، ألا تراهم قالوا قضم في اليابس وخضم في الرطب وذلك لقوة القاف وضعف الخاء . وكذلك قالوا صرّ الجندب فكرروا الراء لما هناك من استطالة صوته وقالوا صرصر البازي فقطعوه لما هناك من تقطيع صوته(٢) .

وقال سيبويه في المصادر التي جاءت على الفَعَلان انهـا تأتي للاضطراب والحركة نحو النَقَزان والغَلَيان والغَثَيان فقابلوا بتوالي حركات المثـال توالي حركات الأفعال(٣) وقال : فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الاحداث فباب عظيم واسع وذلك انهم كثيراً مايجعلون أصوات الحروف على سمت الاحداث المعبر بها عنها فيعدّلونها بها ويحتذونها عليها(٤) . وجعل منه النضح والنضخ والقد والقط . . . الخ .

---

(١) الخصائص ٢ / ٣٨٩

(٢) الخصائص ١ / ٦٥

(٣) الخصائص ٢ / ١٥٢

(٤) الخصائص ٢ / ١٧٥

ب ـ تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني : قال واكثر كلام العرب عليه(١) ومن ذلك تركيب (ح م س) و (ح ب س) قالوا حبست الشيء وحمس الشر اذا اشتد . واستعملوا تركيب (ج ب ل) و (ج ب ن) و (ج ب ر) لتقاربها في موضع واحد هو الالتئام والتماسك(٢) .

ج ـ غلبة المعنى للفظ : قال : ويدلك على تمكن المعنى في أنفسهم وتقدمه للفظ عندهم تقديمهم لحرف المعنى في أول الكلمة وذلك لقوة العناية به . . . وعلى ذلك تقدمت حروف المضارعة في أول الفعل اذ كن دلائل على الفاعلين من هم وماهم وكم عدتهم . . وحكموا بضد هـذا للفظ ألا ترى الى ماقاله أبو عثمان في الالحاق : ان أقيسه ان يكون بتكرير اللام فقال : باب شملت وصعررت أقيس من باب حوقلت وبيطرت وجهورت »(٣) . وقال : « ان العرب قد تحمل على الفاظها لمعانيها حتى تفسد الاعراب لصحة المعنى »(٤) .

د ـ الحمل على المعنى : قال : « قد ورد به القرآن وفصيح الكلام منثوراً ومنظوماً كتأنيث المذكر وتذكير المؤنث وتصور معنى الواحد في الجماعة والجماعة في الواحد ، وفي حمل الثاني على لفظ قد يكون عليه الأول ، أصلا كان ذلك اللفظ أو فرعاً وغير ذلك . . فمن تذكير المؤنث قوله (عامر بن جوين الطائي) :

فلا مزنة ودقت ودقهـا ولا أرض ابقل ابقالهـا

ذهب بالأرض الى الموضع والمكان ومنه قول الله عز وجل (فلما رأى الشمس

---

(١) الخصائص ٢ / ١٤٥

(٢) الخصائص ٢ / ١٤٧

(٣) الخصائص ١ / ٢٢٤ - ٢٢٥

(٤) المحتسب ٢٦٩-٢٧٠

بازغة قال هذا ربي) أي هذا الشخص أو هذا المرئي ونحوه .. وعليه قول الحطيئة

ثلاثة أنفس وثلاث ذَوْد لقد جار الزمان على عيالي

ذهب بالنفس الى الانسان فذكّر . . وقال لبيد :

فمضى وقدمها وكانت عادة منه اذا هي عرّدت اقدامها

وقال : (رويشد بن كثير الطائي)

ياايها الراكب المزجي مطيته سائل بني أسد ماهذه الصوتُ

ذهب الى تأنيث الاستغاثة. وحكى الأصمعي عن أبي عمرو أنه سمع رجلا من أهل اليمن يقول : فلان لَغوب جاءته كتابي فاحتقرها . فقلت له : أتقول جاءته كتابي ؟ فقال : نعم أليس بصحيفة ؟ قلت : فما اللغوب ؟ قال : الأحمق . . .

ومن باب الواحد والجماعة قوله سبحانه « ومن الشياطين من يغوصون » فحمل على المعنى ، وقال (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولاخوف عليهم ولا هم يحزنون) فأفرد على لفظ (مَن) ثم جمع من بعد »(١).

هـ - قوة اللفظ لقوة المعنى : ومنه قولهم : خشن واخشوشن فمعنى خشن دون معنى اخشوشن لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو . وكذلك قولهم : أعشب المكان فاذا أرادوا كثرة العشب فيه قالوا : اعشوشب(٢) ، وذكر منه كسب واكتسب وقطع وقطّع وطويل وطُوال فطوال أبلغ من معنى طويل(٣) .

٦ - القوة والضعف :

قال في كثرة (مُفْعَل) نحو مُعنْتَق ومُطْنَب وقلة (فِعِيل) نحو إربل : ان

---

(١) الخصائص ٤١١/٢ الى آخر الباب

(٢) الخصائص ٣ / ٢٦٤

(٣) المصدر السابق

الضمة وان كانت اثقل من الكسرة فانها أقوى منها وقد يحتمل للقوة ما لا يحتمل للضعف ألا ترى الى احتمال الهمزة مع ثقلها للحركات وعجز الألف عن احتمالهن وان كانت خفيفة لضعفها وقوة الهمزة وانما ضعفت الكسرة عن الضمة لقرب الياء من الألف وبعد الواو عنها(١) .

٧ - الايجاز :

وذكر منه الاسماء المستفهم بها والأسماء المشروط بها كيف أغنى الحرف الواحد عن الكلام الكثير المتناهي في الابعاد والطول فمن ذلك قولك : كم مالك ؟ ألا ترى أنه قد أغناك ذلك عن قولك : أعشرة مالك أم عشرون أم ثلاثون . . . وكذلك بقية أسماء العموم في غير الايجاب نحو احد وديار . . . قال : واعلم أن العرب - مع ماذكرنا - الى الايجاز أميل وعن الاكثار أبعد(٢) .

٨ - الشذوذ :

ويدخل تحت هذه العلة أنواع :

أ - الشذوذ : ومنه مايسميه أغلاط العرب ، ومنه قولهم مصائب : وهذا مما لاينبغي همزه في وجه من القياس . . وقياسه مصاوب(٣) ونحوه منائر ومزائد . وقال أما الابدال على غير قياس فقولهم : قريت وأخطيت وتوضيت(٤) .

ب - التنبيه على الأصل : وهو يدخل في باب الشذوذ قال : - ومن ذلك مايخرج تنبيا على أصل بابه نحو استحوذ وأعيلت المرأة ... ولايقاس هذا ولاما قبله

---

(١) الخصائص ١/٦٩

(٢) الخصائص ١/٨٢ - ٨٣

(٣) الخصائص ١/١٤٤

(٤) الخصائص ١/١٥٢

(٥) الخصائص ١/١٤٣

لأنه لم تستحكم علته وانما خرج تنبيها وتصرفا واتساعا(٥) وقال ان (ضيون)(١) انما صح وخرج على الصحة تنبيها على أن اصل سيد وميّت : سَيْود ومَيْوت . وكذلك (عَوْية) خرجت سالمة ليعلم بذلك أن أصل لَيَّة لوية .

وكذلك أجازوا تصحيح نحو أسيود وجديول ارادة للتنبيه على ان التحقير والتكسير في هذا النحو من المثل من قبيل واحد(٢) .

وقال : ـ وقول الآخر :

وان رأيت الحجج الرواددا قواصـــرا بالعمر أو مواددا

قلت: هذا ظهر على اصله منبهة على بقية بابه ، فتعلم به ان اصل الأصم أصمم وأصل صب صبب وأصل الدواب والشواب الدوابب والشوابب(٣) .

ج ـ ان يكون في معنى مالابد منه : جاء في (الخصائص) : وذلك ان نقول في علة قلب الواو والياء ألفا انهما متى تحركتا حركة لازمة وانفتح ماقبلها وعري الموضع من اللبس أو أن يكون في معنى مالابد من صحة الواو والياء فيه أو أن يخرج على الصحة منبهة على أصل بابه فانهما يقلبان الفا ... وكذلك يسقط عنك الاعتراض بصحة الواو والياء في عَوِر وصيِد بأنهما في معنى مالابد فيه من صحة الواو والياء وهما اعورّ واصيدّ . وكذلك صحة في نحو اعتونوا وازدوجوا لما كان في معنى مالا بد فيه من صحتها وهو تعاونوا وتزاوجوا(٤) وقال : فأما قولهم ماأشد سواده وبياضـــه وعوره وحوله فما لابد منـــه(٥) وكذلك اعتونوا واعتوروا واهتوشوا واجتوروا

---

(١) السنور الذكر

(٢) الخصائص ١/١٥٥

(٣) الخصائص ١ / ١٦١

(٤) الخصائص ١ / ١٤٧ ـ ١٤٨

(٥) الخصائص ١ / ٢٦٩

لأنه في معنى مالا بـــد من صحتـــه لسكون ماقبله وهو تعاونوا وتعاوروا وتهاوشو وتجاوروا فجعل التصحيح امارة للمعنى(١) .

٩ - عدم نقض الغرض :

قال : « ألا ترى ان ما جاء في آخره الياء والواو قـد حفظن عليه وارتبطن له بما زيـد عليهن من التاء من بعدهن وذلك كعفرية وحدرية وترقوة وقلنسوة . » فلو زيدت هذه الحروف طرفاً للمد بها لانتقض الغرض من موضع آخر . وذلك ان الوقف على حرف اللين ينقصه ويستهلك بعض مـده ولذلك احتاجوا لهن الى في الوقف ليبين بها حرف المد » (٢) .

١٠ - الاستغناء بالشيء عن الشيء :

ذكر قول سيبويه ان العرب قـد تستغني بالشيء حتى يصير المستغنى عنه مسقطاً من كلامهم البتة . فمن ذلك استغناؤهم بترك عن (و د ع) و (وذر) ومن ذلك استغناؤهم بلمحة عن ململحة وعليها كسرت ملامح(٣) .

قال: ومن ذلك استغناؤهم بقولهم: ما اجود جوابه عن (هو أفعل منك) من الجواب(٤) .

وذكر ان ابا الحسن أجاز « أظننت زيـدا عمرا عاقلا » ونحو ذلك وامتنع منه أبو عثمان وقال : استغنت العرب عن ذلك بقولهم : جعلته يظنه عاقلا(٥) .

---

(١) التصريف الملوكي ص ١٩

(٢) الخصائص ١ / ٢٣٤

(٣) الخصائص ٦/٢٦٦

(٤) الخصائص ١/٢٦٩

(٥) الخصائص ١/٢٧٢

١١ ـ اصلاح اللفظ :

ذكر ان من ذلك قولهم أما زيد فنطلق فان تحرير هذا القول كأنك قلت : مهما يكن من شيء فزيد منطلق فتجد الفاء في جواب الشرط في صدر الجزئين ولا تقول : اما فزيد منطلق وانما فعل ذلك لاصلاح اللفظ . ذلك ان الفاء وان كانت جواباً ولم تكن عاطفة(٥) فانها على مذهب العاطفة وبصورتها . فلو قالوا أما فزيد منطلق لوقعت الفاء الجارية مجرى فاء العطف بعدها اسم وليس قبلها اسم انما قبلها في اللفظ حرف وهو (أمّا) فتنكبوا ذلك ووسطوها بين الحرفين ليكون قبلها اسم وبعدها آخر فتأتي على صورة العاطفة(١) .

وذكر ان من ذلك قولهم : ان زيداً لقائم فهذه لام الابتداء وموضعها أول الجملة وصدرها لا آخرها وعجزها فلما كره تلاقي حرفين لمعنى واحد ـ وهو التوكيد ـ أخرت اللام الى الخبر فصار : ان زيدا لمنطلق(٢) .

ومن اصلاح اللفظ قولهم : كأن زيدا عمرو: واصل الكلام إن زيداً كعمرو ثم انهم بالغوا في توكيد التشبيه فقدموا حرفه في اول الكلام ، فلما تقدمت الكاف وهي جارة لم يجز أن تباشر (ان) لانها ينقطع عنها ما قبلها من العوامل فوجب لذلك فتحها(٣) .

١٢ ـ الاحتياط :

ومن ذلك التوكيد اللفظي والمعنوي فان العرب إذا ارادت المعنى مكنته واحتاطت له(٤) .

ومن ذلك الاحتياط في التأنيث كقولهم : فرسة وعجوزة ومنه ناقة لأنهم

---

(١) الخصائص ١/٣١٢

(٢) الخصائص ١/٣١٤

(٣) الخصائص ١/٣١٧

(٤) الخصائص ٢/١٠١

(٥) الصواب ترك الفاء والا بقيت إن يوجد

لو اكتفوا بخلاف مذكرها لها - وهو جمل - لَغنُوا بذلك .

ومنه الاحتياط في اشباع معنى الصفة كقوله :

• والدهر بالانسان دواري •

أي دوّار . ومنه قوله :

قالت بنو عامر خالوا بني أسد   يا بؤس للجهل ضراراً لأقوام

أراد يا بؤس الجهل فأقحم لام الاضافة تمكيناً واحتياطاً لمعنى الاضافة .(١)

١٣ - مراعاة الأوزان العربية :

وذلك ان العرب اذا حذفت من الكلمة حرفا اما ضـــرورة أو ايثارا فانها تصور تلك الكلمة بعد الحذف منها تصويراً تقبله أمثلة كلامها ولا تعافه وتمجه لخروجه عنها سواء كان ذلك الحرف المحذوف أصلا أم زائداً .

فن ذلك أن تعتزم تحقير نحو منطلق أو تكسيره فلابد من حذف نونه . فاذا أنت حذفتها بقي لفظه بعد حذفها ، مُطَلِق ومثاله مُفَعِل . وهذا وزن ليس في كلامهم فلابد أذن من نقله الى أمثلتهم (مُطْلِق) ثم حينئذ من بعد تحقره فتقول مُطيلق وتكســره فتقول : مطالق كما تقول في تحقــير مُكرِم وتكسيره مكيرم ومكارم(٢) .

١٤ - الجوار :

وهو على ضربين تجاور الألفاظ والآخر تجاور الأحوال .

فأما تجاور الألفاظ فعلى ضربين : احدهما في المتصل والآخر في المنفصل : فأما المتصل فنه مجاورة العين للام بحملها على حكمها وذلك قولهم في صُــوّم : صُيّم وعليه أيضا أجازوا النقل لحركة الاعراب الى ما قبلها في الوقف نحو هـــذا

(١) الخصـائص ١٠٤/٢

(٢) الخصائص ١١٢/٣

بكرٌ، ومررت ببكِرٍ، الا تراها لما جاورت اللام بكونها في العين صارت لذلك كأنها في اللام لم تفارقها .

وأما الجوار في المنفصل فنحو ما ذهبت الكافة اليه في قولهم : هــذا جحر ضب ٍ خرب ٍ وقول الحطيئة :

فاياكم وحيــة بطن واد　　　هموز الناب ليس لكم بسي ّ

فيمن جر هموز(١) .

وأما تجاور الأحوال فنحو قولهم : أحسنت اليه اذ أطاعني ، وأنت لم تحسن اليه في أول وقت الطاعة وانما أحسنت اليه في ثاني ذلك لكنه لما تقارب الزمانان وتجاورت الحالان في الطاعة والاحسان صارا كأنهما انما وقعا في زمان واحد(٢) .

١٥ ـ الضرورة الشعرية :

ومن ذلك مطــل الحركات اذا احتاج الشاعر الى اقامة الوزن وانشاءعنها حرفاً من جنسها وذلك قوله :

• نفي الدراهم تنقاد الصياريف •

ومن ذلك حذف الحروف والحركات تخفيفاً للوزن من ذلك قول رؤبة :

• وصاني العجاج فيما وصّني •

يريد فيما وصاني : وقول الآخر :

• فاليوم اشربْ غير مستحقب •

---

(١) الخصائص ٢١٨/٣

(٢) المصدر السابق

وقوله :

« ومن يتق فان الله معه»(١) »

١٦ ـ علل خفية علينا :

قال : « ويمكن أن تكون أسباب التسمية تخفى علينا لبعدها في الزمان عنا»(٢).

١٧ ـ الاستحسان :

وهو ليس علة أصيلة بل يرجعه أبو الفتح الى علل أخرى كالاتساع والتصرف ، قال : « وجماعه ـ أي الاستحسان ـ أن علته ضعيفة غير مستحكمة إلا أن فيه ضرباً من الاتساع والتصرف من ذلك تركك الأخف الى الأثقل من غير ضرورة نحو قولهم : الفتوى والبقوى والتقوى والشروى ونحو ذلك(٣) .

أو الى علة الشبه قال : « ومن ذلك ـ أعني الاستحسان ـ أيضاً قول الشاعر :

أريتَ ان جئتُ به املودا ‌‌ ‌ مرجّلا ويلبس البرودا

أقائلن أحضر الشهودا

فألحق نون التوكيد اسم الفاعل ، تشبيها له بالفعل المضارع فهذا اذن استحسان لاعن قوة علة ولاعن استمرار عادة الاتراك لاتقول : أقائمن يازيدون ولا أمنطلقن يا رجال ، انما تقوله بحيث سمعته وتعتذر له وتنسبه الى أنه استحسان منهم على ضعف منه واحتمال بالشبهة له(٤) .

---

(١) لاحظ الخصائص ٢/٣١٥ وما بعدها

(٢) الخصائص ١/٦٦

(٣) الخصائص ١/١٣٣

(٤) الخصائص ١/١٣٦

الباب الخامس

أثر المنطق والفقه والعامل في دراسة النحوية

علم الكلام والفقه وأثرهما في النحو :

لقد تبينا في باب سابق اثر علم الكلام والفقه في اصول النحو . فان كان لعلم الكلام والفقه اثر في اصول النحو فلا شك ان لهما اثراً في المباحث النحوية ايضاً.

ان العلاقة بين النحو والمنطق ، والنحو والفقه قديمة واثرهما فيه واضح بّين قال ابو بكر بن شقير : حدثني ابو جعفر الطبري قال : سمعت الجرمي يقول : انا مذ ثلاثون افتي الناس في الفقه من كتاب سيبويه قال : فحدثت به محمد بن يزيد على وجه التعجب والانكار . فقال : انا سمعت الجرمي يقول هذا وأومأ بيده الى اذنيه(١) . وجاء في (المغني) ان الرشيد كتب ليلة الى القاضي ابي يوسف يسأله عن قول القائل :

فان ترفقي ياهند فالرفق أيمنُ   وان تخرقي ياهند فالخرق أشأم
فأنت طلاق والطلاق عزيمة   ثلاث ومن يخرق أعق وأظلم

فقال : ماذا يلزمه اذا رفع الثلاث واذا نصبها ؟ قال أبو يوسف : فقلت هذه مسألة نحوية فقهية ولا آمن الخطأ ان قلت فيها برأيي فأتيت الكسائي وهو في فراشه فسألته فقال : ان رفع ثلاثاً طلقت واحدة لانه قال (انت طلاق) ثم اخبر ان الطلاق التام ثلاث وان نصبها طلقت ثلاثاً لأن معناه انت طالق ثلاثاً وما بينهما

(١) طبقات الزبيدي ص ٧٧

جملة معترضة . فكتبت بذلك الى الرشيد فأرسل اليّ بجوائز فوجهت بها الى الكسائي وقال ابن هشام : ان الصواب ان كلا من الرفع والنصب محتمل لوقوع الثلاث ولوقوع الواحدة(١) .

وسئل الفراء عن رجل سها في سجدتي السهو . فأجاب لاشيء عليه . فسئل من اين لك ذلك ؟ قال : قسته على مذاهبنا في العربية وذلك ان المصغر لايصغر وكذلك لايلتفت الى السهو في السهو(٢) . ويقول السيوطي بعد أن يذكر أدلة النحو ومنها الاجماع والقياس « وكل من الاجماع والقياس لابد له من مستند من السماع كما هما في الفقه كذلك »(٣) .

ويذكر ابو الفتح ان « كتب محمد بن الحسن رحمه الله انما ينتزع أصحابنا منها العلل لانهم يجدونها منثورة في اثناء كلامه »(٤) . ويعقد أبو الفتح باباً في علل العربية أكلامية هي ام فقهية(٥) كما عقد مسألة من كلام محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة في كتاب (الايمان) وهي : قال محمد بن الحسن : ان قال اي عبيدي ضربك فهو حر فضربه جميعهم عتقوا كلهم ، ولو قال اي عبيدي ضربته فهو حر فضرب واحداً من عبيده ، عتق ذلك العبد فان ضرب غيره من بعده منهم لم يعتق غير الأول(٦) .

ويقسم السيوطي الحكم النحوي الى رخصة وغيرها(٧) كما في الفقه ويعقد

---

(١) المغني ١/٥٣

(٢) نزهة الالباء ص ٦٩

(٣) الاقتراح ص ٤

(٤) الخصائص ١/١٦٣

(٥) الخصائص ١/٤٨

(٦) فهرس المخطوطات المصورة ٣٧٩ رقم ١٦ نقلا عن الدكتور شلبي

(٧) الاقتراح ٧١

ابو الفتح بابا في (الحمل على أحسن القبيحين) فيقول : اعلم ان هذا موضع من مواضع الضرورة المميلة وذلك أن تحضرك الحال ضرورتين لابد من ارتكاب احداهما فينبغي حينئذ ان تحمل الأمر على أقربها وأقلها فحشاً(١) . وهو يشبه القاعدة الفقهية (يرتكب اخف الضررين) . وذكر ابن الانباري انه « اذا تعارض المانع والمقتضي قدم المانع(٢) من ذلك اسم الفاعل اذا وجد شرط اعماله وهو الاعتماد وعارضه المانع من تصغير ووصف قبل العمل امتنع اعماله(٣) . وهويشبه القاعدة الفقهية (درء المفاسد مقدم على جلب المنافع) . ولايغيبن عن بالنا ان ابن مضاء القرطبي أراد أن يبني النحو على أساس المذهب الفقهي الظاهري فقد نادى في كتـــابه (الرد على النحاة) بالغاء العوامل والعلل الثواني والثوالث والقياس والتقديرات والتأويلات في النحو العربي لأن مذهبه الفقهي الظاهري ينادي بالغاء ذلك ويأخذ بالظاهر .

وماقيل في المشابهة بين النحو والفقه يقال في المشابهة بين النحو والمنطق بل جعل ابن جني علل العربية أقرب الى علل المتكلمين منها الى علل المتفقهين وذكر أن التضاد عند ذوي اللغة كالتضاد عند أصحاب الكلام - كما مر - ويقول أبو حيان التوحيدي : « قلت لأبي سليمان(٤) اني أجد بين المنطق والنحو مناسبة غالبة ومشابهة قريبة وعلى ذلك فما الفرق بينهما وهل يتعاونان بالمناسبة وهل يتفاوتان بالقرب منه؟

فقال : النحو منطق عربي والمنطق نحو عقلي ، وجل نظر المنطقي في المعاني وان كان لايجوز له الاخلال بالألفاظ التي هي لها كالحلل والمعارض وجل نظر

---

(١) الخصائص ٢١٢/١

(٢) اللمع ص ٨١

(٣) المصدر السابق

(٤) هو محمد بن طاهر بن بهرام ابو سليمان المنطقي السجستاني ، المرجح انه مات في حدود سنة ٣٨٠ هـ (ابو حيان التوحيدي - شرح السندوبي)

النحوي في الألفاظ وان كان لايسوغ له الاخلال بالمعاني التي هي لها كالحقائق والجواهر . :

قلت : فهل يعين احدهما صاحبه ؟

قال : نعم ، وأي معونة اذا اجتمع المنطق العقلي والمنطق الحسي فهو في غاية الكمال .

قال : وبالجملة النحو يرتب اللفظ ترتيباً يؤدي الى الحق المعروف او الى العادة الجارية والمنطق يرتب المعنى ترتيباً يؤدي الى الحق المعترف به من غير عادة سابقة ..والخطأ في النحو يسمى « لحناً » والخطأ في المنطق يسمى « احالة » ..فالنحو يدخل المنطق ولكن مرتباً له ، والمنطق يدخل النحو ولكن محققاً له . . وما يستعار للنحو من المنطق حتى يتقوم أكثر مما يستعار من النحو للمنطق حتى يصح ويستحكم(١) .

وينقل صاحب الاقتراح هـذه المسألة النحوية في « التسلسل » وهو مثل مايعقد في علم الكلام والمنطق تماماً : « قال الاندلسي في شرح المفصل من قال بأن العامل في الصفة مقدر أجاز الوقف على زيد من قولك : جاءني زيد العاقل ، وابتداء العاقل لأن تقديره عنده جاءني العاقل ، فكان جملة والجملة مستقلة فوجب أن يوقف ويبتدأ بها وهذا فاسد يؤدي الى التسلسل اذا قدر جاءني العاقل والصفة لابد لها من موصوف فيكون التقدير جاءني زيد العاقل ثم يقـدر أيضاً جاءني العاقل ويكون التقدير أيضاً جاءني زيد العاقل وهكذا أبداً متى أولي العامل الصفة قدر بينهما موصوف ومتى استقل العامل بموصوف قدر مع الصفة عامل آخر الى ما لايتناهى وذلك محال فالمختـار الذي عليه الجماعة والجمهور انـه لايجوز الوقف على الموصوف دون الصفة »(٢) .

وجاء في (المبهج) : « وقال لي مرة بعض أصحابنا من المتكلمين انما لم تجمع

(١) المقابسات ـ ابو حيان التوحيدي ـ مقابسة ٢٢ ص ١٦٩

(٢) الاقتراح ص ٧١

الأفعال من حيث كانت اعراضا والجمع أيضاً ضرب من الاعراض والاعراض لاتحل الاعراض ». ورد أبو الفتح هـذا القول واستدل على فساده بعطف الافعال على بعضها نحو قام زيد وقعـد، وهو يذهب وينطلق. والعطف نوع من الجمع فهو جمع معنى وان لم يسم في العرف جمعا(١).

وقسم ابن الطراوة الألفاظ الى واجب وممتنع وجائز قال فالواجب رجـل وقائم ونحوهما مما يجب أن يكون في الوجود ولا ينفك الوجود عنه، والممتنع لاقائم ولا رجل اذ يمتنع أن يخلو الوجود من أن يكون لا رجل فيه ولا قائم. والجائز زيد وعمرو لانه جائز أن يكون وان لايكون. قال فكلام مركب من واجبين لايجوز نحو رجل قائم لانه لافائدة فيه، وكلام مركب من ممتنعين أيضا لايجوز نحو لارجل لا قائم لانه كذب ولا فائدة فيه وكلام مركب من واجب وجائز صحيح نحو زيد قائم وكلام مركب من ممتنع وجائز لايجوز ولامن جائز وممتنع نحو زيدلاقائم ورجل لاقائم لانه كذب اذ معناه لاقائم في الوجود وكلام مركب من جائزين لايجوز نحو زيدأخوك لانه معلوم لكن بتأخيره صار واجباً فصح الاخبار به لانه مجهول في حق المخاطب فالجائز يصير بتأخيره واجباً، ولو قلت زيد قائم صح لأنه مركب من جائز وواجب فلو قدمت وقلت: قائم زيد لم يجز لان (زيد) صـار بتأخـيره واجباً فصار الكلام مركباً من واجبين فصار بمنزلة قائم رجل(٢).

وهذه النقول غنية عن التعليق في أثر المنطق في البحوث النحوية. وهـذه التقسيمات للالفاظ تشـبه تماماً التقسيمات المنطقية في الواجب والممتنع والجائز أو الواجب والمستحيل والممكن.

ودونك نماذج من دراسـات أبي الفتح النحوية التي تلمس أثر علم الكلام والمنطق والفقه في دراساته النحوية.

---

(١) المبهج ص ٣٥

(٢) الاقتراح ص ١٤

١ - حذف الياء من هي : قال أبو الفتح « فأما قول أبي العباس في انشاد سيبويه :

• دار لسعدى اذهِ من هواكا •

انه خرج من باب الخطأ الى باب الاحالة لأن الحرف الواحد لايكون ساكناً متحركاً في حال . فخطأ عندنا . وذلك ان الذي قال (اذ هِ هواك) هو الذي يقول في الوصل : هي قامت فيسكن الياء وهي لغة معروفة فاذا حذف منها في الوصل اضطرارا واحتاج الى الوقف ردها حينئذ فقال : هي فصار الحرف المبدوء به غير الموقوف عليه فلم يجب من هذا أن يكون ساكناً متحركا في حال »(١) .

٢ - الحكم يقف بين الحكمين أو هو ما يسمى المنزلة بين المنزلتين وذكر منه كسرة ما قبل ياء المتكلم في نحو غلامي وانها ليست حركة اعراب ولا بناء . أما كونها غير اعراب فلأن الاسم يكون مرفوعاً ومنصوباً وهي فيه نحو هذا غلامي ورأيت صاحبي . وأما كونها غير بناء فلأن الكلمه معربة متمكنة فليست الحركة اذن في آخرها بناء(٢) .

ومنه ما كانت فيه اللام أو الاضافة نحو الرجل وغلامك وصاحب الرجل فهذه الاسماء كلها وما كان نحوها لامنصرفة ولا غير منصرفة وذلك انها ليست بمنونة فتكون منصرفة ولا مما يجوز للتنوين حلوله للصرف(٣) .

٣ - اعمال العاملين : قال أبو الفتح : « مما يضعف تقديم المعطوف على المعطوف عليه من جهة القياس انك اذا قلت : قام وزيد عمرو فقد جمعت امام

---

(١) الخصائص ١/٨٩

(٢) الخصائص ٢/٣٥٦

(٣) الخصائص ٢/٣٥٧

زيد بين عاملين احدهما قام والآخر الواو ألا تراها قائمة مقام العامل قبلها . واذا صرت الى ذلك صرت كأنك قد أعملت فيه عاملين »(١) .

٤ ـ تقسيم العلم الى جوهر وعَرَض : يرى أبو الفتح ان الاسم العلم شيئان : عين ومعنى ، فالعين الجوهر كزيد وعمرو ، والمعنى العَرَض كقوله :

« سبحان من علقمة الفاخر »(٢)

٥ ـ الحكم للطارىء : يرى أبو الفتح ان التضاد في اللغة جار مجرى التضاد عند ذوي الكلام فاذا ترادف الضدان في شيء منها كان الحكم منهما للطارىء ؛ وذلك كلام التعريف اذا دخلت على المنون حُذف لها تنوينه كرجل والرجل وغلام والغلام وذلك ان اللام للتعريف والتنوين من دلائل التنكير فلما ترادفا على الكلمة تضادا فكان الحكم لطارئهما وهو اللام .

قال : وهذا جار مجرى الضدين المترادفين على المحل الواحد كالأسود يطرأ عليه البياض والساكن تطرأ عليه الحركة فالحكم للثاني منهما ولولا ان الحكم للطاريء لما تضاد في الدنيا عرضان(٣) .

٦ ـ الحمل على أحسن القبيحين : ومثاله قولك : فيها قائما رجل لما كنت بين أن ترفع قائما فتقدم الصفة على الموصوف وهذا لايكون ، وبين أن تنصب الحال من النكرة وهذا على قلته جائز حملت المسألة على الحال فنصبت .

وكذلك ماقام الا زيداً أحد عدلت الى النصب لأنك ان رفعت لم تجد قبله ماتبدله منه وان نصبت دخلت تحت تقديم المستثنى على ماالستثني منه ، وهذا وان كان ليس في قوة تأخيره عنه فقد جاء على كل حال(٤) .

---

(١) الخصائص ٢/٣٨٧

(٢) الخصائص ٣/٣٢

(٣) الخصائص٣/٦٢

(٤) الخصائص ١/٢١٣

من هذا نرى ان المنطق ظاهر في بحوث أبي الفتح الا انه لم يمعن فيـه امعانا شديدا بل نراه في بحوثه سمحا سهلا يجعل لجانب اللغة النصيب الأوفر في التعليل مع ماعنده من تعليلات مستمدة من المنطق ومن أصول الفقه - كما لاحظنا في بحث (مالاحظته العرب من العلل) وهي في جملتها علل لغوية . ولذلك لايعاني القاريء في كتب أبي الفتح صعوبة في فهمها كما ذكر الأستاذ عبدالفتاح شلبي قال : - وهو ذو منطق خفيف يأتي به في التدليل سمحا سهلا لايمعن فيه كما يمعن استاذه أبو علي فيه ، ومن هنا لم يشق ابن جني على القاريء ولم يعنف به(١) .

العامـل

العامل عند أبي الفتح ، موقفه منه .

نحن نعلم أن النحو العربي قائم على نظرية « العامل » وهي نظريـة اكثرها مأخوذ من علم الكلام والمنطق . وانت تجـد أن صفات (العامل) في النحو هي صفات (العلة) في علم الكلام - تقريبا - فكل معمول لابد له من عامل كما ان كل (معلول) لابد له من (علة) وليس للمعمول الواحد اكثر من عامل واحد كما ان المعلول ليس له الا علة واحدة . ولاتتبادل الكلمتان العمل فتكون كل منها عاملة في الأخرى معمولة لها شأن العلل الحقيقيـة . ويبحثون في العدم المقيد والوجود والجوهر والعرض والساكن والمتحرك والتناقض والاحالة الى غير ذلك من التعابير والمفهومات المنطقية . قال الرضي الاسترابادي : وهم - اي النحاة - يجرون عوامل النحو كالمؤثرات الحقيقية(٢) :

فما موقف نحوينا أبي الفتح من هذه النظرية ؟

ان ابا الفتح لايختلف كثيرا في موقفه من هذه النظرية وايمانه بها وتطبيقها

---

(١) ابو علي الفارسي ص ٣٤٩

(٢) الرضي على الكافية - باب التنازع ١/٨٤

في دراساته وبحوثه عن سائر النحاة فقد جعلها دستورا له كشأن سائر النحويين يرجح بها ماراه راجحا ويرفض بها ماراه خطأ . وآراؤه فيها واضحة منتشرة في سائر مايكتب .

ولقد لفت نظري قول الأستاذ أحمد أمين يذكر فيه ان ابن جني هدم هذه النظرية فيقول . ومن لفتات ابن جني الجليلة فهمه أن النحو القديم مؤسس على العامل ... فهدم ابن جني هذه القضية(١) . واستشهد بقول لابن جني سنذكره فيما بعد يقول فيه ان العمل للمتكلم لالشيء غيره . ويقول في مكان آخر : والناظر في نحو الخليل وسيبويه يرى أنه موضوع على أساس العامل وظل كذلك الى عصرنا الذي نؤرخه وجاء ابن جني يريد تأسيس نحو آخر ولكن - مع الأسف - لم يجد سميعا(٢) .

فهو اذن في رأي الأستاذ أحمد أمين حاول أن يهدم هذه النظرية وينشيء النحو على أساس جديد وهو رأي لم اجد له ماينصره في كتب ابي الفتح بل الذي وجدته فيها انه مؤمن بهذهالنظرية ويطبقها في بحوثه ويرجح ويفند ويؤيد ويخالف بها وعلى اساسها في اكثر مايبحث .

١ - فهو يعتقد ان العمل انما هو للعامل قال : الا ترى انك اذا قلت قام بكر ورأيت بكراً ومررت ببكر فانك انما خالفت بين حركات حروف الاعراب لاختلاف العامل(٣) ؟ وقال فيتعريف (البناء) وهو لزوم آخر الكلمة ضرباواحداً من السكون أو الحركة لالشيء أحدث ذلك من العوامل(٤) .

---

(١) ظهر الاسلام ١١٧/٢

(٢) ظهر الاسلام ١١٨/٢

(٣) المنصف ٤/١

(٤) الخصائص ٣٧/١

وعلى هذا فما يُحدث السكون والحركة هو العامل. وهو الأصل الذي نادى به النحاة .

٢ ـ ويرجح على أساسها لغة من لغات العرب على أختها . فهو بحسب هذه النظرية يرى ـ كما يرى سائر النحاة ـ أن لغة تميم في اهمال (ما) أقيس من لغة الحجاز لأن من صفات العامل أن يكون مختصا فيقول : اللغة التميمية في (ما) هي أقوى قياساً وان كانت الحجازية أسير استعمالا . وانما كانت التميمية اقوى قياسا من حيث كانت عندهم كـ « هل » في دخولها على الكلام مباشرة كل واحد من صدري الجملتين : الفعل والمبتدأ كما ان (هل) كذلك(١) .

٣ ـ يشرّع احكاما لما لم يسمع من العرب على اساسها فيرى جواز تقديم خبر ليس عليها لأن الله سبحانه قال : (ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم) ولأن الشاعر قال :

• وعن مخمص الحجاج ليس بناكب •

وانما يجوز وقوع المعمول بحيث يجوز وقوع العامل(٢) .

من هذه العجالة نرى أن أبا الفتح مؤمن بنظرية العامل ويطبقها فيما يرجح أو يرفض وليس كما ذهب اليه الاستاذ أحمد امين .

وسنحاول في هذا الفصل ان نبحث خلاصة راي ابي الفتح في هذه النظرية .

انواع العامل عنده :

نستطيع ان نقول ان ابا الفتح كان يرى ان العوامل ثلاثة :

١ ـ العامل اللفظي :

٢ ـ العامل المعنوي :

(١) الخصائص ١/١٢٥

(٢) التمام ١٧٤ والخصائص ٢ / ٣٩١

٣ ـ العامل اللفظي المعنوي .

ويرى ان العوامل اللفظية في الحقيقة معنوية . وهي جميعها ترجع الى المتكلم اولا وآخرا فانه العامل الحقيقي .

١ ـ العامل اللفظي :

ومعنى العمل اللفظي ان العمل يأتي مسبباً عن لفظ يصحبه كمررت بزيد وليت عمرا قائم . (١) وذلك كحروف الجزم والنصب والجر وغير ذلك من العوامل اللفظية وأهمها الفعل . ويرى كما يرى عامة النحاة ان أصل عمل النصب للفعل قال : « ان اصل عمل النصب انما هو للفعل ، وغيره من النواصب مشبه في ذلك الفعل »(٢) .

٢ ـ العامل المعنوي :

ومعنى العمل المعنوي ان طرفاً من العمل يأتي عارياً من مصاحبة لفظ يتعلق به كرفع المبتدأ بالابتداء ورفع الفعل لوقوعه موقع الأسم(٣) .

ويرى أن « العوامل اللفظية راجعة في الحقيقة الى انها معنوية ألا تراك إذا قلت : ضرب سعيد جعفراً فان (ضرب) لم تعمل في الحقيقة شيئاً . وهل تحصل من قولك (ضرب) الا على اللفظ بالضاد والراء والباء على صورة (فعل) فهذا هو الصوت ، والصوت مما لا يجوز أن يكون منسوباً اليه الفعل . » (٤) ويقول :

---

(١) الخصائص ١/ ١٠٩

(٢) الخصائص ١ / ١٠٣

(٣) الخصائص ١ / ١٠٩

(٤) الخصائص ١ / ١٠٩

« واعلم ان القياس اللفظي اذا تأملته لم تجده عارياً من اشتمال المعنى عليه(١) . ففي قول الشاعر :

ورج الفتى للخير ما ان رأيته   على السن خيراً لا يزال يزيد

يرى ان (ما) هنا مصدرية وهي تشبه لفظا ما النافية التي تؤكد بـ (إنْ) وشبه اللفظ بينهما يصير (ما) المصدرية الى انها كأنها (ما) التي بمعناها النفي ثم يقول : « أفلا ترى انك لو لم تجذب احداهما الى انها كأنها بمعنى الأخرى لم يجز لك الحاق (إنْ) بها »(٢) .

ويستنتج من هذا أصلا فيقول : « فالمعنى إذن اشيع وأسير حكماً من اللفظ لانك في اللفظي متصور لحال المعنوى ولست في المعنوي بمحتاج الى تصور الحكم اللفظي » (٣) .

ويرى ان العوامل المعنوية ترفع الفعل ، والمعنى الذي يرفع الفعل هو وقوعه موقع الاسم ، وترفع الاسم في المبتدأ الا انها لا تنصب فعلا ولا اسما ولا تنصب الأفعال ولا الاسماء الا بعامل لفظي (٤) ويرى ان المعاني لا تعمل في المفعول به وانما تعمل في الظروف(٥) .

واشتراك لفظين في عمل انما هو (معنى) لا (لفظ) وذلك نحو ما رد هشاما في نصب المفعول بالفعل والفاعل جميعاً قال : « ان الفعل والفاعل انما هو معنى والمعاني لا تعمل في المفعول به ، انما تعمل في الظروف . » (٦) ومن العامل المعنوي

---

(١) الخصائص ١ / ١١٠

(٢) الخصائص ١ / ١١٠

(٣) الخصائص ١ / ١١١

(٤) سر الصناعة ١ / ٢٧٢ وما بعدها

(٥) الخصائص ١ / ١٠٤ وهو تخصيص لقوله السابق

(٦) الخصائص ١ / ١٠٣ - ١٠٤

معنى التشبيه في (كأن) ويعمل النصب ، في قول الشاعر :

أتنسى لا هـداك الله ليلى وعهدُ شبابها الحسنُ الجميلُ
كأن وقد أتى حول جديد أثا فيها حمامات مثول

يرى ان قوله (وقد أتى حول جديد) ذو موضع من الاعراب وموضعه النصب بما في (كأن) من معنى التشبيه قال : ألا ترى أن معناه : اشبهت وقد اتى حول جديد حمامات مثولا ، أو أشبهها وقد مضى حول جديد بحمامات مثول أي اشبهها في هذا الوقت وعلى هذه الحال بكذا(١) .

٣ ـ العوامل اللفظية المعنوية :

وذلك مثل رافع الخبر قال : « فأما خبر المبتدأ فلم يتقدم عندنا على رافعه لأن رافعه ليس المبتدأ وحده انما الرافع له المبتدأ والابتداء جميعاً فلم يتقدم الخبر عليهما معاً وانما تقدم على أحدهما وهو المبتدأ »(٢) .

فالمبتدأ عامل لفظي والابتداء عامل معنوي وعلى هذا فاننا نتمكن أن نطلق على عامل الرفع في الخبر (لفظي معنوي) .

ويرى أبو الفتح ان العامل الحقيقي هو المتكلم نفسه أي هو الذي يرفع وينصب ويجر ويجزم لا الالفاظ المتقدمة أو المتأخرة قال : « فأما في الحقيقة ومحصول الحديث فالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم انما هو للمتكلم نفسه لا لشيء غيره ... وانما قالوا : لفظي ومعنوي لما ظهرت آثار فعل المتكلم بمضامة اللفظ أو باشتمال المعنى على اللفظ »(٣) .

وهو ينسجم مع مذهبه في الاعتزال الذي يقول بأن الانسان هو خالق أفعاله.

---

(١) الخصائص ١ / ٣٣٧

(٢) الخصائص ٢/ ٣٨٥

(٣) الخصائص ١/ ١٠٩-١١٠

قال ابن مضاء في الرد عليه بعد أن نقل هـذا القول « وهـذا قول المعتزلة ، وأما مذهب أهل الحق فان هـذه الأصوات انما هي من فعل الله تعالى . وانما تنسب الى الانسان كما ينسب اليه سائر أفعاله الاختيارية »(١) .

ومن ينظر في نظرة أبي الفتح للعامل يرَ أن بحثه فيه مستقى من ثلاثة مصادر أو منابع :

١ ـ المصدر اللغوي .

٢ ـ المصدر المنطقي أو الكلامي .

٣ ـ المصدر الفقهي .

١ ـ المصدر اللغوي :

وهو مستقى من طبيعة اللغة نفسها ومن دراسته اللغوية . ومن ذلك رأيه في تقديم الاقوى من المتقاربين قال : « وأنا أرى أنهم انما يقدمون الاقوى من المتقاربين من قبل ان جمع المتقاربين يثقل على النفس فلما اعتزموا النطق بهما قدموا أقواهما لأمرين : أحدهما ان رتبة الاقوى أبداً أسبق وأعلى ، والاخر انهم انما يقدمون الاثقل ويؤخرون الأخف من قبل ان المتكلم في أول نطقه أقوى نفساً وأظهر نشاطاً فقدم أثقل الحرفين ، وهو على أجمل الحالين ، كما رفعوا المبتدأ لتقدمه فأعربوه بأثقل الحركات وهي الضمة وكما رفعوا الفاعل لتقدمه ونصبوا المفعول لتأخره فان هذا أحد ما يحتج به في المبتدأ أو الفاعل »(٢) .

٢ ـ المصدر المنطقي أو الكلامي :

وهو من من أكثر ما يستند اليه النحاة ـ كما مر ـ فأغلب صفات العلة الكلامية قد تملكها العامل النحوي حتى ان النحاة يجرون العوامل مجرى المؤثرات

(١) الرد على النحاة ص ٨٦

(٢) الخصائص ١/٥٥

الحقيقية كما قال الرضي الاستراباذي . فهم يذكرون ان لكل معمول عاملا ولكل عامل معمولا ، وليس للعامل أكثر من معمول كما ان ليس للعلة أكثر من معلول ولا يمكن ان تتبادل اللفظتان العمل فتكون كل منهما عاملة في الاخرى معمولة لها كما ان ذلك لا يكون في العلل الحقيقية . وذكر أبو الفتح ان علل النحويين أقرب الى علل المتكلمين منها الى علل المتفقهين ، ويذكر ان التضاد في هذه اللغة جار مجرى التضاد عند ذوي الكلام ويذكر ان الحكم في اللغة للطارىء كالأسود يطرأ عليه البياض والساكن تطرأ عليه الحركة وذلك كالمنون تدخل عليه لام التعريف فأزالت الاول وصار الحكم للطارىء وهو اللام(١) . وذكر انه لايجتمع عاملان على معمول واحد شأن العلل الكلامية(٢) . وقد مر بنا أغلب ذلك في أماكن مختلفة .

٣ ـ المصدر الفقهي :

وكما كان للعلل الكلامية أثر في العامل النحوي كان للعلل الفقهية ، وان كانت العلل النحوية أقرب الى علل المتكلمين منها الى علل المتفقهين كما يرى أبو الفتح .

وقد مر بنا قول أبي الفتح ان كتب محمد بن الحسن كانت معيناً لانتزاع العلل كما مر بنا كيف استفاد النحاة ومنهم أبو الفتح من البحوث الفقهية في المباحث النحوية كالاستحسان وتعارض القبيحين وانقسام الحكم النحوي الى رخصة وعزيمة وغير ذلك . وقد مر بنا قوله في (باب في الحمل على احسن القبيحين) في نحو قولك فيها قائما رجل وماقام الا زيداً احد(٣) . وهو شبيه بالقاعدة الفقهية (يرتكب أخف الضررين) كما مر .

---

(١) الخصائص ٣ / ٦٢

(٢) الخصائص ٢ / ٣٨٧

(٣) الخصائص ١ / ٢١٣

من صفات وشروط العامل :

ومن صفات وشروط العامل التي ذكرها أبو الفتح :

١ ـ ان العامل ينبغي أن يكون مختصاً ، وعلى هذا فلغة تميم في اهمال (ما) أقيس من لغة الحجاز ـ كما مر(١) .

٢ ـ لايجوز اعمال عاملين في معمول واحد(٢) .

٣ ـ يجوز وقوع المعمول بحيث يجوز وقوع العامل ، وقد مر ذلك(٣) .

٤ ـ رتبة العامل التقديم ومع ذلك فمن الممكن أن تكون الكلمة مقدّمة مؤخرة لأن ذلك أمر صناعي لفظي ، ومن ذلك قولهم : أيهم تضرب يقم زيد فـ (أيهم) من حيث كانت جازمة لتضرب يجب أن تكون مقدمة عليها ، ومن حيث كانت منصوبة بـ (تضرب) يجب أن تكون في الرتبة مؤخرة عنها فلم يمنع أن يقع هذان التقديران على اختلافهما من حيث كان هذا انما هو عمل صناعي لفظي ولو كان التعادي والتخالف في المعنى لفسد ولم يجز(٤) .

٥ ـ عوامل الأسماء أقوى من عوامل الأفعال(٥) .

٦ ـ أصل عمل النصب للفعل وغيره من النواصب مشبه في ذلك به(٦) .

٧ ـ قد يكون للعامل وجهان أحدهما لفظي والآخر معنوي وذلك نحو (كأن)

---

(١) الخصائص ١ / ١٢٥ وسر الصناعة بحث علة الجر بالحروف ١ / ١٣٩

(٢) الخصائص ٢ / ٣٨٧

(٣) التمام ١٧٤ والخصائص ٢ / ٣٩١

(٤) الخصائص ١ / ٣٤٧

(٥) الخصائص ٢ / ٣٨٨

(٦) الخصائص ١ / ١٠٣ وانظر بحث العامل اللفظي

فهي حرف مشبه بالفعل تحمل النصب ، وما في معناها من التشبيه يعمل النصب كذلك - كما مر -(١) .

٨ - المعاني لاتعمل في المفعول به(٢) .

٩ - المعاني لاتنصب الأفعال وانما ترفعها(٣) .

١٠ - قد تعمل المعاني في الظروف والحال(٤) .

١١ - الظرف قد يعمل فيه الوهم ، وقد مر ذاك في نحو قولك قيامك امس حسن وهو اليوم قبيح . فتعمل في اليوم (هو)(٥) .

١٢ - اذا عمل الفعل في ظرف زمانياً كان أو مكانياً فانه لابد أن يكون واقعاً فيه ، ويجوز عمله فيه كذلك اذا تجاور الزمانان ومنه قول العرب « أعطيتك اذ سألتني وزرتك اذ شكرتني »(٦) .

١٣ - قد يكون العامل في الحال غير العامل في ذي الحال نحو قوله تعالى (وهو الحق مصدقاً) فالحال ههنا من الحق والعامل فيه (هو) وحده أو (هو) والابتداء الرافع له وكلا ذينك لاينصب الحال(٧) .

---

(١) الخصائص ١ / ١٣٧ وانظر بحث العامل المعنوي

(٢) الخصائص ١ / ١٠٤

(٣) سر الصناعة ١ / ٢٧٢ ومابعدها

(٤) الخصائص ١ / ١٠٣

(٥) الخصائص ٢ / ١٩ - ٢٠

(٦) الخصائص ٢ / ١٧٢ وانظر بحث (الجوار) في موضوع (ما لاحظته العرب من العلل) .

(٧) الخصائص ٢ / ٢٠

١٤ ـ قد يعمل المصدر مجموعاً خلافاً لسائر النحاة ، ومنه قول الشاعر :

• مواعيد عرقوب اخاه بيثرب •(١)

١٥ ـ يشبه العامل بغير العامل فيأخذ حكمه اذا كانت بينهما مناسبة وذلك في الضرورة نحو قول الشاعر :

• يوم الصليفاء لم يوفون بالجار •

فانه شبه للضرورة لم بـ (لا) فقد يشبه حروف النفي بعضها ببعض وذلك لاشتراك الجميع في دلالته عليه ، ونحو قول الشاعر :

أجدك لن ترى بثعيلبات ... ولا بيـدان ناجيـة ذمولا

استعمل لن في موضع ما(٢) .

١٦ ـ لايجوز تقديم المرفوع على رافعه . أما خبر المبتدأ فلم يتقدم عنده على رافعه . لأن رافعه ليس المبتدأ وحده انما الرافع له المبتدأ والابتداء جميعاً . فلم يتقدم عليهما معاً وانما تقدم على المبتدأ وحده(٣) . ـ كما مر ـ

١٧ ـ لايجوز تقديم المجزوم على جازمه(٤) .

١٨ ـ لايجوز تقديم المجرور على جاره(٥) .

١٩ ـ قد يحذف العامل أو يحذف المعمول وذلك نحو حذف المبتدأ والفعل والخبر والمفعول وكحذف الجار والمجرور وغير ذلك من انواع الحذف(٦) .

---

(١) الخصائص ٣ / ٢٠٧

(٢) الخصائص ١ / ٣٨٨

(٣) الخصائص ٢ / ٣٨٥ وانظر بحث (العوامل اللفظية المعنوية)

(٤) الخصائص ٢ / ٣٨٨

(٥) الخصائص ٢ / ٣٨٨

(٦) الخصائص ٢ / ٣٦٠ ومابعدها

وعلى هذا فالعامل يعمل :

١ - اذا كان ظاهراً مثل جاء محمد وان اخاك حاضر ؛

٢ - واذا كان مقدراً مثل النارَ النارَ .

والمقدر على قسمين :

١ - جائز التقدير مثل : اخاك

٢ - واجب التقدير مثل : هل اخاك اكرمته ؟

والمعمول كذلك على قسمين :

١ - ظاهر : حضر أخوك ، ان الحق واضح ؛

٢ - مقدر مثل : أدرس ، ومثل قوله تعالى (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) أي فمن شهده صحيحاً بالغاً . (١)

وهذا المقدر على قسمين كذلك :

١ - جائز التقدير كمواضع حذف الخبر جوازاً ونحوها ؛

٢ - واجب التقدير كمواطن حذف الخبر وجوباً و كمواطن استتار الفاعل وجوباً ونحو ذلك :

من هذا نلاحظ ان أبا الفتح لا يختلف عن سائر النحاة في موقفهم من نظرية (العامل) ولا أرى صحة قول من قال ان أبا الفتح أراد ان يهدم هذه النظرية ويبني نحواً جديداً الا انه لم يجد سميعاً وقد ذكرناه . كما لا أرى ان يوضع طرفاً مستقلا عن النحاة إذا ما بحثت هذه النظرية ، كما ذهب اليه الاستاذ الدكتور الجواري قال : «ونحن واجدون فيما بين ايدينا من كتبهم رأيين رئيسين في العامل :

الرأي الأول : ان اجزاء الكلام يعمل بعضها في بعض ويؤثر احدها في

(١) الخصائص ٢ / ٣٧٣

الآخر فالفعل يرفع الفاعل وينصب المفعول والمبتدأ يرفع الخبر والخبر يرفع المبتدأ (على رأي نحاة الكوفة) وحرف الجر يجر الاسماء وحروف النصب تنصب الأفعال وحروف الجزم تجزمها الى غير ذلك مما هو معروف لدى الدارسين :

والرأي الثاني : ان احوال الاعراب وما يطرأ على الكلم من تغيير في اواخرها انما هو عمل المتكلم هو الذي يحدثه حين يؤلف الكلام ، وهو الذي ينشئ المعنى فيكون عليه ان يتبع سبيل المعنى في كل جزء من أجزائه فتبدو آثار ذلك في أواخر الكلم . » (١) وينقل كلام ابن جني الذي ذكرناه آنفاً ان العمل من الرفع والنصب والجر والجزم انما هو للمتكلم نفسه لا لشيء غيره .

ان ابا الفتح كما يبدو من استعراضنا لنظرته في العامل لايختلف عن النحاة في اعتقاده في العوامل اللفظية والمعنوية وان العامل اللفظي هو الذي ينصب المفعول به مثلا وان المفعول لا ينصبه الا عامل لفظي وان اصل عمل النصب للفعل وان الفعل لا ينصب إلا بعامل لفظي وانما يرفع بعامل معنوي وان المستثنى - مثلا - ينصب بالفعل بتوسط الا . (٢) وان حروف الجر هي التي تجر (٣) وحروف الجزم هي التي تجزم - كما مر بنا - . هذا وابة نقطة من النقاط التي ذكرها الاستاذ الدكتور الجواري في الرأي الأول لم يذكرها أبو الفتح ولم يوافق النحاة فيها ؟ ثم ما حدود رأيه الذي خالف فيه النحاة في نظرية العامل حتى يمكن ان نضعه طرفاً مستقلا ؟

انه وافق سائر النحاة في عموم النظرية غير أنه ذكر ان المتكلم هو الذي يرفع وينصب ويجر ويجزم أي هو القوة الفاعلة والمظهرة للحركات وهذا أمر طبيعي ، فاللفظ - من غير شك - ليس له فعل حقيقي كما تفعل سائر العلل الحقيقية ولا أظن ان احداً يذهب هذا المذهب . فاللغة بسائر ظواهرها اثر انساني وليس لأي لفظ

---

(١) نحو التيسير ص ٣٦

(٢) سر الصناعة ١ / ١٣٩ وما بعدها

(٣) المصدر السابق

سـلطان على لفظ آخر . ولا ينبغي ان يحمل النص أكثر مما يحتمل فيجعل لأبي الفتح نظرية خاصة به او رأي مستقل وليس له اكثر من بضعة أسطر يصرح بها ان العمل للمتكلم وهو في جميع ما يبحث مقتف لآثار النحويين قبـله في نظرية العامل . وقـد رد ابن مضاء على أبي الفتـح في قوله ان « العمل للمتكلم » قائلا ان الاعمال لله . وهو خلاف عقَدي خرج عن طبيعة اللغة ، فأبو الفتح معتزلي يرى ان الاعمال جميعها يخلقها الانسان وان ابن مضاء يرى ان الله هو الفاعـل الحقيقي أي ان الله أقدر الانسان على ان ينطق بها بهذا الشكل . وهو خـلاف لو اقتصر على هذا وحـده لم يمس جوهر النظرية البتة .

وعلى أي حال فأبو الفتـح لم يختلف عن موقف سلفه من النحاة من نظرية العامل والأخـذ بها والترجيح والرفض على اساسها كما مر . وأظن انه في الرجوع الى اقواله التي سقناها آنفاً ما يؤيد هذه الدعوى . ولو كان ابو الفتح يعتقد اعتقاداً آخـر او يرى رأياً مغايراً لرأي النحاة لظهر ذلك في بحوثه ولم يبحث في العوامل اللفظية والمعنوية مؤمناً بها . ولاكتفى في كل ذلك بقوله ان ذلك راجع الى المتكلم لا لشيء غيره . نعم يمكن ان يقال ان أبا الفتـح كان يذهب مذهب سائر النحاة في نظرية العامل . وقـد صرح بأن المتكلم هو العامل الحقيقي تمشياً مع عقيدته الاعتزالية التي تقول ان الانسان خالق أفعاله .

• • •

الباب السادس

عقليته ونهجه في كتبه وبحثه

الناظر في كتب أبي الفتح يرى ان من ملامح وخصائص عقليته ونهجه في بحثه مايأتي :

١ ـ التعليل والاسراف فيه :

ان أبا الفتح ذو عقلية تعليلية فهو مولع بذكر العلل وتوجيهها ، وكان مسرفا في ذلك يحاول بكل ماأوتي من قوة فكر وحدة ذهن استخلاص العلة وان كانت بعيدة « وهو على دقته في البحث واغراقه في التعليل والتحليل سائغ الأسلوب »(١). فنراه يحاول أن يربط العلة بالمعلول بأوهى خيط لاستخراج العلة ، ويغرق في ذلك. ففي الاشتقاق الأكبر مثلا نراه يحاول ربط المعنى بكل تأويل فيذكر ان الـ « كلام » من (ك ل م) وهو الجرح والشدة وسبب التسمية بذلك ان الكلام « سبب لكل شر وشدة في أكثر الأمر »(٢) فلما كان الكلام اكثره الى الشر اشتق له من هذا الموضع » (٣) أي ان الواضع نظر هذه العلاقة بين الشدة والشر والكلم فوضع هذا لذلك ، وهذه مبالغة في التعليل :

ويمكن أن يقال (ان الكلام) ـ جريا مع مايذكر ـ سبب لكل خير قال

---

(١) دائرة المعارف ـ فؤاد البستاني ٤٢٠/٢

(٢) الخصائص ١٤/١

(٣) الخصائص ١٥/١

تعالى « ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله » ولذا سمي القرآن كلام الله فكلام الله سبب لكل خير .

وفي تقليبات هذه اللفظة (ك ل م) يقول :

(الرابع) « م ك ل » منه بئر مكول اذا قل ماؤها . قال القطامي :

« كأنها قُلُبٌ عادية مكل »

والتقاؤهما أن البئر موضوعة الامر على جمتها بالماء فاذا قل ماؤها كره موردها وجفا جانبها وتلك شدة ظاهرة .. (١).

وهو تكلف ظاهر اذ يمكن أن يعلل بعكس هذا الأمر تماماً فيقال : ان (م ك ل) من الضعف والخواء ، فالبئر اذا قل ماؤ ا وجف أصبحت معطلةخالية من الماء خاوية والخواء من الضعف كأنه عكس الممتلىء ، وعلى هذا فـ (م ك ل) تدل على الضعف والخواء .

ويذكر الفرق بين الكلام والقول ، فيقول : ان الكلام كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه وهو الذي يسميه النحويون الجمل نحو : زيد أخوك وقام محمد . و(القول) كل لفظمذل بهاللسان تاما كان أو ناقصا(٢) . ويذكر انهم عبروا عن الاعتقادات والآراء بالقول ولم يعبروا عنها بالكلام ويعلل ذلك بأن القول بالاعتقاد أشبه منه بالكلام ، وذلك ان الاعتقاد لايفهم الا بغيره ألا ترى انك اذا قلت (قام)وأخليته من ضمير فانه لايتم معناه الذي وضع في الكلام عليه وله ، لانه انما وضع على أن يفاد معناه مقترنا بما يسند اليه من الفاعل ، وقام هذهنفسها قول ، وهي ناقصةمحتاجة الى الفاعل كاحتياج الاعتقاد الى العبارة عنه فلما أثبتها من هنا عبر عن احدهما بصاحبه . وليس كذلك الكلام لأنه وضع على الاستقلال والاستغناء عما سواه . والقول قد يكون من الفقر الى غيره على ماقدمنا ، فكان الى الاعتقاد المحتاج الى

(١) الخصائص ١/١٦

(٢) الخصائص ١/١٧

البيان أقرب وبأن يعبر عنه اليق(١) .

ومن الممكن رد هذا الكلام وجعل الاعتقادات والآراء اقرب الى الكلام بأن نقول مثلا : ان الاعتقاد والرأي ونحوهما مما يدل على (كمال) في الانسان ، وهي خصيصة انسانية فاق بها سائر الاحياء . و (الكلام) الذي يفهم السامع لا شك أكمل واعلى من (القول) الذي لا يشترط به الافهام . و (الكمال) من (ك م ل) ومادة هذه قريبة من (ك ل م) لأنها من الأصول أنفسها وعلى هذا فالكلام من الكمال . أما (القول) فانه يدل على الخفة والحركة - كما ذكر هو نفسه - والآراء والمعتقدات تحتاج الى شدة وصعوبة في استخراجها والى كمال لتظهر وهي تخالف الخفة التي هي معنى (ق و ل) ومن هنا نرى ان الكلام امثل واكمل - ولذا كانت الاعتقادات والآراء اقرب الى الكلام الدال على الشدة والكمال منها الى القول الدال على الخفة والاضطراب .

وأظن انه لو استعملت العرب (الكلام) في التعبير عن (الرأي) لجاء بنحو من هذا التعليل والله أعلم .

وكذلك تعليله في اطلاق (الكلام) على ما كان مستقلا بنفسه و (القول) على ما قد يستقل بنفسه وقد يحتاج الى غيره فذكر ان (الكلام) انما هو من (الكلم) وهو الجرح لما يجنيه في أكثر الامر على المتكلم ولأنه في غالب الحال مضر بصاحبه واما (القول) فانه دال على الخفة والاسراع فلذلك سموا كل ما مذل به اللسان من الاصوات قولا ناقصا كان أو تاما(٢) .

ويمكن أن يكون هنا تعليل آخر هو أن (الكلام) من (الكمال) أي ان (ك ل م) هي من (ك م ل) في أصلها العام ولذا فان الكلام ينبغي أن يكون مفيداً لانه دال على الكمال والاكمال . كما يمكن أن يقال بالعكس تماماً اذ لو استعمل

(١) الخصائص ١/٢٠

(٢) الخصائص ١/٢١

العرب (الكلام) لما يدل على الكلام وغيره فانه يمكن أن يقال مثلا : (الكلام) من (ك ل م) وهو الجرح فكأن الكلام غير المفيد مما يجرح المقابل ويكلمه لأنه غير مفيد له . و (القول) من (ق و ل) لما كان مفيداً مفهوماً كان مما يخف وقعه على السمع فيطرب له بعكس الكلام .

ونحوه ما قاله في تقليب (س م ل) (س ل م) (م س ل) (م ل س) (ل م س) (ل س م) ويرى أن المعنى الجامع لها المشتمل عليها الاصحاب والملاينة ومنه الثوب (السمل) وهو الخلق . وذلك لانه ليس عليه من الوبر والزئبر ما على الجديد . فاليد اذا مرت عليه للمس لم يستوقفها عنه جدة النسج ولا خشنة الملمس ...

ومنها السلامة . وذلك ان السليم ليس فيه عيب تقف النفس عليه ولا يعترف عليها به(١) .

ونحن نلاحظ أن (س ل م) يمكن تعليلها بالعكس وهي انها تدل على القوة والشدة والثبات في المخاطر والصعاب .

ويعلل عدم تنوين الفعل بأن التنوين انما لحق في الوقف مؤذنا بالتمام ، والفعل أحوج شيء الى الفاعل . فاذا كان من الحاجة اليه من بعده على هذه الحال لم يلق به التنوين اللاحق للايذان بالتكامل والتمام فالحالان اذن كما ترى ضدان ولأجل ذلك ما امتنعوا من الحاق التنوين للمضاف . وذلك أن المضاف على غاية الحاجة الى المضاف اليه من بعده . فلو ألحقته التنوين المؤذن بالوقف وهو متناه في قوة الحاجة الى الوصل جمعت بين الضدين . وهذا جلي غير خاف . وأيضا فان التنوين دليل التنكير ، والاضافة موضوعة للتخصيص فكيف لك باجتماعهما على ما ذكرنا من حالهما(٢) ؟

---

(١) الخصائص ٢/١٣٧

(٢) الخصائص ٣/ ٢٤٠

أما قوله بأن التنوين مؤذن بالتمام والفعل يحتاج الى الفاعل فمن الممكن كذلك أن يقال ان الفاعل يحتاج ايضاً الى الفعل والمبتدأ الى الخبر فلماذا نونا ؟

وأرى انه لو نون الفعل لكان من السهولة تعليله بأن يقال مثلا « التنوين دليل التنكير »(١) والفعل أقعد شيء في التنكير وهو موغل في التنكير(٢) - كما ذكر هو نفسه - ولذلك امتنعوا من تعريفه . قال « ومن ذلك امتناعهم من تعريف الفعل وذلك انما الغرض فيه افادته فلابد من أن يكون منكوراً لايسوغ تعريفه لأنه لو كان معرفة لما كان مستفاداً لأن المعروف قد غني بتعريفه عن اجتلابه ليفاد من جملة الكلام ولذلك قال أصحابنا : اعلم ان حكم الجزء المستفاد من الجملة ان يكون منكوراً والمفاد هو الفعل لاالفاعل »(٣). وعلى هذا كان الفعل أحق أقسام الكلام بالتنوين . وهكذا فان كثيراً من المسائل يمكن تعليلها بعكس ماذهب اليه لأن الشيء حين يؤخذ في تعليله ويمتد في ذلك يبعد عن الاصل شيئاً فشيئاً حتى ربما وصل الى العكس .

ونحوه تعليل التسمية بـ (عروبة) وهي الجمعة قال : « وذلك ان يوم الجمعة أظهر امراً من بقية ايام الاسبوع لما فيه من التأهب لها والتوجه اليها وقوة الاشعار بها قال(٤) :

• يوائم رهطا للعروبة صُيَّما •

وأرى ان هذا التعليل لايصح لأن كون الجمعة أظهر أمراً من بقية الاسبوع لما فيه من التأهب لها انما كان ذلك في الاسلام ولا شك ان التسمية قديمة قبل الاسلام .

---

(١) الخصائص ٣ / ٢٤٠

(٢) الخصائص ١ / ١٠٣

(٣) الخصائص ٣ / ٢٣٣

(٤) الخصائص ١ / ٣٧

وأما الشعر الذي أورده فان (صيا) معناه (قياماً) يريد قياماً يصلون الجمعة(١) .

وكذلك ماعلل به طائفة من الفاظ دخيلة كالمسك والصوار والابريز والرطل والنبراس وغيرها - كما مر - ظاناً أنها عربية . ومن الممكن - لو ذهبنا مذهبه - ان نعلل كثيراً من الفاظ أجنبية نحواً من هذا التعليل فن الممكن أن نقول ان (bat) بمعنى مضرب هي مأخوذة من البيتوتة لأن الضرب كأنما يبيت ألمه على المضروب كما ان (المسك) يمسك الحاسة عليه . و (cut) بمعنى يقطع من باب التسمية باسم الصوت مثل (قط) و (room) بمعنى بيت (فُعْل) من (رام - يروم) لان البيت مما يرومه الانسان ويطلبه .

وعلى اي حال فهي تدل على عقليته وقدرته الكبيرة على التعليل .

ويضاف الى ذلك أن عنده تعليلات في غاية الدقة وبعد النظر ، كما نرى في (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني) و (امساس الالفاظ لاشباه المعاني) كالقضم والخضم والقد والقط والغليان والغثيان والنزوان والبشكى والجمزى وكما نرى في (باب تركب اللغات وتداخلها) نحو حسب يحسب ونعم ينعم وفي (الحمل على المعنى) كتأنيث المذكر وتذكير المؤنث ونحوها فانها تعليلات مستقاة من طبيعة اللغة وقد مر بنا ذكرها فلا حاجة لتكرارها .

٢ - التحليل :

وكما كان أبو الفتح ذا عقلية تعليلية كان ذا عقلية تحليلية فهو يحلل المسألة الى اقصى ماتتحمله . واسمح لي أن انقل اليك النص التالي على طوله لترى مدى التحليل الذي يستعمله . جاء في (المنصف)

« فأما جوار وغواش ونحوهما فللسائل أن يقول :

---

(١) حاشية الخصائص ١ / ٣٧ ثم انظر خلق الابل للاصمعي في مجموعة الكنز اللغوي ١٣٢

لم صرف هذا الوزن وبعد ألفه حرفان : الراء والياء والشين والياء ؟

وقد قال أبو اسحاق في هذا ما اذكره لك ، وهو أنه ذهب الى ان التنوين انما دخل في هذا الوزن لأنه عوض عن ذهاب حركة الياء فلما جاء التنوين وهو ساكن والياء قبله ساكنة التقى ساكنان فحذفت الياء فقيل : « هؤلاء جوارٍ » كما قيل « هذا قاضٍ ومررت بقاض » يريد أن اصله «هؤلاء جواريُ » ثم اسكنت الياء استثقالا للضمـــة فبقيت « جواري » ثم عوض من الحركة التنوين فالتقى ساكنان فوجب حذف الياء كما ذكرنا قبل .

ألا ترى أن الحركة لما ثبتت في موضع النصب في قولك « رأيت جواريَ » لم يجأ بالتنوين لأنه انمـــا كان يجيء عوضاً من الحركة فاذا كانت الحركة ثابتة لم يلزم أن يعوض منها شيء .

وأنكر أبو علي هذا القول على أبي اسحاق وقال : ليس التنوين عوضاً من حركة الياء وقال لأنه لو كان كذلك اوجب أن يعوض التنوين من حركة الياء في (يرمي) ألا ترى أن أصله يرمي بوزن يضرب فلما لم نرهم عوضاً من حركة هذه الياء ، كذلك لايجوز أن يكون التنوين في جوار عوضاً من ذهاب حركة الياء .

فان انتصر منتصر لأبي اسحاق فقال : الزام أبي علي اياه لايلزمه لأن له ان يقول : ان جوار ونحوه اسم والتنوين بابه الاسماء ويرمي ويغزو فعل والتنوين لا مدخل له في الفعل فلذلك لم يلزم أن يعوض من حركة ياء يرمي ونحوها .

قيل له : ومثال (مفاعل) أيضاً لايدخله التنوين فجرى مجرى الفعل . فان قال : مفاعل على كل حال اسم والاسم مما يصح تنوينه فلذلك عوض من حركته تنوينا .

قيل له : لو كان الامر كذلك لوجب ان يعوض من حركة الألف في « حبلى » ونحوها تنوينا ولم نرهم فعلوا ذلك وان كانت اسما ،

فان قال : لو عوض عن حركة « حبلى » ونحوها لدخل التنوين مالاينصرف على وجه من الوجوه .

قيل : وكذلك مثال « مفاعل » قد لاينصرف معرفة ولانكرة . فان قال : مثال « مفاعل » قد ينصرف في بعض المواضع وذلك عند ضرورة الشعر « وحبلى » وبابها لم يصرف قط لضرورة الشعر فهذا الفصل بينهما .

قيل : انما لم يصرفوا نحو « حبلى » للضرورة لأن التنوين كان يذهب الألف من اللفظ فيحصل على ساكن هو التنوين وقد كانت الألف قبله ساكنة فلايزدادون اكثر مما كان قبل الصرف فتركوا الصرف في نحو حبلى لذلك .

ألا ترى انهم يصرفون نحو « حمراء » فيقولون « مررت بحمراء » للضرورة لأنهم قد ازدادوا حرفا يقوم به وزن البيت وهمزة حمراء كألف سكرى وحبلى . فمن هنا سقط انتصار المنتصر لأبي اسحاق فتفهم هذا فانه لطيف جداً »(١)

ونحوه ماذكره في قول من اعتل لبناء نحو كم ومن وما واذ بأن هذه الاسماء لما كانت على حرفين شابهت بذلك ماجاء من الحروف على حرفين نحو هل وبل وقد فلما شابهت الحرف من هذا الموضع وجب بناؤها كما ان الحروف مبنية . قال أبو الفتح : وهذه علة غير متعدية وذلك أنـــه كان يجب على هذا أن يبنى ماكان من الاسماء ايضا على حرفين نحو يد ودم وفم وحر وهن ونحو ذلك .

فان قيل هذه الاسماء لها أصل في الثلاثة وانما حذف منها حرف فهو لذلك معتدٌ . فان ابا الفتح يرى أن ذلك موجب لبناء نحو يد وأخ وأب قال لأنه لما حذف فنقص شابه الحرف وان كان أصله الثلاثة ألا ترى ان المنادى المفرد المعرفة قد كان اصله أن يعرب فلما دخله شبه الحرف لوقوعه موقع المضمر بني ولم يمنع من بنائه جريه معربا قبل حال البناء ... فقد كان يجب ان يبنى ماجاء من الاسماء على حرفين وله اصل في الثلاثة والا يمنع من بنائه كونه في الاصل ثلاثيا ، كما لم يمنع من بناء

---

(١) المنصف ٢ / ٧٠

زيد في النداء كونه في الاصل معربا ... على ان منها مالم يأت على اصله البتة وهو معرب . وهو حره وسه وفم ...

فان قلت : فقد ظهرت اللام في تكسير ذلك نحو : افواه واستاه واحراح ، قيل قد ظهر الاعراب في زيد نفسه لأني جمعه ولم يمنع ذلك من بنائه . وكذلك القول في تحقيره وتصريفه نحو فويه وأسته وحرح (١) .

ونحوه ماذكره في (باب في العلة وعلة العلة) من ان ابا بكر السراج ذكر هذا ومثل منه برفع الفاعل . قال : فاذا سئلنا عن علة رفعه قلنا : ارتفع بفعله ، فإذا قيل : ولم صار الفاعل مرفوعا ؟ فهذا سؤال عن علة العلة .

وقال ابو الفتح ان هـذا الذي سماه علة العلة انما هو تجوز في اللفظ . فأما في الحقيقة فانه شرح وتفسير وتتميم للعلة . الا ترى انه اذا قيل له : فلم ارتفع الفاعل؟ قال : لاسناد الفعل اليه . ولو شاء لابتدأ هذا فقال في جواب رفع زيد من قولنا قام زيد انما ارتفع لاسناد الفعل اليه فكان مغنياً عن قوله : انما ارتفع بفعل حتى تسأله فيما بعد عن العلة التي ارتفع لها الفاعل ..

ولو شاء لماطله فقال له : ولم صار المسند اليه مرفوعاً ؟ فكان جوابه ان يقول : ان صاحب الحديث اقوى الاسماء والضمة اقوى الحركات فجعل الاقوى للاقوى ، وكان يجب على ما رتبه ابو بكر ان تكون هناك علة ، وعلة العلة ، وعلة علة العلة . وايضاً فقد كان له ان يتجاوز هذا الموضع الى ما وراءه فيقول : وهلاّ عكسوا الأمر فاعطوا الاسم الاقوى الحركة الضعيفة لئلا يجمعوا بين ثقيلين فان تكلف متكلف جواباً عن هذا تصاعدت عـدة العلل وادى ذلك الى هجنة القول وضعفه القائل به (٢) .

---

(١) الخصائص ١ / ١٦٩ وما بعدها

(١) الخصائص ١ / ١٧٣ وما بعدها

وقد اصاب ابن جني في قوله ان ذلك تسمح وتجوز وليس حقيقة إذ السؤال عن علة ارتفاع الفاعل - مثلا - والجواب بانه ارتفع بفعله معناه ان العلة هي (الفعل) فالسؤال عن علة العلة ينبغي ان يتعلق بالسؤال عن (الفعل) وهكذا كما يقال : من اين جاء المطر ؟ فتقول من السحاب . فتقول : ومن اين جاء السحاب ؟ وهكذا . . .

ونحوه ما جاء في (الخصائص) عن بناء (أويت) من (وأيت) فتراه يحلل ذلك فيقول هو ان تبني من (وأيت) فوعلا فيصير باك التقدير فيه الى (وَوْ أي) فتقلب اللام الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فيصير (وو أي) ثم تقلب الواو الاولى همزة لاجتماع الواوين في اول الكلمة فيصير (أو أى) ثم تخفف الهمزة فتحذفها وتلقي حركتها على الواو قبلها فيصير (اوا) اسما كان او فعلا(١) .

لقد رأينا بما يقطع الشك ان ابن جني ذو عقلية تحليلية يستعمل عقله في التحليل الى ابعد مدى .

٣ - دقة ملاحظته :

وكذلك كان ابو الفتح دقيق الملاحظة ، والنصوص التي ذكرناها آنفاً تدل على دقة ملاحظته . ومما يدل على دقة ملاحظته ما لحظه في (اللفظ والمعنى) فى ان اللفظ مشابه بجرسه للمعنى وان قوة اللفظ لقوة المعنى وتصاقب الالفاظ لتصاقب المعاني وامساس الالفاظ اشباه المعاني قال : « ووجدت انا من هذا الحديث اشياء كثيرة . . وذلك انك تجد المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير نحو الزعزعة والقلقلة والصلصلة والقعقعة . . ووجدت ايضاً (الفَعلى) في المصادر والصفات انما تأتي في السرعة نحو البشكى والجمزى . . . فجعلوا المثال المكرر للمعنى المكرر

(١) الخصائص ٢ / ٨٩

ـ اعني باب القلقلة ـ والمثال الذي توالت حركاته للافعـال التي توالت الحركات فيها »(١).

وقال : « ومن طريف ما مر بي في هـذه اللغة التي لا يكاد يعلم بعدها ولا يحاط بقاصيها ازدحام الدال والتاء والطاء والراء واللام والنون اذا مازجتهن الفاء على التقديم والتأخير فاكثر احوالها ومجموع معانيها انها للوهن والضعف ونحوهما .

من ذلك الدالف للشيخ الضعيف والشـيء التالف والطليف والظليف المجان وليست له عصمة الثمن .. والدنف للمريض .. ومنه القتور للضعف . (٢)

ونحو مارأى فى اللغة من كثرة الثقيل وقلة الخفيف في الألفاظ فالاول نحو طُنُب وعُنُق والثاني نحو اِبِل . وعلة ذلك عنده ان بين المفرد والجملة اشباها . منها وقوع الجملة موقع المفرد في الصفة والخبر والحال . . . ومنها ان بعض الجمل قد تحتاج الى جملة ثانية احتياج المفرد الى المفرد وذلك في الشرط وجزائه والقسم وجوابه ... ومنها ان المفرد قد أوقع موقع الجملـة في مواضع كنعم ولا لأن كل واحد من هذين الحرفين نائب عن الجملة ... وكذلك صه ومه وايه واف . . . كل واحد منها جزء مفرد وهو قائم برأسه وليس للضمير الذي فيه استحكام الضمير في الفعل . . .

فلما كانت بين المفرد وبين الجملة هذه الاشباه والمقاربات وغيرها شـبهوا توالي الضمتين في نحو سُرُح وعُلُط بتواليها في نحو زيدُ قائمُ ومحمدُ سائر . وعلى ذلك قال بعضهم الحمدُ لُله فضم لام الجر اتباعا لضمة الدال وليس كذلك الكسر في نحو اِبِل لانه لايتوالى في الجملة الجران كما يتوالى الرفعان . (٣)

---

(١) الخصائص ١٥٣/٣

(٢) الخصائص ١٦٦/٢

(٣) الخصائص ٢ /١٧٧ وما بعدها

ومما تظهر فيه دقة ملاحظته ما ذكرناه سابقاً من اختلاف اجراس الحروف باختلاف مقاطعها وتشبيهه لها بالآلة الموسيقية . (١)

ومنه ما ذكره في قولهم (لا ابالك) قال : فههنا تقديران مختلفان لمعنيين مختلفين . وذلك ان ثبات الألف في (ابا) دليل الاضافة فهذا وجه . ووجه آخر ان ثبات اللام وعمل (لا) في هذا الاسم يوجب التنكير والفصل . فثبات الألف دليل الاضافة والتعريف ووجود اللام دليل الفصل والتنكير(٢) .

وقد يذهب الى حد بعيد في استعمال ملاحظته والتدقيق في ذلك . وذلك نحو ماذكره في كتاب (التمام) قال : في قولهم « بحثت التراب » ونحوه : وهو على ترتيب الاصوات الحادثة عنده ، فالباء للخفقة بما يبحث به عن التراب والحاء فيما بعد كصوت رسوب الحديدة ونحوها اذا ساخت في الارض والثاء لحكاية صوت ماينبعث من التراب فتأمله . (٣)

٤ ـ يلمح الاشارات الخاطفة :

كان أبو الفتح يلمح الاشارات الخاطفة فيأخذها ويتبناها ويبني عليها حتى يتملكها وتعرف به فرب عبارة او اشارة لمحها فعقد عليها بابا أو اكثر وأخرجها الى الوجود فكرة واضحة محدودة المعالم ، ومن مثل ذلك :

آ ـ الاشتقاق الأكبر : فقد ذكر أن شيخه أبا علي كان يستعين به ويخلد اليه فلمحه منه أبو الفتح وأطلق عليه هذا الاسم وعقد له بابا حتى صار يعرف به . قال في باب (الاشتقاق الأكبر) : ـ هذا موضع لم يسمه أحد من أصحابنا غير أن أبا علي رحمه الله كان يستعين به ويخلد اليه مع اعواز الاشتقاق الأصغر (٤) . وقال في

(١) سر الصناعة ١/٩

(٢) الخصائص ١/٣٤٢

(٣) التمام ص ١٣٠

(٤) الخصائص ٢/١٣٣

موضع آخر : وشاهدته غير مرة - يعني شيخه أبا علي الفارسي - اذا أشكل عليه الحرف : الفاء أو العين أو اللام استعان على عامه ومعرفته بتقليب أصول المثال الذي ذلك الحرف فيه(١) .

ب - الجوار في نحو قولهم : هذا جحر ضب خرب . حمله الجمهور على انه غلط من العرب وانه من الشاذ وعنده أنه على حذف المضاف (٢) . وأبو علي هو الذي فتح له هذا الباب - كما مر - (٣) .

ج - التجريد : قال اعلم ان هذا فصل من فصول العربية طريف حسن ورأيت أبا علي - رحمه الله - به غريا معنيا ولم يفرد له بابا لكنه وسمه في بعض ألفاظه فاستقريتها منه وأنقت لها (٤) .

د - امساس الالفاظ أشباه المعاني : نحو ماذهب اليه سيبويه والخليل من أن العرب توهموا في صوت الجندب استطالة فقالوا صرّ الجندب وتوهموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا صرصر البازي ونحو ذلك في مشاكلة أصوات الألفاظ للمعاني فقد لمح هذا الشيء وبحثه بحثا موسعا فى مواطن عدة من كتبه ولاسيما الخصائص فى (تصاقب الالفاظ لتصاقب المعاني) و (امساس الألفاظ أشباه المعاني) ومضارعة اللفظ للمعنى وقوة اللفظ لقوة المعنى ونحو ذلك . قال : - ووجدت أنا من هذا الحديث اشياء كثيرة على سمت ماحدّاه ومنهاج مارسماه(٥) . وذكر من ذلك المصادر الرباعية المضعفة كالقلقلة والزعزعة و (الفعلى) فى المصادر والصفات كما مر.

ه - يلحظ الحالة النفسية والمعنى الذي يرمى اليه المتكلم وأثر ذلك فى التعبير

---

(١) الخصائص ١/١٢

(٢) الخصائص ١/١٩٢

(٣) الخصائص ١/ ١٩٢ - ١٩٣

(٤) الخصائص ٢/٤٧٣

(٥) الخصائص ٢/١٥٣

كما يلحظ النبرة الصوتيــة أو مايســمى موسيقى الكلام وأثرها في المعنى . وذلك كما في حــذف الصفة ودلالة الحال عليها كما مر من نحو قولهم : سير عليه ليل ، وهم يريدون ليل طويل ، وكأن هــذا انما حذفت فيه الصفة لما دل من الحــال على موضعها . وذلك انك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظم ما يقوم مقام قوله : طويل أو نحو ذلك قال وأنت تحس هـذا من نفسك اذا تأملته . وذلك ان تكون في مدح انسان والثناء عليه فتقول : كان والله رجلا فتزيد في قوة اللفظ بـ (الله) هذه الكلمة وتتمكن في تمطيط اللام واطالة الصوت بها وعليها أي رجــلا فاضلا أو شجاعاً أو كريماً ونحو ذلك . وكذلك تقول : سألناه فوجدناه انساناً وتمكن الصوت بانسان وتفخمه فتستغني بذلك عن وصفه بقولك : انساناً سمحا أو جواداً او نحــو ذلك وكذلك ان ذممته ووصفته بالضيق قلت : سألناه وكان انساناً ! وتزوي وجهك وتقطبه فيغني ذلك عن قولك : انساناً لئيماً أو لحزاً او مبخّلا أو نحو ذلك(١) .

وكذلك ما لحظه في قراءة من قرأ (يا حسره على العباد) بالهاء الساكنة فذكر انما هو لتقوية المعنى في النفس وذلك انه موضع وعظ وتنبيه وايقاظ وتحذير فطال الوقوف على الهاء كما يفعله المستعظم للامر المتعجب منه الدال على أنه قد بهره وملك عليه لفظه وخاطره(٢) . وقد مر بنا هذا في موطن سابق .

٦ ـ سعة نظرته :

وأبو الفتح واسع النظر ، واسع الأفق ، ترى ذلك في أغلب ما يبحث فيه .

قال في تعدي (افعل) ولزومه ان ضرباً من اللغة جاءت فيه هــذه القضية معكوسة مخالفة فتجد (فعل) متعديا و (افعل) غير متعد .

---

(١) الخصائص ٣٧١/٢

(٢) المحتسب ٢٦١/٢ عن كتاب (ابو علي الفارسي) ص ٣٨٥

وذلك قولهم أجفل الظليم وجفلته الريح ... وأنزفت البئر اذا ذهب ماؤها ونزفتها وأقشع الغيام وقشعته الريح ...

فهذا نقض عادة الاستعمال لأن (فعلت) فيه متعدو (أفعلت) غير متعد . وعلة ذلك عنده أنه جعل تعدي فعلت وجمود أفعلت كالعوض لفعلت من غلبة أفعلت لها على التعدي نحو جلس وأجلسته ونهض وانهضته ، كما جعل قلب الياء واوا في التقوى والرعوى والثنوى والفتوى عوضا للواو من كثرة دخول الياء عليها ، وكما جعل لزوم الضرب الاول من المنسرح لمفتعلن وحظر مجيئه تاما أو مخبونا بل توبعت فيه الحركات الثلاث البتة تعويضا للضرب من كثرة السواكن فيه نحو مفعولن ومفعولان ومستفعلان ونحو ذلك مما التقى في آخره من الضروب ساكنان (١) .

وذكر في باب (كثرة الثقيل وقلة الخفيف) نحو عنق وابل أن بين الجملة والمفرد أشباها (٢) - كما مر - فهو يربط بين المفرد والجملة ويرى بينهما مشابهة كما يرى أن الحروف تضارع الحركات والحركات تضارع الحروف فيقول في (باب في مضارعة الحروف للحركات والحركات الحروف) ان الحركة حرف صغير فالضمة واو صغيرة والكسرة ياء صغيرة والفتحة الف صغيرة ويؤكد ذلك أنك متى أشبعت ومطلت الحركة أنشأت بعدها حرفاً من جنسها وذلك أن الحروف قد تجري مجرى الحركات ومن ذلك الألف والواو والياء والنون (٣) . ويرى ان الحروف تحذف استخفافا كما تحذف الحركة ومن ذلك قوله :

فألحقت اخراهم طريق الاهم   كما قيل نجم قد خوى متتابع

---

(١) الخصائص ٢/٢١٥

(٢) الخصائص ٢/١٧٧

(٣) الخصائص ٢/٣١٥

يريد أولاهم . وقال رؤبه :

• وصاني العجاج فيما وصّني •

يريد فيما وصاني . وقال الله عز اسمه (والليل اذا يسر) ... فنظير حـذف هذه الحروف للتخفيف حذف الحركات أيضاً في نحو قوله :

• فاليوم أشربْ غير مستحقب •

وقوله :

• اذا اعوججن قلت صاحب قوم •

وقوله :

• ومن يتقْ فان الله معه •

وقوله :

• أو يرتبطْ بعض النفوس حمامُها(١) •

٧ - سعة صدره وعدم تعصبه :

كان أبو الفتح واسع الصدر واسـع الافق غير متعصب لاينتقص مخالفيه أو مخالفي مذهبه . فقد كان لايمتنع أن يقول برأي البصريين أو الكوفيين وغيرهم اذا رأى الحق معه ويوافق الجمهور أو يخالفهم فينفرد برأي :

وهو مجل لشخصيات البصريين والكوفيين لاكشأن غيره من البصريين في التهجم على علماء الكوفـة ، كما جاء في (مراتب النحويين) أن أبا حاتم قال : لم يكن لجميع الكوفيين عالم بالقرآن ولاكلام العرب ولولا أن الكسـائي دنا من الخلفاء فرفعوا من ذكره لم يكن شيئاً وعلمــه مختلط بلا حجج • ولا علل الا حكايات عن الاعراب مطروحة(٢) .

---

(١) الخصائص ٢/٣١٧

(٢) مراتب النحويين ص ٧٤

على حين يثني عليه أبو الفتح في (الخصائص) بقوله : « وكان هذا الرجل - يعني الكسائي - كثيراً في السداد والثقة عند أصحابنا »(١) .

لقد كان كثير الرواية عن أبي بكر بن مقسم محمد بن الحسن عن احمد بن يحيى ثعلب وكان ابن مقسم راوية ثعلب يروي عنه ابن جني أخبار ثعلب ويتردد ذكره كثيراً في كتبه وكان كثيراً مايقول : قرأت على محمد بن الحسن عن أبي العباس أحمد ابن يحيى ونحو ذاك كما مر في ترجمة ابن مقسم . وقد اثنى على ثعلب قائلا : « ورأيت أبا محمد بن درستويه قد أنحى على أحمد بن يحيى في هذا الموضوع من كتابه الموسوم بشرح الفصيح وظلمه وغصبه حقه والأمر عندي بخلاف ما ذهب اليه ابن درستويه في كثير مما الزمه اياه . وما كنت أراه بهذه المنزلة ، ولقد كنت أعتقد فيه الترفع عنها وان كان من أصحابي وقائلا بقول مشيخة البصريين في غالب أمره وكان أحمد ابن يحيى كوفياً قلباً فالحق أحق أن يتبع أين حل وصقع(٢) . واثنى على أمانتـه وحصانته قائلا ولله أبو العباس أحمد بن يحيى وتقدمه في نفوس أصحاب الحديث ثقة وامانة وعصمة وحصانة وهم عيار هذا الشأن وأساس هـذا البنيان »(٣) . وهي درجة سامية في سعة الصدر ورحابته وسدك بالانصاف .

٨ - ارتباط علوم اللغة والاستفادة من بعضها في الاستدلال على بعض :

يرى أبو الفتح أن علوم اللغة مترابطة فيما بينها وانه يمكن الاستدلال ببعضها على بعض ، فالعروض واللغة والنحو ومعاني الشعر وغيرها مترابطة بينها كما يرى أن هناك شبهاً بين المفرد والجملة وهو يقتفي أثر شيخه أبي علي في ذاك فقـد ذكر أن شيخه أخبره أن سـائلا قديماً سأله : هل يجوز الخرم في أول اجزاء متفاعلن من

(١) الخصائص ٢ / ٨٩ ، وانظر الخصائص ٣ / ٣١١

(٢) سر الصناعة حرف الهاء ص ٢٩٣ مخطوطة بدار الكتب المصرية

(٣) الخصائص ٣ / ٣١٣

الكامل ؟ قال : ولم اكن حينئذ اعرف مذهب العروضيين فيه فعدلت به الى طريق الاعراب ، فقلت : لايجوز فقال : لم لايجوز ، فقلت لأن التاء بعد الميم قد يدركها السكون في بعض الأحوال فيكره الابتداء بحرف قد يكون في بعض احواله ساكناً في ذلك المثال بعينه كما كرهت العرب الابتداء بالهمزة المخففة لأنها قد قربت من الساكن . أفلا ترى الى تناسب هذا العلم واشتراك اجزائه حتى انه ليجاب عن بعضه بجواب غيره(١) ؟

فهو يرى اذن تناسب هذا العلم واشتراك اجزائه حتى انه ليجاب عن بعضه بجواب غيره . ومن ذلك ما جاء في (الخصائص) فى عدم جواز توكيد المحذوف نحو : الذي ضربت نفسه زيد أي الذي ضربته نفسه والا كان نقضاً للغرض وذلك أن الحذف « انما الغرض به التخفيف لطول الاسم فلو ذهبت تؤكده لنقضت الغرض وذلك ان التوكيد والاسهاب ضد التخفيف والايجاز ، فلما كان الأمر كذلك تدافع الحكمان فلم يجز أن يجتمعا كما لايجوز ادّغام الملحق لما فيه من نقض الغرض »(٢) . فترى من هذا أنه يستعين باللغة فى النحو . ونحو ذلك ماجاء فى (باب فى اصلاح اللفظ) فيذكر أن من ذلك قولهم : اما زيد فمنطلق ، فيذكر أن اصل هذا التعبير اذا صرحت بلفظ الشرط فيه كأنك قلت : مهما يكن من شيء فزيد منطلق ،ومثله امتناعهم أن يقولوا : انتظرتك وطلوع الشمس أي مع طلوع الشمس فينصبوه على انه مفعول معه كما ينصبون نحو قمت وزيداً أي مع زيد ومن ذلك قولهم فى جمع ثمرة وبسرة ونحو ذلك : ثمرات وبسرات فكرهوا اقرار التاء تناكراً لاجتماع علامتي تأنيث فى لفظ اسم واحد ، ومن اصلاح اللفظ قولهم : كأن زيداً عمرو فيرى أن اصله : زيد كعمرو ثم أرادوا توكيد الخبر فزادوا فيه ان فقالوا : ان زيداً كعمرو ثم انهم بالغوا فى توكيد التشبيه فقدموا حرفه الى أول الكلام عناية به واعلامه ان

(١) سر الصناعة ١ / ٥٥

(٢) الخصائص ١ / ٢٨٧

عقد الكلام عليه فلما تقدمت الكاف وهي جارة لم يجز ان تباشر (ان) لانها ينقطع ماقبلها من العوامل فوجب لذلك فتحها فقالوا : كأن زيداً عمرو ، ومن ذلك امتناعهم من الالحاق بالألف الا ان تقع آخراً نحو ارطى ومعزى وحبنطى وسرندى . . . وذلك انها اذا وقعت طرفاً وقعت موقع حرف متحرك فدل ذلك على قوتها عندهم ، ومن ذلك باب الادغام فى المتقارب نحو ودّ فى وتد ومن الناس (مَيّقول) فى (من يقول) ومنه جميع باب التقريب نحو اصطبر وازدان(١)..

فترى ان علوم اللغة تندمج عنده وتمتزج فى البحث بحيث تكون عنده كأنها مادة واحدة وموضوع واحد .

وانظر الى المثل التالي وكيف يستعين باللغة فى النحو فيقول فى قولهم (كان يقوم زيد) ونحن نعتقد رفع (زيد) بـ (كان) ويكون (يقوم) خبراً مقدماً عليه . فأن قيل : ألا تعلم أن (كان) انما تدخل على الكلام الذي كان قبلها مبتدأ وخبر وأنت اذا قلت : يقوم زيد فانما الكلام من فعل وفاعل فكيف ذلك ؟ فالجواب انه لايمتنع ان يعتقد مع (كان) فى قولنا : كان يقوم زيد ان زيداً مرتفع بكان وان (يقوم) مقدم عن موضعه فاذا حذفت (كان) زال الاتساع وتأخر الخبر الذي هو يقوم فصار بعد (زيد) كما ان الف (علقاة) (للالحاق) فاذا حذفت الهاء استحال التقدير فصار للتأنيث »(٢) .

ويعقد بين معاني الشعر ومعاني الاعراب ، فمن ذلك قول ذي الرمة :

ورمل كأوراك العذارى قطعته ... اذا البسته المظلمات الحنادس

قال : أفلا ترى ذا الرمة كيف جعل الأصل فرعاً والفرع أصلا . وذلك أن العادة والعرف فى نحو هذا أن تشبه أعجاز النساء بكثبان الأنقاء . . وللّه البحتري فما اعذب وأظرف وأدمث قوله :

---

(١) الخصائص ١ / ٣١٢ ومابعدها

(٢) الخصائص ١ /٢٧٣

اين الغزال المستعير من النقا كفلا ومن نور الأقاحي مبسما

وذكر أن هـذا المعنى عينه استعمله النحويون فى صناعتهم فشبهوا الأصل بالفرع فى المعنى الذي أفاده ذلك الفرع من ذلك الأصل ألا ترى أن سيبويه أجاز فى قولك : هذا الحسن الوجه ان يكون الجر فى الوجه من موضعين ، احدهما الاضافة والآخر تشبيهه بالضارب الرجل الذي انما جاز فيه الجر تشبيهاً له بالحسن الوجه(١).

٩ ـ عقليته قياسة منظمة لا جماعة ، يهتم بكليات المسائل اكثر من الجزئيات:

وأبو الفتح مشهور بالقياس حتى عده بعضهم من زعماء الأحرار فى اللغة(٢) وانه وشيخه صاحبا مدرسة قياسية خاصة تعنى بالقياس الى أبعد الحدود ولا تقف عند النص(٣) . بل ان ابا الفتح رفع لواء مذهب القياس حتى فاق استاذه فيه(٤). وكان يجعل القياس عياراً على ما يرد من نصوص مخالفة للجمهور أو مفردة فيعرض النص على القياس فان وافقه وكان العربي فصيحاً قبل والا رد كما مر بنا ذلك ويرى أن معرفة مسـألة واحدة من القياس أمثل من معرفة كتاب لغة وهو ـ فى ذلك ـ يهتدي بهدي شيخه الذي يقول : « أخطئ فى خمسين مسألة في اللغة ولا أخطئ فى واحدة من القياس »(٥) ويقول أبو الفتح : « ونحن نعتقد ان أصبنا فسحة أن نشرح كتاب يعقوب بن السكيت فى القلب والابدال فان معرفة هذه الحال فيه أمثل من معرفة عشرة امثال لغته وذلك أن مسألة واحدة من القياس انبل وانبـه من كتاب لغة عند عيون الناس »(٦) .

(١) الخصائص ١ / ٣٠٠ وما بعدها

(٢) مدرسة القياس فى اللغة ـ لأحمد امين ـ مجلة مجمع اللغة العربية ج ٧ / ٣٥١

(٣) ظهر الاسلام ١ / ١٨٥ ، ٢ / ٨٨

(٤) ظهر الاسلام ٢ / ٩٢

(٥) الخصائص ٢/ ٨٨

(٦) الخصائص ٢/ ٨٨

وهذا النص يدلك بوضوح على مـدى اهتمامه بالقياس وبكليات المسائل .
وهو يستعمل القياس في الاستدلال في بعض المسائل فهو يرى أن حرف التعريف قياسه أن يكون على حرف واحـد ذلك أنه نقيض التنوين ، وذلك ان التنوين يدل على التنكير واللام تدل على التعريف فلما كان التنوين حرفا واحـدا كان قياس حرف التعريف أن يكون حرفا واحـدا وهم مما يجرون الشيء مجرى نقيضه كما يجرونه مجرى نظـيره الا تراهم قالوا « طوبل » فجاؤا به على وزن قصير .:. وجروا بـ (كم) في الخبر لانها نقيضة (رب) ألا ترى أن (رب) للتقليل و(كم) للتكثير ؟

وقالوا (كثر ما تقولن) فألحقوا النون لانه نقيض (قلما تقولن) وهذا أو نحوه مطرد كثير في كلامهم(١) .

ومن أوضح ما يدلك على مدى اهتمامه بالمسائل الكلية قوله بعد أن تكلم في (نقض العادة) قال : « فاعرف هـذا الغرض فانه أشرف من حفظ مائة ورقة لغة(٢) .

١٠ ـ ذهابه في تقليب الكلام والكلم على أوجهه المحتملة :

فهو يقلب النص والكلمة على أوجهه المحتملة وقد شاهدنا طرفا من ذلك في (التحليل) . ومن ذلك ما جاء في (التمام) في قول الشاعر :

فدى لبني عمرو وآل مؤمل غداة الصباح فدية غير باطل

فيرى ان (فـدى) تحتمل أمرين ، أحدهما أن يكون منصوبا بفعل مضمر كأنه قال : أفديهم فدى . فقوله (فدية غير باطل) بدل من قوله (فـدى) أو منصوبة بفعل آخر دل عليه (فـدى) واللام التي في (لبني) وصف لفـدى ،

(١) المنصف ١/٦٩

(٢) الخصائص ٢/٢١٩

ولا يجوز على هذا أن تعلق اللام بنفس فـدى . فهذا وجه . والآخر : ان يكون مرفوعا لانه خبر مبتدأ محذوف كأنه قال : انا فدى لبني عمرو . فاذا كان كذلك احتملت اللام أمرين ، احدهما أن يكون صفة لفـدى ، والآخر ان تكون متعلقة بنفس (فدى) فلا يكون فيها أذن ضمير لتعلقها بالظاهر ، واذا كانت صفة كان فيها ضمير لتعلقها بالمحـذوف . ووجه ثالث : وهو أن يكون (فدى) هنا مبنيا لوقوعه موقع الامر كأنه قال : لأفدِ بني عمرو فيكون في (فدى) على هذا ضمير الشاعر عبد مناف وتكون اللام على هذا متعلقة بنفس (فـدى) الا انه لما نكره نونه ، ولا يجوز أن تكون اللام في (لبني) على هذا الوجه وصفا لفدى ، لانه جار مجرى الفعل والفعل لايجوز وصفه كما ان اللام من (سقيا لك) لايجوز ان تكون وصفا لسقيا لوقوعه موقع سقاك الله(١) .

ومنه ما جاء في (التمام) في قول الشاعر :

ومالِيَ فيهم معتَبٌ ان عتبتُه عليهم وما فيهم لدى الظلم مَنصر

قال : ينبغي أن تكون الهاء في (عتبته) ضمير مصدر فكأنه قال : انعتبت عتبا عليهم فأضمره لدلالة فعله عليه ، ويجوز أيضا ان تكون منصوبة لأنها مفعول له فيصير تقديره : ما فيهم اعتاب ان عتبت له ومن أجله . أي من أجل امتناعه. فحذف المضاف(٢) .

ومنه ما جاء فيه فى قول الشاعر :

فدعنا ونحصي حول بيتك بالحصا ونلحاك الفا نفس سلمى زعيمها

قال : الواو في (ونحصي) تحتمل أمرين : احدهما أن تكون للاستئناف وعطف جملة على أخرى أي ونلحاك على كل حال ، ولا موضع لهذه الواو وما

---

(١) التمام ص٦٠

(٢) التمام ص ٦٨

بعدها . والآخر أن تكون واو الحال(١) أي فدعنا ونحن نلمخاك ،

ومنه ما جاء فيه في قول الشاعر :

وردنا الفَضاضَ قبلنا شيِّفاتُنا   بأرعن بنني الطير عن كل موقع(٢)

قال : فأما رفع (شيفاتنا) فان شئت فبالابتداء وخبره (قبلنا) مقدم عليه ، وان شئت كان بدلا من (نا) في وردنا بدل البعض(٣) .

ومنه ما جاء في (الخصائص) في قولهم (راكب الناقــة طليحان) فهو يحتمل عنده وجهين .

احدهما على حذف المعطوف فكأنه قال : راكب الناقة والناقة طليحان .

والآخر أن يكون الكلام محمولا على حذف المضاف أي راكب الناقة أحد طليحين(٤) .

ومنه ماجاء فيه فى (الأولق)(٥) قال : « يمكن ان يكون الأولق (فوعلا) من هذا اللفظ وان يكون أيضاً (أفعل) منه ، فاذا كان أفعل فأمره ظاهر ، وان سميت به لم تصرفه معرفة ، وان كان (فوعلا) فأصله وَوْلق فلما التقت الواوان في أول الكلمة ابدلت الأولى همزة لاستثقالها أولا كقولك في تحقير واصل أو يصل ولو سميت بأولق على هذا لصرفته(٦) .

ومن أوضح الأدلة على ذهابه في تقليب الكلام والكلم الى أبعد الاحتمالات

---

(١) التمام ص ٢٢

(٢) شيفاتنا : طلائعنا ، ارعن جيش كثير . الفضاض : موضع

(٣) التمام ص ٢٠

(٤) الخصائص ١ / ٢٨٩ ومابعدها

(٥) الجنون

(٦) الخصائص ١ /٩

ماذهب اليه في الاشتقاق الأكبر والذي يعنى - كما مر - بتقليب الكلمة الى أبعد احتمالاتها :

١١ - لم يكن مقلدا بل يستعمل عقله في الفهم :

لم يكن أبو الفتح مقلدا في بحثه بل كان أصيلا في نهجه يستعمل عقلــه في الفهم ، لايضيره أن يخالف شيخه وغيره ، ولا أن ينفرد برأي ويقول قولا لم يقله احد قبله . وقد نعى أبو الفتح على التقليد والمقلدين فقال بعد أن استشهد بأشعار المولدين في المعاني : - واياك والحنبليــة بحثا فانها خلق ذميم ومطعم على علاتــه وخيم(١) .

ومن الدلائل الواضحة على عدم تقليده انه لايعد الاجماع حجة قال : - اعلم ان اجماع أهل البلدين انما يكون حجة اذا أعطاك خصمك يده ألا يخالف المنصوص والمقيس على المنصوص فان لم يعط يده بذلك فلا يكون اجماعهم حجة عليه(٢) . وقال « فكل من فُرق له عن علة صحيحة وطريق نهجه كان خليل نفسه ، وأبا عمرو وفكره »(٣) .

وذكر ان الاحتجاج بقول المخالف ليس حجة ولا موضع قطع على الخصم الا ان فيه تشنيعا عليه واهابة به الى تركه(٤) .

ثم يقول : ان للانسان أن يرتجل من المذاهب مايدعو اليــه القياس مالم يلوِ بنص أو ينتهك حرمة شرع(٥) .

هذا رأيه في التقليد وأصالة البحث ، وقد طبق هذا الرأي تطبيقا عمليا فقد

---

(١) الخصائص ١ / ٢٤

(٢) الخصائص ١ /١٨٩

(٣) المصدر السابق

(٤) الخصائص ١ / ١٨٨

(٥) الخصائص ١ /١٨٨

خالف شيخه وخالف سيبويه وغيره وانفرد بآراء خاصة كما سنذكره فيما بعد .

ومما يدلك على اعتداده بنفسه وثقته برأيه بعد ان ذكر مخارج الحروف وتكلم فيها قال : ـ وماعلمت أن أحدا من اصحابنا خاض في هذا الفن هذا الخوض ولا اشبعه هذا الاشباع ومن وجد قولا قاله(١) .

وجاء في (سر الصناعة) في قول الشاعر :

من اي يوميَّ من الموت افر   أيومَ لم يُقدَرَ ام يومَ قُدر

قال : فذهبوا فيه الى انه اراد النون الخفيفة ، ثم حذفها ضرورة فبقيت الراء مفتوحة . . .

والذي اراه انا في هذا ـ وما علمت احدا من أصحابنا ولاغيرهم ذكره ويشبه ان يكونوا لم يذكروه للطفه ـ هو أن اصله (أيوم لم يقدْرَ ام يومَ قدر) بسكون الراء للجزم . ثم انها جاورت الهمزة المفتوحة والراء ساكنة وقد أجرت العرب الحرف الساكن اذا جاور الحرف المتحرك مجرى المتحرك وذلك قولهم فيما حكاه سيبويه : المرَأة والكمَأة يريدون المرْأة والكمْأة(٢) .

١٢ ـ اختباره لما يسمع من الفصيح وتثبته فيه :

كان ابو الفتح كشأن سلفه من سائر النحاة لايقبل كل مايسمع عن العرب بل يمتحنهم ويمتحن المسموعات ويعرضها على سائر مايرد من فصحاء العرب وقد مر بنا ذاك في اكثر من موضع وهو يروي عن الاعراب بعد أن يتحقق فصاحتهم والا رده . قال في وصف الاعراب في زمانه وانتشار الاضطراب في ألسنتهم « لو فشا في اهل الوبر ماشاع في لغة أهل المدر من اضطراب الالسنة وخبالها . . . لوجب رفض لغتها وترك تلقي مايرد عنها ، وعلى ذلك العمل في وقتنا هذا ، لأنا

(١) سر الصناعة ١ / ٦٣

(٢) سر الصناعة ١ / ٨٥

لانكاد نرى بدويا فصيحا وان نحن آنسنا منه فصاحة في كلامه لم نكد نعدم مايفسد ذلك ويقدح فيه وينال ويغض منه(١) .

وكان يمتحن مايرد عليه ويختبره فقد كان في زمانه اعرابي فصيح هو أبو عبدالله الشجري فكان يلقي عليه الاسئلة ويختبره ويصنع له الجمل ويطلب منه ان يقولها ، فيذكر انه سأل الشجري يوما قال : فقلت ياأبا عبدالله كيف تقول ضربت اخاك ؟ فقال : كذاك . فقلت : أفتقول : ضربت اخوك ؟ فقال : لااقول اخوك ابدا . قلت : فكيف تقول : ضربني اخوك ؟ فقال : كذاك . فقلت : ألست زعمت انك لاتقول : اخوك أبدا ؟ فقال : أيش ذا ! اختلفت جهتا الكلام(٢) .

ومر بنا سؤاله له كيف يجمع دكانا وسرحانا وعثمان . (٣) وسأله مرة وكان معه ابن عم له دونه في فصاحته اسمه غصن . قال : فقلت لهما : كيف تحقّران (حمراء) ؟ فقالا : حميراء . قلت فسوداء ؟ قالا : سويداء . وواليت من ذلك احرفا وهما يجيئان بالصواب . ثم دسست في ذلك (علباء) فقال غصن (عليباء) وتبعه الشجري فلما هم بفتح الباء تراجع كالمذعور ثم قال : آه عليبي ورام الضمة(٤) في الياء فكانت تلك عادة له(٥) .

ويذكر أنه طرأ عليه أحد من يدعي الفصاحة البدوية ويتباعد عن الضعفة الحضرية قال : « فتلقينا أكثر كلامة بالقول له وميزناه تميزاً حسن في النفوس موقعه الى أن انشدني يوما شعراً لنفسه يقول في بعض قوافيه : أشأؤها وأدأؤها بوزن (أشععها وأدععها) فجمع بين الهمزتين كما ترى واستأنف من ذلك مالا

(١) الخصائص ٢ / ٥

(٢) الخصائص ١ / ٢٥٠

(٣) الخصائص ٢٤٢/١

(٤) (الروم) هو النطق ببعض الحركة غالبا

(٥) الخصائص ٢ / ٢٦

أصل له ولا قياس يسوغه . نعم وأبدل الى الهمز حرفاً لاحظ في الهمز له بضد ما يجب ...(١) .

وأنشدني أيضا شعراً لنفسه يقول فيه : كأن فاي .. فقوي في نفسي بذلك بعده عن الفصاحة وضعفه عن القياس الذي ركبه(٢) .

وكان قياسه ان يقول : كأن فيّ .

١٣ ـ ظهور المنطق عنده :

وقد مر بنا ذاك فهو يتكلم في العرض والجوهر والساكن والمتحرك والعلة وعلة العلة والف كتابه (الخصائص) على طريقة المتكلمين والفقهاء . وقد مر بنا قوله ان علل العربية أقرب الى علل المتكلمين منها الى علل المتفقهين .

ولا نريد أن نطيل في ضرب الامثلة فقد ذكرنا ذلك في غير هذا الموضع فلا داعي للتكرار .

ومع استعماله للمنطق فيما يكتب فهو لم يغلُ فيه ، وكان يذكر أن لكل علم طريقا وسبيل هذا غير سبيل ذاك . قال : « ان لكل علم وقوم طريقا ومذهبا متى خرج عنهما أو شيبا بغيرهما حاما بمريدهما على ما ليس وقفا لهما ولا مثله مما يقتاد به مثلهما وليس لكل أمر مبرم الا لزوم محجته والانحطاط الى مشروع سمته »(٣) .

١٤ ـ أثر الاعتزال فيما يبحث :

لقد كان أبو الفتح معتزليا ـ كما مر ـ وقد كان يظهر أثر الاعتزال فيما يبحث أحيانا ، من ذلك ما ذكرناه سابقا في كسرة ما قبل ياء المتكلم في نحو غلامي وصاحبي وانها ليست حركة اعراب ولا بناء(٤) .

---

(١) الخصائص ٢ / ٥

(٢) الخصائص ٢ / ٧

(٣) المبهج ص ٣٥

(٤) الخصائص ٢ / ٣٥٦

ومن ذلك ما كانت فيه اللام او الاضافة نحو الرجل وغلامك وصاحب الرجال فهذه الأسماء كلها لا منصرفة ولا غير منصرفة(١) .

ومنه قوله :

يا مرحباهُ بحمار ناجيه　　　اذا اتى قربته للسانيه

فثبات الهاء في (مرحباه) ليس على حد الوقف ولا على الوصل . اما الوقف فيؤذن بأنها ساكنة : يا مرحباه . واما الوصل فيؤذن بحذفها اصلا .

فهذه كلها منزلة بين المنزلتين(٢) .

ومن ذلك ما يرى في قولهم « خالق الله السماء والارض » وما كان نحوه اذ يرى انه عز اسمه لم يكن منه بذلك خلق افعالنا ولو كان حقيقة لا مجازا لكان خالقاً للكفر والعدوان وغيرهما من افعالنا عز وعلا »(٣) . وكذلك ما ذكره في قوله سبحانه (وفوق كل ذي علم عليم) انه حقيقة لا مجاز وذلك انه سبحانه ليس عالما بعلم فهو اذن العليم فوق ذوي العلوم أجمعين(٤) . مستهدياً في كل ذلك بآراء المعتزلة كما سبق ان ذكرناه .

١٥ ـ استعماله امثلة غير عملية او مرضية للتدريب :

فيذكر ان الغرض من مسائل التصريف عنده على ضربين :

احدهما الادخال لما تبنيه في كلام العرب والالحاق له به ، والآخر التماسك الرياضة والتدرب بالصنعة فيه .

الاول نحو قولك في مثل جعفر من (ضرب) ضربب ومثل حَبْرُج : ضُرْبُب

---

(١) الخصائص ٢/٣٥٧

(٢) الخصائص ٢/٣٥٨-٣٥٩

(٣) الخصائص ٢/٤٤٩

(٤) الخصائص ٢/٤٥٧

الثاني وهو نحو قولك في مثل فيعول من شويت : شيوي وفي فعاول منه : شووى ، وفي عضر فوط من الآية : أوأيوء ، ومثل صُفْرُق : أومؤيؤ ، ومن يوم مثل مرمريس : يويويم ومثل الندد : أينوم(١) .

وقد عقد باباً في (المستحيل وصحة قياس الفروع على فساد الاصول) وذكر ان الكلام فيه من موضعين :

احدهما : ذكر استقامة المعنى من استحالته ، والآخر الاستطالة على اللفظ بتحريفه والتلعب به ليكون ذلك مدرجة للفكر ومشجعة للنفس(٢) .

ثم يرد على الذين يقولون ماقيمة الاشتغال بانشاء فروع كاذبة عن اصول فاسدة وقد كان في التشاغل بالصحيح مغن عن التكلف للسقيم فيقول ان هذا خطأ من القول من قبل انه اذا اصلح الفكر وشحذ البصر وفتق كان عوناً لك(٣) .

ويضرب اولا امثلة غير لغوية على هذا المحال فيقول : اذا فرضت ان سبعة في خمسة اربعون فكم يجب ان يكون على هذا ثمانية في ثلاثة ؟ فجوابه ان تقول : سبعة وعشرون وثلاثة اسباع ، وكذلك لو قال لو كانت سبعة في خمسة ثلاثين كم كان يجب ان تكون ثمانية في ثلاثة ؟ لقلت عشرين واربعة اسباع ، وكذلك لو كان نصف المائة ستين لكان نصف الثلاثين ثمانية عشر .

ومن المحال ان يقول لك : ماتقول في مال نصفه ثلثاه كم ينبغي ان يكون ثلثه ؟ فجوابه ان تقول : اربعة اتساعه(٤) .

ثم يأتي بامثلة لغوية ونحوية فيرى ان من المحال الظاهر القول : قمت غداً

(١) الخصائص ٢/٤٨٢ وانظر التصريف الملوكي ص ٥٧ ـ ٥٨

(٢) الخصائص ٣/٣٢٨

(٣) الخصائص ٣/٣٢٨

(٤) الخصائص ٣ / ٣٢٨ وما بعدها

وسأقوم امس . وكذلك يرى انه من المحال قولك : زيد افضل اخوته ،لان (افعل) هذه متى اضيفت الى شيء فهو بعضه كقولك : زيد أفضل الناس . فهـذا جائز ولانقول : زيد افضل الحمير لأنه ليس منهم . وعلى ذلك لم يجيزوا « زيد أفضل أخوته » لأنه ليس واحداً من اخوته وانما هو واحد من بني ابيه وصواب المسألة ان تقول : زيد افضل بني أبيـه او ان تقول : زيد افضل من أخوته ، فهـذا طريق استحالة المعنى(١) .

وأما صحة قياس الفروع على فساد الأصول فكأن يقول لك قائل : لو كانت الناقة من لفظ (القنو) ما كان يكون مثالها من الفعل ؟

فجوابه ان تقول (علفة) . . .

ومن ذلك ان لو كان ما هان عربياً فكان من لفظ هوم أو هيم لكان لعفلن ولو كان من لفظ الوهم لكان لفعان . ولو كان من لفظ همى لكان : علفان ولو وجـد في الكلام تركيب (و م ه) فكان ما هان من لفظه لكان مثاله : عفلان ولو كان من لفظ النهم لكان : لا عافا . ولو كان من لفظ المهيمن لكان عافالا . ولو كان في الكلام تركيب (م ن ه) فكان منه لكان عالافا . وانما غرضنا هنا مساق الفروع على فساد الأصول ، لما يعقب ذلك من قوة الصنعة وارهاف الفكرة .

وأما مرمريس فلو كان من لفظ (س م ر) لكانت : علعليف ، ولو كانت من لفظ (س ر م) لكانت لعلعيف . ولو كانت من لفـظ (م س ر) لكانت فالفليع . لكنها عندنا من لفظ (م ر س) وهو على الحقيقة (فعفعيل) منه . (٢)

ويعقد مسألة في انقلاب الواو الزائـدة همزة ويسطر لها احكاماً . وهي غير مسموعة أصـلا في كلام العرب فيوجـدها بالفرض عن طريق القياس حتى إذا أوجدها سطر لها حكما نحوياً جاء في (سر الصناعة) و أما الواو الزائدة التي قلبت

(١) الخصائص ٣ / ٣٢٣

(٢) الخصائص ٣ / ٣٤٠

عنها همزة فلم تأت مسموعة عنهم الا ان النحويين قاسوا ذلك على الياء لأنها اختها وذلك لو نسبت الى مثل صحراء وخنفساء لقلت : صحراوي وخنفساوي فان سميت بها رجلا ثم رخمته على قولهم : يا حارُ وجب بعد حذف ياء النسب ان تقلب الواو الفا لوقوعها طرفاً بعد الف زائدة فتصير صحراا وخنفساا ثم تبدل الألف الآخرة همزة لأنك حركتها لالتقاء الساكنين كما فعلت ذلك في كساء فتقول على هـذا : ياصحراء ويا خنفساء أقبل . وقياس هـذا إذا سميت به بعد الترخيم ان تصرفه في النكرة بلا خلاف وفي المعرفة على الخلاف فتقول: جاءني صحراءٌ ومررت بخنفساءٍ لأن هذه الهمزة التي فيهما الآن ليست للتأنيث انما هي بدل من الف بدل من واو بدل من همزة التأنيث المنقلبة عن الألف المقدرة بعد الألف الاولى(١) .

١٦ ـ هو وابن هشام :

الذي دعانا الى عقد هـذه الموازنة بين أبي الفتح وابن هشـام ماذكره ابن خلدون في تاريخه قال : ووصل الينا بالمغرب لهذه العصور ديوان من مصر منسوب الى جمال الدين بن هشام من علمائها استوفى فيها احكام الاعراب مجملة ومفصلـة وتكلم على الحروف والمفردات والجمل ... وسماه بالمغني في الاعراب ..... فوقفنا منه على علم جم يشهد بعلو قدره في هذه الصناعة ووفور بضاعته منها كأنه ينحو في طريقته منحاة أهل الموصل الذين اقتفوا أثر ابن جني واتبعوا مصطلح تعليمه(٢).

وستكون الموازنة قصيرة وغير متسعة وسنقتصر فيها على ابن هشام في كتابه (مغني اللبيب) تقريبا وان كنا نرى ان الكتاب الواحد لايكون كافياً في عقـد المقارنات الا اننا نريد أن نتبين رأي ابن خلدون من ناحية ، ومن ناحية أخرى نريد ألا تتسع الرسالة ولعل الله سبحانه بيسر لنا مجالا آخر فى عقد موازنة موسعة دقيقة بينهما .وسنذكر النقاط بايجاز .

---

(١) سر الصناعة ١ / ١١٢ ـ ١١٣

(٢) تاريخ ابن خلدون ١٠٢٧ ـ ١٠٢٨

ابن هشام هو جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام الانصاري المصري .

ولد بالقاهرة في ذي القعدة من عام ثمان وسبعمائة من الهجرة انفرد بالفوائد الغريبة والمباحث الدقيقـة والاستدراكات العجيبة والتحقيق البارع والاطلاع المفرط(١) .

الذي يلحظ ابن هشام في كتابه (المغني) ويلحظ أبا الفتح يخرج بما يلي وهي ليست كل مايخرج به :

١ ـ أبو الفتح لايرى الاستشهاد بالحديث وابن هشام يكثر منه ، فمن الواضح للقارىء في كتب ابن هشام انه يكثر من الاستشهاد بالحديث ولايتردد في ذلك وأما أبو الفتح فانه ـ كما علمنا ـ يقف منه موقف سائر النحاة أي لايرى الاستشهاد به الا انه لايمتنع من أن يذكر الحديث تأييدا لرأي قرره أو أصل استنبطه ، اما ان يكون الحديث هو الأصل الذي يرد القاعدة أو يقرر الأصل أو ينقضه فذلك مالم نره في كتب أبي الفتح كما سبق أن بيناه .

لقد استشهد ابن هشام بالحديث النبوي في كتابه (مغني اللبيب) بما لايقل عن ستين مرة ومن امثلة ذلك مايلي :

آ ـ ماجاء فيه في (ان) « وفي الحديث : ان قعر جهنم سبعين خريفاً ... على ان القعر مصدر (قعرت البئر) اذا بلغت قعرها وسبعين ظرف اي بلوغ قعرها يكون في سبعين عاماً(٢) .

ب ـ ماجاء فيه في (ان) وقد يرتفع بعدها المبتدأ فيكون اسمها ضمير شأن

---

(١) ترجمة ابن هشام في مقدمة المغني ص٥ ـ ٦

(٢) المغني ١ / ٣٧

محذوفا كقوله عليه الصلاة والسلام: «ان من أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون» الأصل انه اي الشأن(١) .

ج ـ ما جاء فيه في (أم) « ان تكون للتعريف نقلت عن طيئ وعن حمير..... وفي الحديث « ليس من امبر امصيامُ في امسفر » كذا ، رواه النمر بن تولب رضي الله عنه(٢) .

د ـ ما جاء فيه في (الباء) « وقد زيدت في مفعول كفى المتعدية لواحد ، ومنه الحديث « كفى بالمرء اثما ان يحدث بكل ما سمع »(٣) .

هـ ـ ما جاء فيه : (حاشا) على ثلاثة أوجه :

احدها ان تكون فعلا متعديا متصرفا ... ومنه الحديث انه عليه الصلاة والسلام قال : « أسامة احب الناس اليّ ما حاشى فاطمة »(٤) .

و ـ ما جاء فيه : « عطف الشيء على مرادفه ... نحو (عوجا ولا أمتا) وقوله عليه الصلاة والسلام « ليلني منكم ذوو الاحلام والنهى »(٥) .

٢ ـ أبو الفتح اشتهر بالتصريف واللغة ودراسة الأصوات الى جانب النحو أما ابن هشام فانه اغلب ما يكون نحوياً .

٣ ـ أبو الفتح صاحب ابتكارات لغوية ونظريات خاصة وليس لأبن هشام مثل ذلك :

٤ ـ أبو الفتح مولع بالتعليل والتحليل الى أبعد الحدود ـ كما مر ـ ما لا نلاحظه عند ابن هشام .

---

(١) المغني ١ / ٣٧

(٢) المغني ١ / ٤٨

(٣) المغني ١ / ١٠٩

(٤) المغني ١ / ١٢١

(٥) المغني ٢ / ٣٥٧

٥ ـ أبو الفتح انشأ « أصول النحو » أو كان علماً أكبر فيه ما لم نعرفه عن ابن هشام .

٦ ـ عبارة أبي الفتح مشرقة واضحة مفصلة وعبارة ابن هشام وخاصة في مغني اللبيب مختصرة أشبه بالاختزال .

٧ ـ أبو الفتح يذكر شيوخه بالفضل ويغفلهم ابن هشام .

٨ ـ اتساع تآليف أبي الفتح فنرى له الكتب الضخمة الموسعة وذلك كالخصائص وكتاب فسر ديوان المتنبي وغيرهما .

٩ ـ تنوع الموضوعات التي كتب فيها أبو الفتح فقد ألف في القراءات والعروض وشرح الأشعار والقصائد والنحو واللغة والصرف والحروف الى غير ذلك وكاد ابن هشام يكون متخصصاً نحوياً .

وان كان من نقاط التقاء بينهما فكلاهما رجل واسع الاطلاع جم المعرفة فانك إذا قرأت كتب ابن هشام فأنت لا شك واجده واسع الاطلاع وتطلع له على تحقيقات واستدراكات نحوية وترجيحات هي غاية في التدقيق بتتبع الكلمات والمصطلحات ويعنى بتصحيحها ويبدي رأيه فيها اذا رأى ما يستوجب ذلك .

فابن هشام قد خبر النحو وتضلع منه بوجه خاص تضلعاً مبيناً على حين ان ابا الفتح كان متسع الدائرة ولم تكن له هذه العناية الخاصة بالنحو دون غيره .

١٧ ـ هو وابن مضاء :

ونعقد موازنة قصيرة موجزة أخرى بين أبي الفتح وابن مضاء القرطبي الذي نادى بالغاء نظرية العامل .

وابن مضاء اللخمي أصله من قرطبة واليها ينسب ، ولد سنة ٥١٣ هـ وتوفي في سنة ٥٩٢ هـ .

كان ابن مضاء ظاهري المذهب نشأ في عصر الموحدين وحاول ان يبني النحو

على اساس هذا المذهب الفقهي كما يظهر في كتابه (الرد على النحاة) فقد نادى بالغاء نظرية العامل ونادى بالغاء العلل الثواني والثوالث ونادى بالغاء القياس والغاء التمارين غير العملية ونادى بمنع التأويل والتقدير في الصيغ والعبارات كل ذلك بوحي هذا المذهب الفقهي .

ان الناظر في كتب أبي الفتح وكتاب (الرد على النحاة) يرى مما يراه مايلي :

١ ـ أبو الفتح معتزلي يظهر أثر اعتزاله أحياناً في كتبه ، وابن مضاء ظاهري حاول تأسيس النحو على اسس هذا المذهب . يقول ابن مضاء في قول أبي الفتح ان « العمل من الرفع والنصب والجر والجزم انما هو للمتكلم نفسه لا لشيء غيره » قال « وهذا قول المعتزلة . وأما مذهب أهل الحق فان هذه الأصوات انما هي من فعل الله تعالى »(١) .

٢ ـ أبو الفتح يدين ـ على العموم ـ بالنحو القديم واسسه في العامل والقياس والعلل والتعليل والتقديرات وقد نادى ابن مضاء بابطال هذه كلها وهدمها . وقد مر بنا رأي ابن جني في هذا كله مع أننا نرى أن ابن مضاء يبين قصده من تأليف كتابه بقوله : « قصدي في هذا الكتاب أن أحذف من النحو مايستغني النحوي عنه وانبه على ما اجمعوا على الخطأ فيه .

فمن ذلك ادعاؤهم أن النصب والخفض والجزم لايكون الا بعامل لفظي وان الرفع منها يكون بعامل لفظي وبعامل معنوي . . . فظاهر هذا أن العامل أحدث الاعراب وذلك بين الفساد »(٢) .

٣ ـ كان أبو الفتح مشهوراً في القياس مولعاً بالتحليل والتعليل الى أبعد الحدود وهو صاحب مدرسة خاصة في القياس ـ كما يرى بعضهم ـ اما ابن مضاء فقد جاء لهدم ما اشتهر به أبو الفتح من تعليل وقياس . فلو قدر لمنهج ابن مضاء النجاح

---

(١) الرد على النحاة ص ٨٧

(٢) الرد على النحاة ص ٨٥ ـ ٨٦

لطمس على كثير مما عده بعضهم مزايا في نهج أبي الفتح . قال ابن مضاء : ومما يجب أن يسقط من النحو العلل الثواني والثوالث(١) . « ويقول في دعوته الى الغاء القياس : « والعرب أمة حكيمة فكيف تشبه شيئاً بشيء وتحكم عليه بحكمه ، وعلة حكم الأصل غير موجودة في الفرع »(٢) !

٤ ـ أبو الفتح يستعمل التمارين غير العملية والفرضية للتدريب ـ كما مر ـ أما ابن مضاء فقد دعا الى الغاء ذلك كله قال : « مما ينبغي أن يسقط من النحو (ابن من كذا مثال كذا) كقولهم (ابن من البيع مثال فُعل)(٣) .

كما دعا الى الغاء كل ما لايفيد نطقاً قال : « ومما يجب ان يسقط من النحو الاختلاف فيما لايفيد نطقاً كاختلافهم في علة رفع الفاعل ونصب المفعول . . . وكاختلافهم في رافع المبتدأ وناصب المفعول »(٤) .

فأنت تراهما على طرفي نقيض احدهما مشرق في نحوه والآخر مغرب . فبينما يرى أبو الفتح ـ مثلا ـ في نحو قولهم :

يا ناق سيري عنقاً فسيحا الى سليمان فنستريحا

و (الا تنزل فنتحدث) كما يرى سائر النحاة البصريين ان الفعل بعد هذه الفاء منتصب بان مضمره من قبل انهم تخيلوا في أول الكلام معنى المصدر ، فاذا قال : زرني فأزورك ، فكأنه قد قال : لتكن منك زيارة فزيارة مني(٥) . يرى ابن مضاء ان ما قاله أبو الفتح لاحقيقة تحته قال : « وكذلك النصب بالفاء والواو ، ينصبون

---

(١) الرد على النحاة ص ١٥١

(٢) المصدر السابق ص ١٥٦

(٣) الرد على النحاة ص ١٦١

(٤) المصدر السابق ص ١٦٤

(٥) سر الصناعة ١ / ٢٧٢ وما بعدها

الأفعال الواقعة بعد هذه الحروف بـ (أن) ويقدرون (أن) مع الفعل بالمصدر ويصرفون الأفعال الواقعة قبل هذه الحروف الى مصادرها ويعطفون المصادر على المصادر بهذه الحروف واذا فعلوا ذلك كله لم يرد معنى اللفظ الأول »(١) .

لقد استفاد ابن مضاء من أبي الفتح قوله في الاجماع وأنه لايكون حجة ونفذ منه الى الطعن والتخلص من النحو القديم ، لقد استعمله سلاحاً لهدم النحو القديم .

ومع ذلك فهناك نقطة التقاء بينهما هو ان كلا منهما يستعمل عقله في الفهم ويعتمد على نفسه وقد مر بنا ذاك عن أبي الفتح أما بالنسبة لابن مضاء فلا أوضح من أن يدعو الى نقض النحو القديم محاولا تأسيس نحو جديد .

---

(١) الرد على النحاة ص ٩٠

الباب السابع

مذهبه النحوي

١ - الاختلاف فيه :

لقد اختلف في مذهب أبي الفتح النحوي فهو بصري عند طائفة ، بغدادي عند آخرين ، ومتخذ لنفسه منهجاً وسطاً بين الكوفية والبصرية كما يذكر غيرهم ، وصاحب مذهب مستقل كما يصوره بعض الباحثين ، وكان في مذهبه هـذا أقرب الى البصريين أو البغداديين .

جاء في (مقدمة سر الصناعة) أن أبا الفتح وشيخه أبا علي الفارسي « كانا على مذهب واحد في النحو هو المذهب البصري ، وكانا لا يأبيان أن يأخذا عن غير البصريين من البصريين والكوفيين والبغداديين وغيرهم »(١) .

وجاء في (مقدمة الخصائص) أن ابن جني كان « كشيخه أبي علي بصرياً فهو يجري في كتبه ومباحثه على أصول هذا المذهب»(٢) .

وجاء في (دائرة المعارف) لفؤاد البستاني : « أن أبا علي كان على مذهب أهل البصرة فخرج ابن جني مثله بصري المذهب »(٣) .

---

(١) مقدمة سر الصناعة ص ٣٤

(٢) مقدمة الخصائص ص ٤٤

(٣) دائرة المعارف ٢/٤١٥

وجاء في (دائرة المعارف الأسلامية) انه « كان يتخذ لنفسه منهجا وسطا بين مدرستي الكوفة والبصرة »(١) .

وجاء نحو من ذلك في (تاريخ علوم اللغة العربية) للاستاذ طه الراوي(٢) :

ويعده الاستاذ (بروكلمان) مع رجال مدرسة بغداد(٣) وهو يستهدي بذلك بصاحب (الفهرست) الذي ذكر (أسماء واخبار جماعة من علماء النحويين واللغويين ممن خلط المذهبين) وعد منهم أبا الفتح عثمان بن جني(٤) . وعلى ذلك فهو بغدادي :

وجاء في كتاب (أبو علي الفارسي) نقلا عن مصدر آخر انه « يُعد المبرد البصري (٢٨٥هـ) وثعلب الكوفي (٢٩١هـ) آخر ممثلين للمدرستين وقد سكن هذان العالمان المتنافسان بغداد .... وكانت اندماج تعاليم المدرستين في الجيل التالي من النحويين الذين أسسوا مدرسة بغداد(٥) »وعلى ذلك فهو بغدادي .

وعده صاحب (القواعد النحوية) هو وشيخه من نحاة بغداد(٦) .

وفي (تقديم كتاب أخبار النحويين البصريين للسيرافي) بعد أن عد النحويين البصريين والكوفيين ثم ذكر البغداديين الذين ظهرت عندهم النزعة البصرية في النحو ثم النزعة الكوفية ثم الذين جمعوا بين النزعتين من البغداديين فلم يتعصبوا ،

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ص ١٢٢-١٢٣ .

(٢) تاريخ علوم اللغة العربية ص ١٩٣

(٣) تاريخ الأدب العربي ج ٢/٢٤٤

(٤) الفهرست ص ١٣٤

(٥) مقدمة ARABIC GRAMMER BY HOWELL. VOL.I PII

(٦) القواعد النحوية - عبدالحميد حسن ص ١٠٩

ذكر أنه جاء بعدهم رجال النحو وأعلامه في العراق وفارس وعد منهم السيرافي وأبا علي الفارسي وابن جني وآخرين(١) . ولم ينسبه الى مذهب معين .

وجاء في مقالة الدكتور محمد أسعد طلس قوله : « ثم انه ليس من شك في أن أبا الفتح على الرغم من انتسابه الى المدرسة البصرية لم يكن مقلداً غيره من أئمة البصرة أو الكوفة أو بغداد فانه كان صاحب مذهب مستقل انفرد به وكان يعمل فكره في المسألة ويناقشها بعقله الواسع وتفكيره الصحيح ويستقصي أقوال الفصحاء والاعراب ثم يصدر حكمه فيها بعد التمحيص والتدقيق »(٢) .

ويقول في مكان آخر : « ان أبا الفتح لم يكن متقيداً بمذهب مخصوص فلا كان بصريا ولا كوفياً ولا بغدادياً ولا أندلسيا بل كان أمة مستقلا برأيه وان كان الى مذهب البغداديين أقرب ، والى آرائهم أميل لأنه تأثر باستاذه أبي علي الفارسي »(٣) .

هذه هي خلاصة الآراء في مذهبه النحوي وسنبين رأينا فيما بعد .

٢ ـ المدرسة البغدادية ـ نبذة مختصرة :

اختُلف في حقيقة المدرسة البغدادية وهل هي مدرسة قائمة بنفسها لها أصولها ؟ فنهم من يراها مدرسة خاصة لها أصولها وآراؤها المستقلة ، ومنهم من يراها تطورا للمذهب الكوفي ووارثه ، ومنهم من يراها مزيجا من المذهبين ثم كانت فيما بعد أقرب الى البصرية ، ومنهم من انكر وجود مدرسة ببغداد . وفي المباحث آراء أخرى تدور في مثل هذا الفلك .

---

(١) تقديم كتاب أخبار النحويين البصريين ص ٥ وما بعدها

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي ، المجلد ٣٠ ج ٦١٥/٤

(٣) مجلة المجمع العلمي العربي المجلد ٣٠ ج ٤ / ٦٤٣

فقد ذكر بعضهم أن المذهب البغـدادي ليس « الا مذهبا انتخابيا فيه الخصائص المنهجية للمدرستين جميعا »(١) .

وذكر غيره أنه تخرج برجال الكوفة « جماعة من البغدادية أولعوا بالتوسع في الروايات والتباهي في الترخيصات والتفاخر بالنوادر والطرائف حتى ابتعدوا عن أصول أشياخهم واستوى لديهم مذهب انحاز عن مذهب اسلافهم عرف بمذهب البغداديين »(٢) .

ويذكر الدكتور محمد أسعد طلس أن مدرسـة بغداد قامت بعد المدرستين البصرية والكوفية وبعد نزوح علماء المدرستين اليها ، وكانت المناقشات العلمية جد حادة بين الفريقين وعلى الرغم من أن تلك المناقشات قد قربت بين وجهات نظر الفريقين فهي أضعفت المدرسة الكوفية . . . وقد ظلت المدرسة البغدادية ناشئة فترة طويلة من الزمن الى أن تغلب المتغلبون على بلاد الخلافة الاسلامية العباسية في بغداد ممن ارادوا أن يجعلوا في عواصمهم البعيدة عن بغداد حركات علمية فضعفت مدرسة بغداد بعض الضعف وظلت تصاول وتجاول معاكسات الدهر الى ان احتلها المغول ففرقوا شمل علمائها وقضوا على كثير منهم »(٣) .

وفي اقوال مقدم (كتاب أخبار النحويين البصريين) بعد أن ذكر طبقات البصريين والكوفيين ذكر البغداديين الذين ظهرت عندهم النزعة البصرية في النحو ثم النزعة الكوفية ثم الذين جمعوا بين النزعتين من البغداديين فلم يتعصبوا . ثم جاء بعدهم رجال النحو وأعلامه في العراق وفارس(٤) - كما مر - .

---

(١) مدرسة الكوفة - للمخزومي ص ٧٠

(٢) نظرات في اللغة والنحو - لطه الراوي ص ٩

(٣) مجلة المجمع العلمي العربي - المجلد ٣٠ ج ٤ / ٦٣١ - ٦٣٢

(٤) تقديم كتاب اخبار النحويين البصريين ص ٥ ومابعدها

وذكر الاستاذ محمد الطنطاوي أنه بالتئام عقد الفريقين في بغداد نشأ المذهب البغدادي الذي عماده الترجيح بين الفريقين(١) . وذكر أنه بعد تلاقي الفريقين في بغداد اختلفت فيها وجهات العلماء الى ثلاثة أنحاء مؤيد للبصريين ومؤيد للكوفيين ومازج بين المذهبين» وقد تمايزت طوائفهم الثلاث تبعاً لاختلاف نزعاتهم وكانت الطائفة الخالطة بين النزعتين البصرية والكوفية تزاول المذهبين وتنظر فيهما نظرة غير مشوبة بالعصبية فهي ولا بد واجدة رجحان هذا المذهب في مسائل ، وذلك المذهب في مسائل أخرى وكان عمل الطائفة منبها بعض معاصريهم الى استقراء ما صح من القوانين النحوية دون التحيز الى فريق دون آخر ، فجر ذلك الى الخلط بين المذهبين لاستخلاص مذهب منهما مرضي عندهم . ولقد اتسعت هذه الحركة ونمت فعالجها الكثيرون حتى احتل مكاناً بين المذهبين مذهب آخر جديد مؤلف من المذهبين بفروق قليلة اشتهر ذلك بالمذهب البغدادي إذ كانت أرض بغداد هي التي اقلته وسماؤها التي اظلته ظهرت بواكيره في اخريات القرن الثالث الهجري على مرأى من المتنازعين من الفريقين . (٢)

وجاء في (القواعد النحوية) أنه بعد ان امتزج نحاة الكوفة والبصرة ببغداد واتسع المجال لعرض الآراء وذلك في منتصف القرن الثالث الهجري « أتيح للبغداديين بهذا ان ينظروا في المذهبين البصري والكوفي ويوازنوا بين آراء الفريقين فأنشأوا لهم مذهباً كان أساسه المستحسن من المذهبين وأضافوا الى ذلك ما عن لهم من آراء خاصة . وكانوا في أول الأمر اكثر ميلا الى موافقة الكوفيين لمكانة نحاة الكوفة عند الخلفاء... ولكنهم اتبعوا المذهب البصري في كثير من المسائل »(٣)

ويرى ((Howell)) ان المدرسة البصرية احتفظت بتعاليمها الى أواسط

(١) نشأة النحو ص ٢٦

(٢) نشأة النحو - لمحمد الطنطاوي ص ١٤٤

(٣) القواعد النحوية - لعبدالحميد حسن ص ١٠٤ - ١٠٥

القرن الرابع لأن ابن دريد الذي عاصر المبرد لمدة اثنين وستين عاما ظل حيا حتى سنة ٣٢١ هـ وباستثناء هـذا المعمر الذي كان البقية الباقية من مدرسة البصرة فمن خلف المبرد وثعلباً يسمون بالبغداديين كأبي بكر بن السراج ومبرمان لا لأنهم سكنوا وحاضروا في بغداد ولكنهم هناك لقنوا مذهباً جديداً مزيجاً من تعاليم المدرستين القديمتين من تفاوت وعلم في النزوع الى احداهما دون الأخرى . (١)

ويرى الدكتور الشلبي « ان هذا الذي يقول Howell وما يذهب اليه بعض الباحثين من ان هناك مدرسة نحوية باسم مدرسة بغداد متميزة عن المدرستين البصرية والكوفية لا يتفق مع ما كان يراه الأقدمون الأولون من اصحاب التراجم والطبقات ثم هو لا يتفق كذلك مع نصوص العلماء الأقدمين .

فابن النديم لا يسمي من خلطوا بين المذهبين بغداديين ، والزبيدي في طبقاته يذكر في كتابه النحاة واللغويين من البصريين والكوفيين والمصريين والقرويين (الافريقيين) والاندلسيين ولا يزيد (٢) ويقول : « إذن فلم تكن هناك فيما أرى مدرسة بغداديه قائمة بنفسها لها تعاليمها . » (٣)

وجاء في كتاب (مراتب النحويين) : « قال أبو حاتم : اهل بغداد حشو عسكر الخليفة لم يكن بها من يوثق به في كلام العرب ولا من يرتضى روايته فان ادعى أحد منهم شيئا رأيته مخلطا صاحب تطويل وكثرة كلام ومكابرة ... وانما همّ احدهم اذا سبق الى العلم ان يسيّر اسما يخترعه لينسبه اليه فيسمي الجر خفضا والظرف صفة ويسمون حروف الجر حروف الصفات والعطف النسق ... ونحو هذا من التخليط (٤) .

---

(١) Howell . Vol I . P . 16

(٢) ابو علي الفارسي ص ٥٤٥ وما بعدها

(٣) المصدر السابق

(٤) مراتب النحويين ص ١٠٤

فهو - كما ترى - يتكلم على الكوفيين ويطلق عليهم أهل بغداد .

وجاء في (سر الصناعة) : فأما قول من قال في قول تأبط شرا :

كأنما حثحثوا حصا قوادمه او أم خشف بذي شث وطباق

انه اراد : حثثوا فأبدلوا من الثاء الوسطى حاء فردود عندنا وانما ذهب الى هذا البغداديون . . .

فأما الحاء فبعيدة من الثاء وبينها تفاوت يمنع من قلب احداهما الى اختها : قال وانما حثحث أصل رباعي وحثث أصل ثلاثي . . .

هذا هو الصواب وهو قول كافة أصحابنا على ان ابا بكر محمد بن السري قد كان تابع الكوفيين وقال في هذا بقولهم(١) .

فهو - كما ترى - يطلق لفظ البغداديين على الكوفيين . ثم اختُلف في عد رجال مدرسة بغداد كما رأينا في عد ابن جني وأبي علي الفارسي معهم أو مع البصريين وآخرين غيرهما .

هذا ملخص أغلب الآراء في مدرسة بغداد .

والذي اراه في هذا الشأن أنه لا يصح اطلاق اسم « مذهب » أو « مدرسة » الا أن تكون هناك أسس مستقلة وآراء متميزة واضحة محددة وإلا فهو اما مذهب بصري وأما كوفي او نحوهما . وأرى ان المكان وحده لايصح ان يسم المدرسة باسم ما فتعد مدرسة نحوية مستقلة كما لايصح ان يسم القائمين بها فلا يصح - مثلا - عد المبرد الا من البصريين وثعلب الا من الكوفيين مع انهما سكنا في بغداد . وهب أن نحويا بصريا سكن مدينة ما وبقي محتفظا بآرائه البصرية فهل يعد هذا الا بصريا ؟

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ينبغي ان ينظر الى هذا الامر من ثلاث نواح ، حتى يمكن اطلاق اسم (مدرسة) عليه .

---

(١) سر الصناعة ١/١٩٧ - ١٩٨

آ ـ من حيث الأسس التي تتبعها في أصول البحث .

ب ـ من حيث المصطلحات .

ج ـ من حيث المسائل الخلافية .

فان استقلت في كل ذلك فهي مدرسة خاصة والا فهي تبع وينظر الى النحوي من هذه الأمور كذلك ويمكن ان نضيف ناحية أخرى هي نظرته الى نفسه فأين يعد نفسه أفي البصريين مثلا ام في غيرهم ؟

وبذلك يكون موقفنا ـ فيما ارى ـ اسلم في الترجيح واصدار الحكم والصفة . ولايشترط في النحوي أن يقول بجميع آراء مذهبه فله أن يجتهد ضمن حدود هذا المذهب فيوافق رأي الكوفيين أو ينفرد برأيه في طائفة من المسائل ـ كما هو معلوم ـ . وهذا الاجتهاد والمخالفة لاينزع عنه صفته في انتمائه الى مدرسته .

ومن ذلك ـ مثلا ـ ماوافق فيه أبو الحسن الاخفش الكوفيين وهو كما نعلم من نحاة البصرة المتقدمين :

١ ـ ذهب الكوفيون الى أن الظرف يرفع الاسم اذا تقدم عليه نحو : أمامك زيد . واليه ذهب أبو الحسن الأخفش في أحد قوليه(١) .

٢ ـ يجوز أن يقع الفعل الماضي حالا عند الكوفيين وأبي الحسن الاخفش من البصريين . (٢)

٣ ـ يجوز أن تقع الواو العاطفة زائدة عند الكوفيين وأبي الحسن الأخفش . (٣)

٤ ـ يجوز ترك صرف ما ينصرف في ضرورة الشعر عند الكوفيين وأبي الحسن الاخفش . (٤)

---

(١) الانصاف مسألة (٦)

(٢) الانصاف مسألة ٣٢

(٣) الانصاف مسألة ٦٤

(٤) الانصاف مسألة ٧٠

٥ ـ الياء والكاف في لولاي ولولاك في موضع رفع عنـد الكوفيين وأبي الحسن الأخفش . (١)

ونحوه أبو العباس محمد بن يزيد المبرد آخر من يعد في طبقات النحاة البصريين ومما وافق فيه الكوفيين :

١ ـ ارتفاع الاسم بالظرف اذا تقدم عليه . (٢)

٢ ـ عدم جواز تقديم خبر ليس عليها . (٣)

٣ ـ عامل النصب في المستثنى الا . (٤)

٤ ـ جواز وقوع الواو العاطفة زائدة . (٥)

٥ ـ استحسانه ان تأتي (كما) بمعنى كيما فتعمل النصب . (٦)

٦ ـ جواز تقديم التمييز اذا كان العامل فيه فعلا متصرفا نحو : عرقا تصبب زيد(٧) .

ومما وافق فيه الكسائي شيخ نحاة الكوفة البصريين :

١ ـ نعم وبئس فعلان(٨) .

٢ ـ أفعل التعجب في (ماأفعله) فعل(٩) .

---

(١) الانصاف مسألة ٩٧

(٢) الانصاف مسألة ٦

(٣) الانصاف مسألة ١٨

(٤) الانصاف مسألة ٣٤

(٥) الانصاف مسألة ٦٤

(٦) الانصاف مسألة ٨١

(٧) الانصاف مسألة ١٢٠

(٨) الانصاف مسألة ١٤

(٩) الانصاف مسألة ١٥

٣ ـ عدم جواز ترخيم ما كان على ثلاثة احرف(١) .

٤ ـ تقديم المنصوب في جواب الشرط نحو « ان تأتني زيدا اكرم »(٢) .

وذلك شأن اغلب النحاة .

وعلى هذا فأنا أرى انه لا يثبت وجود مدرسة بغدادية الا اذا ثبت أنها مدرسة مستقلة ذات أسس مستقلة وكيان خاص وآراء مستقلة ، وان نحاتها يتصفون بهذه الصفات أيضا وذلك لم يثبت عندي فيما بين يدي من المصادر . وأما قول أبي الفتح في نحو : «ومن ذلك قول البغداديين » ونحو « تابع أبو بكر البغداديين» ـ كما سيأتي ـ فالذي أرجحه أنه يعني (الكوفيين) وهو ماصرح به فبعد ان ذكر قول البغداديين في مسألة (حثحث وحثث) وذكر ان ابا بكر تابعهم في قولهم ذكر في آخر النص ان اصحابه خالفوا هذا القول ولكن ابا بكر تابع الكوفيين في قولهم هذا(٣) .

وصرح به في مكان آخر ، فقد ذكر قول البغداديين : ان الاسم يرتفع بما يعود عليه من ذكره نحو : زيد مررت به ، (٤) ثم ذكر في مكان آخر ان هذا قول الكوفيين (٥) وقد سبق ان ذكرنا ان أبا حاتم ذكر اهل بغداد وعنى بهم وبمصطلحاتهم الكوفيين(٦) .

وعلى هذا فحتى يمكن أن يعد نحوي بصرياً أو بغدادياً ينبغي دراسة آرائه النحوية فى سائر مسائل الخلاف ثم يقرر بعد ذلك كونه بغدادياً أو بصريا أو كوفياً

---

(١) الانصاف مسألة ٤٩

(٢) الانصاف مسألة ٨٦

(٣) سر الصناعة ١/١٩٧ ، ١٩٨

(٤) الخصائص ١/١٩٩

(٥) الخصائص ١/١٦٦

(٦) مراتب النحويين ص ١٠٤

مع وجوب العلم بأن كون المخالفة اليسيرة لاتعد كما ذكرنا .

ولهذا لا أستطيع أن أتصور البتة ما ذهب اليه بعض الباحثين من أن ابن الانباري صاحب (الانصاف) ـ مثـلا ـ كان بغداديا(١) وهو الذي ألف كتابه المذكور آنفاً لتأييد البصريين ، ووافقهم في عامـة المسائل النحوية الخلافية ، ولم يخالفهم الا في تسع مسـائل من مجموع (١٢١) مسألة ولا أدري كيف يمكن أن يعد مثل هذا الرجل بغداديا وآراؤه البصرية واضحة بينة !

انه ينبغي أن يرسم المنهـج أولا وتوضع الأسس ثم تطلق الصفة ويصـدر الحـكم ، أما اطلاق اسـم « المدرسة البغدادية » على جميع من نشأ بعـد المبرد وثعلب بغض النظر عن دراسـة واستخلاص آرائهم النحوية فهذا منهـج لا أظنه لاحبا صحيحا بحال .

٣ ـ مذهبه النحوي :

هل كان أبو الفتح بغداديا ؟

نحن سنتبع الطرائق التي ذكرناها آنفاً للحكم على مذهب أبي الفتح النحوي.

سنبحث هذا الامر من أربع نواح :

آ ـ أسس المدرسة البصرية ومدى التزام أبي الفتح بها .

ب ـ اصطلاحاته النحوية .

ج ـ أين يعد نفسه ؟

د ـ نماذج من دراساته في المسائل الخلافية .

وبذلك نتمكن من الحـكم على مذهبـه النحوي ووصفه بصفة صحيحة . وهو

---

(١) الدكتور محمد أسعد طلس ـ مجلة المجمع العلمي العربي ـ المجلد ٣١ ج ٤/٦٣١

من أمثل ما يذهب اليه في طريقة بحث مذهبه النحوي فيما أحسب .

آ - أسس المدرسة البصرية :

تكاد تجمع المصادر أن البصريين يختلفون عن الكوفيين في أصلين كبيرين :

١ - الأخذ عن الاعراب الفصحاء الموثوق بفصاحتهم .

٢ - القياس على الكثير الشائع من الفصيح .

جاء في (نشأة النحو) للاستاذ محمد الطنطاوي في تدوين قواعد البصريين أنه يرى فيها ما يلي :

١ - سلامة من أخذوا عنه من العرب المقطوع بعراقتهم في العروبة وصونهم فطرهم من تسرب الوهن فيها .

٢ - الثقة برواية ما سمعوه من طريق الحفظة والاثبات .

٣ - الكثرة الفياضة من هذا المسموع التي تخولهم القطع بنظائره(١) .

ويُذكر أن الكسائي وهو ناشر المذهب الكوفي ما كاد يستقر ببغداد حتى استمع الى الاعراب الذين فيها وحولها وهم أوشاب من مختلف القبائل غير العريقة في العروبة ، ومنهم أعراب الحطميات الذين قدموا بغداد وضربوا خيامهم في قطربل: (قرية من متنزهات بغداد اشتهرت باللهو والخمر) فاعتد بكلامهم واستشهد به وهم من زعانف العرب الذين اختبل لسانهم ، فازداد مذهبه ضعفا على ضعف. قال أبو زيد : « قدم علينا الكسائي البصرة فلقي عيسى والخليل وغيرهما وأخذ عنهم نحوا كثيراً ثم سار الى بغداد فلقي اعراب الحطميات فأخذ عنهم الفساد من الخطأ واللحن فأفسد بذلك ما كان أخذه بالبصرة كله(٢) .

---

(١) نشأة النحو ص ٩٩-١٠٠

(٢) معجم الأدباء - ترجمة الكسائي واخبار النحويين البصريين ، ترجمة أبي زيد ، نشأة النحو ص ١٠٩

وقد اقتفى الكوفيون طريق الكسائي فعولوا على شعر الاعراب بعد أن اختلطوا وتأشبوا بالمتحضرين ولان جفاؤهم ومن أجل هذا كان البصريون يغمزون الكوفيين فيقول الرياشي البصري : « نحن نأخذ اللغة عن حرشة الضباب وأكلة اليرابيع وهؤلاء أخذوا اللغة عن أهل السواد أصحاب الكواميخ وأكلة الشواريز ».

فأصاخوا - أي الكوفيون - الى كل مسموع لهم وقاسوا عليه فعثرت بهم مطية الرأي ولم يدققوا النظر تدقيق البصريين بل تدرجوا طاوعة لمناديهم الى الاكتفاء بالشاهد الواحد ، ولو خالف الأصل المعروف المتفق عليه بين الفريقين(١) .

ويقول في مكان آخر : « ان مذهب البصريين انما رجح لأنه نشأ على ملاحظة أمور ثلاثة لايراها الكوفيون :

١ - انهم يؤثرون السماع على القياس فلا يصيرون اليه الا اذا أعوزتهم الحاجة .

٢ - أنهم احتاطوا في أقيستهم فلم يدونوها الا بعد توفر اسباب الاطمئنان عليها بخلاف الكوفيين الذين تفككوا من قيودهم ولذا يقول السيوطي « اتفقوا على أن البصريين أصح قياساً لانهم لايلتفتون الى كل مسموع ولايقيسون على الشاذ»(٢).

٣ - انهم لايعولون على القياس النظري عند انعدام الشاهد الا فيما ندر جداً اما الكوفيون فطالما جنحوا اليه(٣) .

وذكر الأستاذ المرحوم طه الراوي ان « اجلى ماينماز به مذهب البصرية ابتناء قواعده على الاغلب الشائع من كلام العرب وتحكيم المقاييس العقلية في الكثير من شؤونه واذا اصطدم أصل من أصوله بسماع غير مشهور فزع الى التأويل والتوجيه أو رمي المسموع بالشذوذ او الندور بل التخطئة أحياناً .

(١) نشأة النحو ص ١١٠

(٢) الاقتراح ص ١٠٠

(٣) نشأة النحو ص ١٣١

أما مذهب الكوفيين فلواؤه بيد السماع لايخفر له ذمة ولاينقض له عهدا ويهون على الكوفي نقض أصل من أصوله ونسف قاعدة من قواعده ولايهون عليه اطراح المسموع على الاكثر »(١) .

وجاء في (القواعد النحوية) ان البصريين « يقفون عند الشواهد الموثوق بصحتها الكثيرة النظائر ولذا كانت أقيستهم وقواعدهم أقرب الى الصحة وكانوا يؤولون ماورد مخالفاً للقواعد ويحكمون بأنه شاذ أو مصنوع . . .

أما الكوفيون فانهم « أسلس خطة في النهج العلمي . . . فهم يعتمدون على الشعر المصنوع والمنسوب لغير قائله دون أن يهتموا بالتمحيص ويكتفون بالشاهد الواحد فيبنون عليه حكمهم ويستنبطون القاعدة بل انهم يرخصون القياس النظري على مقتضى الرأي اذا اعوزتهم الشواهد فيصلون الى القاعدة دون اعتماد على شاهد »(٢) .

وذكر الأستاذ الشلبي ان من السمات العامة للمذهب البصري :

(١) انه يعتد بالكثرة .

(٢) ثم هو لايقيس على الشاذ ولايعتد بالقليل(٣) .

وذكر ان البصريين أصدروا أحكامهم على الأعم والأغلب . واما ماعدا ذلك من المسائل فأما أن يؤولوه حتى يوافق مذهبهم وأما ألا يعتدوا به فلا يقيسوا عليه بل يحكموا عليه بالشذوذ وهذه نزعة البصريين من قديم . أما الكوفيون فكانوا يعتدون بالشواهد الفردية وان لم يرد غيرها في كلام العرب ويقيسون عليها فاذا سمعوا لفظاً في شعر أو نادراً في كلام جعلوه باباً ولو سمعوا بيتاً واحدا فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلا وبوبوا عليه(٤) .

---

(١) نظرات في اللغة والنحو ص ١١

(٢) القواعد النحوية لعبد الحميد حسن ص ٧٥

(٣) أبو علي الفارسي ص ١٠٦

(٤) الاقتراح ص ١٧ ، ٨٤ ،طبقات الزبيدي ٢ / ٢٨٤ ،الهمع ١ / ٤٥ ، ابو علي الفارسي ص ٤٤٠

وقال في مكان آخر : « ان كان من فرق بين البصريين والكوفيين فهو في ان البصريين كانوا يقيسون على الكثير الشائع أما الكوفيون فلا يرون بأساً من القياس على الشاذ الذي لايجوز الا في الضرورة ويجعلونه أصلا »(١) .

وجاء في (الاقتراح) ان الاندلسي(٭) قال في (شرح المفصل) «الكوفيون لو سمعوا بيتاً واحداً فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلا وبوبوا عليه بخلاف البصريين(٢) . قيل وأول من سن لهم هذه الطريقة شيخهم الكسائي . قال ابن درستويه : « كان يسمع الشاذ الذي لايجوز الا في الضرورة فيجعله أصلا ويقيس عليه فأفسد النحو بذلك »(٣) .

وكان البصريون يأنفون أن يرووا عن الكوفيين لضعفهم وتعلقهم بالشاذ وارتفاعهم عن البوادي الفصيحة وكانوا لايرون الاعراب الذين يحكون عنهم حجة في العربية لانهم غير خلص (٤) .

ويذكر الدكتور محمد أسعد طلس ان البصريين يقولون انه قد يخرج عن القياس شيء من كلام العرب ولكنه يظل مسموعاً ولايقاس عليه غيره ويقولون بحمل الأقل والأندر على الأعم الاكثر وهذا أولى من حمل الاعم الأكثر على الأقل الاندر . . .

وأما مدرسة الكوفة فقد كانت مدرسة تميل الى التوسع وعدم التقيد وكان رجالاتها يعتمدون على سعة روايتهم وكثرة محفوظهم كما كانوا لايتقيدون بالقواعد النحوية

---

(١) ابو علي الفارسي ص ٢١٩

(٢) الاقتراح ص ٨٤

(٭) لعل المقصود به : علم الدين قاسم بن احمد اللورقي الاندلسي المتوفى سنة ٦٦١ فان له شرحاً على المفصل سماه (الموصّل) (كشف الظنون ص ١٧٧٥) .

(٣) تاريخ آداب العرب ١ / ٣٧٠

(٤) المصدر السابق ١ / ٤٣٢

ويقولون ان كثيراً مما نظن انه شاذ عن الأسلوب العربي لمخالفته الاقيسة انما هو صحيح(١) .

وجاء في (مدرسة الكوفة) ان الكسائي وسع دائرة مصادره حتى الحق بهم اعراب سواد بغداد وهم عند البصريين من غير اهل الفصاحة وممن لايجوز الأخذ عنهم(٢) .

وقال الاستاذ محمد الخضر حسين : « والمعروف في علم النحو ان الكوفيين يعتدون بما ورد من الكلمات الشاذة ويعملون بالقياس عليها والبصريين يمتنعون من القياس على الشاذ . ويذهبون في مثله الى ان قائله نحا به نحواً خلاف مايظهر منه ويردونه الى الاصل المعروف عندهم على طريق التأويل »(٣) .

وذكر الاستاذ ابراهيم أنيس ان البصريين اقتصروا « على جواز القياس على المشهور الشائع وأبوا القياس على القليل النادر في حين ان الكوفيين قد أجازوا القياس على الشاهد الواحد والشاهدين .

أما الكوفيون فقد توسعوا في القياس وأباحوا النسج على القليل النادر فلا يكادون يرون في الاساليب المروية شذوذاً بل طرقاً متباينة لنا أن نتخذ منها مانشاء وأن نترسم منها ما نشاء »(٤) .

وذكروا امثلة من القياس الكوفي فمن ذلك :

١ ـ انهم استشهدوا بشطر بيت لايعرف شطره الآخر ولا يعلم قائله واتخذوه دليلا على جواز دخول اللام في خبر لكن وهو :

• ولكنني من حبها لعميد •

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي المجلد ٣١ ج ٣ / ٤٦٨

(٢) مدرسة الكوفة ص ١١٦

(٣) دراسات في العربية وتاريخها ص ٢٤

(٤) من اسرار اللغة ص ١٨ ، ٢٠

٢ ـ العدد على وزن مُفعال الى تسعة وهو غير مسموع ؛
٣ ـ تجويزهم تثنية أجمع وأكتع .
٤ ـ الجزم بكيف مطلقاً .
٥ ـ النصب بأن مضمرة في غير المسائل المعدودة .
٦ ـ عطف المفرد بلكن بعد الايجاب(١) .
فما موقف أبي الفتح من هذه الاسس ؟

يتضح مما ذكرناه في رأيه في السماع والقياس أن أبا الفتح لايلتقي مع الكوفيين في ذلك ، وانما هو متفق الى أبعد الحدود مع البصريين ، فانه لايقبل المسموع المفرد الا بشروط سبق أن ذكرناها . ويقسم الاطراد والشذوذ الى أربعة أقسام :

١ ـ مطرد في القياس والاستعمال جميعا .

٢ ـ مطرد في القياس شاذ في الاستعمال كالماضي من يذر ويدع ؛

٣ ـ مطرد في الاستعمال شاذ في القياس نحو قولهم أخوص الرمث واستحوذ واستنوق .

٤ ـ شاذ في القياس والاستعمال جميعاً وهو كتتميم مفعول فيما عينه واو نحو ثوب مصوون(٢) .

ويرى ان الشيء اذا اطرد في الاستعمال وشذ عن القياس فلابد من السمع الوارد به فيه نفسه لكنه لايتخذ أصلا يقاس عليه غيره(٣) .

---

(١) الاقتراح ص ٢٧ ، الهمع ١/٢٦ ، ٢/١٧ ، ٢/٥٨ ، ٢/١٣٧ وانظر نشأة النحو ص ١١١ وما بعدها .

(٢) الخصائص ١/٩٨

(٣) الخصائص ١/٩٩

ويرى أن الشيء قد يكثر ولا يجوز القياس عليه كقولهم في ثقيف ثقفي وفي قريش قرشي وفي سُليم سلمي(١) .

ويرى أنه اذا تعارض السماع والقياس نطقت بالمسموع على ما جاء عليه ولم نقسه في غيره وذلك نحو قول الله تعالى (استحوذ عليهم الشيطان) فهذا ليس بقياس لكنه لابد من قبوله ... ثم انك من بعد لاتقيس غيره عليه(٢) .

الى آخر ما ذكرناه في رأيه في السماع والقياس ولا داعي لاعادته هنا .

وهو يطبق هذا الرأي الذي سجله بصورة عملية ومن ذلك :

١ ـ ما جاء في (الخصائص) في قول الشاعر :

• جادت بكفي كان من ارمى البشر •

قال : أي بكفي رجل أو انسان كان من ارمى البشر . وروى غير هذه الرواية ، روى « بكفي كان من ارمى البشر » بفتح ميم (من) أي بكفي من هو أرمى البشر و (كان) على هذا زائدة . ولو لم تكن فيه الا هذه الرواية لما جاز القياس عليه لفروده وشذوذه عما عليه عقد هذا الموضع . الا تراك لا تقول: مررت بوجهه حسن(٣) :

٢ ـ ماجاء في (التصريف الملوكي) في قول الشاعر :

الأرب مولود وليس له اب وذي ولد لم يَلْدَه أبوان

قال : اراد لم يلدْه فأسكن اللام لكسرتها والتقى ساكنان اللام والدال فحركت الدال لالتقاء الساكنين وفتحت لمجاورتها فتحة الياء وهذا شاذ لايقاس عليه(٤) .

---

(١) الخصائص ١/١١٦

(٢) الخصائص ١/١١٧

(٣) الخصائص ٢ / ٣٦٧

(٤) التصريف الملوكي ص٤٧

٣ ـ ماجاء في (سر الصناعة) أنه لشدة اتصال الجار بالمجرور قبح عندهم حذف الجار وتبقية جره بحاله الا فيما شذ عنهم . ومن ذلك ماحكاه سيبويه من قولهم في القسم مع الخبر لا الاستفهام وذلك قولهم : اللهِ لأقومن وحكى أبو العباس المبرد ان رؤبة قيل له : كيف أصبحت ؟ فقال خيرٍ عافاك الله اي بخير فحذف الباء وأنشدوا قول الشاعر :

رسمِ دار وقفت في طللـه | كدت أقضي الغداة من جلله

أي رسم دار : فأما قولهم : لا ها الله ذا .. فانها صارت عندهم عوضا من الواو ألا تراها لاتجتمع معها كما صارت همزة الاستفهام في الله انك لقائم عوضا من الواو وهذا كأنه اسهل من الأول وكلاهما لايجوز القياس عليه(١) .

٤ ـ ماجاء في (الخصائص) أنه عقد بابا في (أغلاط العرب) وقد نسب الغلط اليهم افرادا وجماعات . فمن الأول ما أنشده أحمد بن يحيى :

غدا مالك يرمي نسائي كأنما | نسائي لسهمَي مالك غرضان
فيارب فاترك لي جهينة أعصراً | فما لك موت بالقضاء دهاني

قال : هذا رجل مات نساؤه شيئا فشيئا فتظلم من ملك الموت عليه السلام . وحقيقة لفظه غلط وفساد . وذلك أن هذا الاعرابي لما سمعهم يقولون : ملك الموت وكثر ذلك في الكلام سبق اليه أن هذه اللفظة مركبة من ظاهر لفظها فصارت عندهم كأنه (فَعل) لأن مَلكا في اللفظ على صورة فَلك فبنى منها فاعلا فقال : مالك موت وغدا مالك . فصار في لفظه كأنه فاعل ، وانما مالك هنا على الحقيقة والتحصيل مافل كما ان ملكا على التحقيق مفل واصله ملأك فالزمت همزته التخفيف فصار ملكا(٢) .

---

(١) سر الصناعة ١ / ١٤٩

(٢) الخصائص ٣ / ٢٧٣

ومع الثاني همزهم مصائب ومنائر ومزائــد . . . ومن أغلاطهم قولهم : حلأت السويق ورثأت زوجي بأبيات واستلأمت الحجر ولبأت بالحج(١) .

فأين هذا ممن يأخذ النص الشاذ ويجعله أصلا ويقيس عليه ؟

لقد اتضح اذن وضوحا لايقبل الشك أن أبا الفتح يعتمد الأسس البصرية في بحثه .

ب ـ اصطلاحاته النحوية :

من المعلوم أن للبصريين اصطلاحات نحوية خاصة تتميز عن غيرها وتميزهم عن غيرهم ، وخاصة الكوفيين ومن ذلك :

البصري	الكوفي
النعت	الصفة
البدل	الترجمة
الظرف	الصفة أو المحل
حروف الجر	حروف الخفض
الجر	الخفض
المصروف وغير المصروف	المجرى وغير المجرى
المتعدى	الواقع
واو المعية	واو الصرف
ضمير الشأن	ضمير المجهول
العطف	النسق

(١) المصدر السابق

الضمير والمضمر	الكناية والمكنى
اسم الفاعل	الفعل الدائم
اسم الفعل	ليس له اصطلاح ـ انما هو فعل عندهم
التمييز بين علامات الاعراب والبناء	عدم التمييز بين علامات الاعراب والبناء (١)

ومر بنا قول أبي حاتم ان تلك مصطلحات أهل بغداد (٢) .

وأبو الفتح يستعمل اصطلاحات البصريين فيما يبحث كما يبدو في جميع كتبه . قال : « اذا كان اسم الفاعل ـ على قوة تحمله للضمير ـ متى جرى على غير من هوله لم يحتمل الضمير . » (٣)

وجاء في (التمام) « ويجوز عندي ان يكون اياهم في موضع جر وان لفظه للضمير المنصوب . » (٤) فتراه هنا استعمل اصطلاحات الضمير والجر واسم الفاعل . ويقول في مكان آخر : « فهذا يقوي حكم الأسماء المضمرة » وقال : « لسنا ندعي ان كل اسم مضمر لا بد من أن يخلع عنه حكم الاسمية . » (٥) وجاء في (سر الصناعة) « فأما حذاق أصحابنا فلا يسمونها بذلك ـ يعني زوائد ـ بل

(١) الهمع ١ / ٥٦ ، ٦٨ ، الرضي على الكافية ج ٢ / ٣ ، الاشموني ٣ / ١٩٥ لأسماء الافعال والاصوات) ، نشأة النحوص ١١٩ ، مدرسة الكوفة ص ٢٥٧ ، ٣٠٨ ، ٣١٠

(٢) مراتب النحويين ص ١٠١ ـ ١٠٢

(٣) الخصائص ١ /١٨٦

(٤) التمام ص ٣٢

(٥) الخصائص ٢/ ٢٩١

يقولون في الباء واللام انهما حرفا الاضافة وفي الكاف حرف جر وحرف تشبيه(١) وقال : « ان الواو والا يفارقان حروف الجر في ذلك » وقال : « أوصلوا الأفعال التي قبل حروف الجر الى الاسماء التي بعدها » (٢) .

وجاء في (الخصائص) : « لما اعقب الاضمار من العطف على الضمير المجرور »(٣)وجاء فيه « انه يجوز في المعطوف ما لا يجوز في المعطوف عليه » (٤) .

وجاء فيه : ـ ومن ذلك واو العطف فيها معنيان : العطف ومعنى الجمع(٥) .

وجاء فيه : ـ فان قلت فان البدل العامل عندك فيه(٦) .

وجاء فيه : ـ فان قلت فكيف يجوز لليس أن تعمل في الظرف وليس فيها تقدير حدث(٧) .

وجاء فيه : ـ وعليه باب مالاينصرف ، ألا تراهم لما شبهوا الاسم بالفعل فلم يصرفوه ، كذلك شبهوا الفعل بالاسم فأعربوه(٨) .

وجاء فيه في باب (المعلول بعلتين) قال : وهو باب مالاينصرف وذلك ان

---

(١) سر الصناعة ١ / ١٣٧

(٢) سر الصناعة ١ / ١٤٣

(٣) الخصائص ٢ / ١٩

(٤) الخصائص ٢ / ٢٠ وانظر ايضاً (شرح اللمع لابن جني) لسعيد بن الدهان ص ٩ ، ١٠ ، ١٣

(٥) الخصائص ٢ / ١٩٦

(٦) الخصائص ٢ / ٤٢٧

(٧) الخصائص ٢ / ٤٠٠

(٨) الخصائص ١ / ٦٣

علة امتناعه من الصرف انما هي لاجتماع شبهين فيه من اشباه الفعل(١) .

وجاء في (سر الصناعة) : ان ابا الحسن كان يذهب في المفعول معه الى ان انتصابه انتصاب الظرف(٢) .

وجاء في (التمام) في قول الشاعر :

وردنا الفضاض قبلنا شيّماتنا　　　بأرعن ينفي الطير عن كل موقع

في وردنا بدل البعض « وقال » انما لايجوز البدل من ضمير المتكلم اذا كان بدل الكل(٣) .

ويعقد في الخصائص بابا في تسمية الفعل قال فيه : ان العرب قد سمت الفعل بأسماء لما سنذكره ، وذلك على ضربين : احدهما في الأمر والنهي والآخر في الخبر .

الاول منهما نحو قولهم : صه فهذا اسم اسكت ومه فهذا اكفف . »(٤)

وفي مكان آخر يقول : « واما اتباع العلماء العرب فى هذا النحو فكقول سيبويه : « ومن العرب من يقول : لبّ فيجره كجر أمس وغاق » ألا ترى انه ليس فى واحد من الثلاثة جر إذ الجر اعراب لابناء وهذه كلها مبنية لا معربة فاستعمل لفظ الجر على معنى الكسر كما يقولون فى المنادى المفرد المضموم : انه مرفوع وكما يعبرون بالفتح عن النصب وبالنصب عن الفتح وبالجزم عن الوقف وبالوقف عن الجزم »(٥) .

---

(١) الخصائص ١ / ١٧٧

(٢) سر الصناعة ١ / ١٤٤

(٣) التمام ص ٢٠

(٤) الخصائص ٣ / ٣٤

(٥) الخصائص ٢ / ٤٦٩

الى غير ذلك من مصطلحات البصريين التي يستعملها في كتبه .

ج - مع من يعد نفسه ؟

ان الناظر في كتب أبي الفتح لا شك واجد انه يعد نفسه من البصريين لا من البغداديين ولا من غيرهم ومن ذلك ما يلي :

١ - جاء في (الخصائص) : « ولم يثبت أصحابنا « قنيت » وان كان البغداديون قد حكوها » (١) .

وأصحابه هنا هم البصريون فانهم هم الذين لم يثبتوا « قنيت » (٢) فهو كما ترى قد وضع نفسه بمعزل عن البغداديين .

وجاء فيه : « ومن ذلك قول البغداديين : ان الاسم يرتفع بما يعود عليه من ذكره نحو زيد مررت به ، واخوك اكرمته فارتفاعه عندهم انما هو لأن عائداً عاد عليه فارتفع بذلك العائد . واسقاط هذا الدليل أن يقال لهم : فنحن نقول زيد هل ضربته وأخوك متى كلمته ؟ ومعلوم أن ما بعد حرف الاستفهام لا يعمل فيما قبله »(٣) .

وقول البغداديين في هذه المسألة هو قول الكوفيين كما جاء في الانصاف(٤) وشرح والكافية(٥) وكما نسبه هو اليهم في موطن آخر(٦) .

---

(١) الخصائص ١ / ١٣٧

(٢) لسان العرب (قنا)

(٣) الخصائص ١٩٩/١

(٤) الانصاف مسألة ٥

(٥) الرضي على الكافية ٩٣/١

(٦) الخصائص ١٦٦/١

٣ ـ وجاء في لام (لعل) وكذلك اللام عندنا في (لعل) زائدة الا ترى أن العرب قد تحذفها قال :

• علّ صروف الدهر أو دولاتها(١) •

والمقصود بـ « عندنا » نحاة البصرة فان اللام الاولى زائدة عندهم(٢) بخلاف الكوفيين الذين يعدونها أصلية .

٤ ـ وجاء فيه : وليس كذلك اسم الفاعل والمفعول في افعلّ وأفعالّ اذا ضعف فيه حرفا علة بل ينفصل فيه اسم الفاعل والمفعول عندنا وذلك قول هذا رجل مرعوٍ وأمر مرعويّ اليه وهذا رجل مغزاو وهذا وقت مغزاوى فيه لكنه على مذهب الكوفيين لافرق بينهما »(٣) .

٥ ـ وجاء فيه : « وسمعت الشجري أبا عبدالله غير دفعة بفتح الحرف الحلقي في نحو (يعدو) و (هو محموم) ولم أسمعها من غيره من عقيل فقد كان يرد علينا منهم من يؤنس به ولا يبعد عن الأخذ بلغته . وما أظن الشجري الا استهواه كثرة ما جاء عنهم من تحريك الحرف الحلقي بالفتح اذا انفتح ما قبله في الاسم على مذهب البغداديين نحو قول كثير :

له نَعَلٌ لاتطّبي الكلب ريحُها وان جعلت وسط المجالس شُمَّت

وقول أبي النجم :

وجبلاً طال معداً فاشمخر أشم لايستطيعه الناس الدهَر

وهذا قد قاسه الكوفيون وان كنا نحن لانراه قياساً(٤) .

---

(١) الخصائص ١/٣١٦

(٢) الانصاف مسألة ٢٦ والكافية ٢/٤٠٠

(٣) الخصائص ٢/١٠٤

(٤) الخصائص ٢/٩

٦ ـ وجاء فيه « وتابع ابوبكر البغداديين في ان الحاء الثانية في حثحثت بدل من ثاء وان أصله حثث ... وهـذا وان كان عندنا غلطا لابدال الحرف فانه شق آخر من القول »(١) .

ونسب هذا الرأي في مكان آخر الى الكوفيين قال : « فأما قول من قال في قول تأبط شرا :

كأنما حثحثوا حصا قوادمه ... أو أم خشف بذي شث وطباق

انه أراد : حثثوا فأبدلوا من الثاء الوسـطى حاء فمردود عندنا وانما ذهب الى هذا البغداديون ...

فأما الحاء فبعيدة من الثاء وبينهما تفاوت يمنع من قلب احداهما الى اختها وانما حثحث أصل رباعي وحثث أصل ثلاثي ... هذا هو الصواب وهو قول كافة أصحابنا على أن أبا بكر محمد بن السري قـد كان تابع الكوفيين وقال في هـذا بقولهم »(٢) .

٧ ـ وجاء في (الخصائص) « ولهـذا كان ما ذهب اليه أبو العباس من ان (الا) في الاستثناء هي الناصبة ... مردوداً عندنا »(٣) .

والقائلون بعمل الا في الاستثناء هم الكوفيون(٤) .

٨ ـ وجاء فيه : « وانشد البغداديون :

رَجلان من ضبة أخبرانا ... انا رأينا رجلا عريانا »(٥) .

فيفرد نفسه عنهم .

---

(١) الخصائص ٢/٥٤

(٢) سر الصناعة ١/١٩٧ ، ١٩٨

(٣) الخصائص ٢/٢٧٩

(٤) الانصاف مسألة ٣٤

(٥) الخصائص ٢/٣٣٨

٩ ـ وجاء فيه : « وأصحابنا يجيزون حذف خبر ان من المعرفة ويحكون عنهم اذا قيل لهم ان الناس الب عليكم فمن لكم ؟ قالوا : ان زيداً وان عمراً أي ان لنا زيداً وان لنا عمراً والكوفيون يأبون حذف خبرها الا مع النكرة »(١) . وأصحابه هنا هم البصريون فهم الذين يجيزون حذف خبر ان مع المعرفة .

١٠ ـ وجاء فيه : « ومن ذلك ما يدعيه الكوفيون من زيادة واو العطف نحو قول الله عز وجل (حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها) قالوا : الواو هنا زائدة مخرجة عن العطف والتقدير عندهم فيها : حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها ، وزيادة الواو أمر لا يثبته البصريون لكنه عندنا على حذف الجواب »(٢) .

وهو في غنى عن التعليق .

١١ ـ وجاء فيه : « ومن شاذ الهمز عندنا قراءة الكسائي (أئمة) بالتحقيق فيها فالهمزتان لا تلتقيان في كلمة واحدة الا ان تكونا عينين نحو سأّل وسأّار وجآر فأما التقاؤهما على التحقيق من كلمتين ضعيف عندنا وليس لحنا »(٣) . فهو يميز نفسه عن الكوفيين لا عن الكسائي وحده(٤) .

١٢ ـ وجاء فيه : وعلى نحوه انشاد الكوفيين :

• ألا يزجر الشيخ الغيور بناتَه •

وانشادهم ايضا :

فلما جلاها بالايام تحيزت ثباتا عليها ذلها واكتئابها

وأصحابنا لايرون فتح هذه التاء في موضع النصب(٥) وأصحابه الذين

(١) الخصائص ٢/٣٧٤

(٢) الخصائص ٢/٤٦٢

(٣) الخصائص ٣/١٤٣

(٤) الاشموني ٤/٢٩٩

(٥) الخصائص ٣/٣٠٤

لايجيزون ذاك هم البصريون أما الكوفيون فانهم يجيزونه(١) .

١٣ ـ وجاء في (سر الصناعة) : « ومثلها تولج وهو (فوعل) من ولج يلج كذا هو القياس في هذين الحرفين وأصله على قولنا وولج وتوارة . وتولج عند البغداديين تفعل »(٢) .

فهو كما ترى ميز نفسه عن البغداديين .

١٤ ـ وجاءفيه : « وقول البغداديين : اننانتصب الجواب على الصرف كلام فيه اجمال بعضه صحيح وبعضه فاسد . (يعني في نحو : ما انت بصاحبي فاكرمك) واما الصحيح فقولهم : الصرف اي ينصرف بالفعل الثاني عن معنى الاول ... فأما انتصابه بالصرف فخطأ ولابد له من ناصب مقتض له لأن المعاني لاتنصب الأفعال ... وكما ان الاسماء لاتنصب الا بناصب لفظي فكذلك الأفعال لاتنصب الا بناصب لفظي »(٣) وهو عنده أن المضمرة .

وهو رأي البصريين .

١٥ ـ وجاء في (المقتضب) : « وفي غالب ظني أن البغداديين حكوا نظيراً لمهوب حرفاً أو حرفين أحدهما مسور به من السير ...

وحكى البغداديون : فرس مقوود ورجل معوود من مرضه وحكوا أيضاً ثوب مصوون »(٤) .

فأفرد نفسه عنهم .

١٦ ـ وجاءفي (التصريف الملوكي) : « وحكى البغداديون فيماروينا عن أحمد ابن يحيى سو أفعل يريدونسوف أفعل »(٥) .

---

(١) الاشموني ٩٣/١ ، الرضي على الكافية ٢١٠/٢

(٢) سر الصناعة ١ / ١٦٢ وانظر شرح المفصل ١٠ / ٣٨

(٣) سر الصناعة ١ / ٢٧٦

(٤) المقتضب ص ٨

(٥) التصريف الملوكي ص ٤٥

١٧ ـ وجاء في (التمام) : « مذهب سيبويه في (شاء) ان عينها واو ولامها ياء ومذهب البغداديين ان عينها ولامها هاء . وقد تقصيت هذا الامر في كتابي في تفسير تصريف أبي عثمان وغيره من كلامي »(١) .

وجاء في (المنصف) قوله : « فالهاء في شاة للتأنيث والألف قبلها منقلبة عن الواو التي هي عين الفعل واللام محذوفة وهي هاء وسأدل على ذلك(٢) ...

فهو يخالف البغداديين ـ كما ترى ـ .

١٨ ـ وجاء في (المنصف) : « وغيره من أصحابنا ـ وهو أبو العباس ـ يذهب الى تحرك العين من « دم » لانه مصدر « دميت دمى » مثل « هويت هوى ... »(٣) .

فالمقصود بأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ، ولاشك ان المبرد بصري وقد عده من أصحابه فهو يعد نفسه بصريا على هذا .

١٩ ـ وجاء في (التمام) :

لكنه شاقه أن قيل ذا رجب ياليت عدة حولي كله رجبا

يحكى الكوفيون (ليت زيدا قائما) على ان ليت هي الناصبة للاسمين جميعاً ، والامر عندنا نحن بخلاف ذلك بل هي عندنا على بابها من نصب الاسم ورفع الخبر »(٤) .

---

(١) التمام ص ١٤
(٢) المنصف ١٤٤/٢
(٣) المنصف ١٤٨/٢
(٤) التمام ص ١٦٨

ورأيه في هذا رأي البصريين(١) .

٢٠ - وجاء في (التمام) :

فلما دنت م الأرض حتى تقربت | اليها وحتى طبقت بالكلاكل
وقاموا اليها بالولايا فشمرت | بها قردات النيّ شم الكواهل

قال : ولكن النظر في جواب (لما) اين هو ؟ فأما على مذهبنا فانه على حذف الجواب للعلم به . . . وأما على قول البغداديين فانه بمجيء على زيادة الواو »(٢) .

٢١ - وجاء في (المبهج) : « فقال لها أعيبتني باشر فكيف بدردور هكذا يرويه اصحابنا ويرويه الكوفيون فكيف بدردر(٣) .

٢٢ - وجاء في (المنصف) : « قال ابو الفتح : اختلف الناس أيضاً في ميّت وما كان نحوه فذهب اصحابنا الى انه « فيعِل » مكسور العين كأنه مَيْوِت.. وأما البغداديون فذهبوا الى انه « فيعَل » بفتح العين نقل الى « فيعِل » بكسرها »(٤) .

وهو يعني بقوله (اصحابنا) البصريين وهذا رأيهم كما جاء في (الانصاف)(٥) ،

٢٣ - وجاء فيه : « وأقول : ان الهمزة في (العواء) فيمن جعله فعلاء منقلبة عن الف التأنيث التي في عوى المقصورة لانها وقعت بعد الف المد فانقلبت بعدها همزة . . . وهو مذهب سيبويه ولا اعرف لاحد من اصحابنا فيه خلافاً الا اباالحسن فانه كان يرى ان الهمزة هنا زائدة غير منقلبة »(٦) .

---

(١) الرضي على الكافية ٢ / ٣٨٤

(٢) التمام ص ٢٤٠

(٣) المبهج ص ٤٠

(٤) المنصف ٢ / ١٥

(٥) الانصاف مسألة ١١٥

(٦) المنصف ٢ / ١٦٠

وأبو الحسن هذا هو أبو الحسن الأخفش وهو بصري - كما نعلم - وقد عده من اصحابه .

٢٤ - وجاء فيه : « قال ابو الفتح : اما قوله « شَمْعٌ وشَمَعٌ » فلغتان بلاخلاف واما مَعَز وشَعَر ونحوهما مما ثانيه حرف من حروف الحلق ففيه اختلاف .

فأما اصحابنا فلا فصل عندهم بينه وبين ما ثانيه حرف غير حلقي ... واما الكوفيون فيفصلون فيسلمون ماجاء وليس ثانيه حرفاً حلقياً كما سمع »(١) .

٢٥ - وجاء فيه : « سلقيته : يقول سلقاه : اذا القاه على قفاه وكذلك ايضاً : سلقه . قال الشاعر :

حتى اذا قلنا تيفع مالك سلقت رقية مالكاً لقفائه

« القفا وهو مقصور وليس ذلك عندنا من الضرورة كما يقول البغداديون ولكن المد فيه لغة »(٢) .

٢٦ - وجاء في (سر الصناعة) : « وقد تلا أبا الحسن - يعني الاخفش - في تعقب ما أورده سيبويه في كتابه جلة أصحابنا كأبي عمرو أبي عثمان وأبي العباس وغيرهم(٣) .

وهؤلاء الذين عدهم كلهم بصريون .

٢٧ - وجاء في (المبهج) : ومن أبيات الكتاب :

قد سالم الحياتُ منه القدما الافعوان الشجاع الشجعما

كذا نرويه نحن ، وروى البغداديون : « قد سالم الحياتِ منه القدما »(٤) .

ونكتفي بهذا خشية الاطالة .

---

(١) المنصف ٢ / ٣٠٥

(٢) المنصف ٣ / ٨

(٣) سر الصناعة ١ / ٦٧

(٤) المبهج ص ٤٠

فأنت ترى من هذه النصوص بما لايقبل الشك أن أبا الفتح يعد نفسه بصرياً لا كوفياً ولا بغدادياً وأنه وضع نفسه بمعزل عن الكوفيين والبغداديين ، وانه يقول بآراء البصريين فيما يبحث وهو مما لايدع مجالا للشك في أنـه بصري ومع ذلك سنخطو الخطوة الرابعة كما قررنا .

د ـ نماذج من دراساته في المسائل الخلافية :

ان ابا الفتح يقول برأي البصريين في ذوات الاغلبية العظمى من المسائل الخلافية . ونستطيع ان نعد مما ذكرناه آنفاً من النصوص من المسائل الخلافية التي قال فيها برأي البصريين كثيراً ومن ذلك :

١ ـ اسم الفاعل وهو عند الكوفيين فعل دائم .
٢ ـ اسم الفعل وهو عند الكوفيين فعل .
٣ ـ عدم اثبات (قنيت)
٤ ـ زيادة اللام الاولى في « لعل »
٥ ـ في فتح الحرف الحلقي مثل هو (محَموم)
٦ ـ اسم الفاعل والمفعول من افعلّ وافعالّ اذا ضعف فيه حرفا حلة
٧ ـ الحاء الثانية من حثحث
٨ ـ ناصب المستثنى ـ وقد خالف فيه الكوفيين
٩ ـ حذف خبر ان المعرفة
١٠ ـ زيادة واو العطف
١١ ـ تحقيق الهمزتين في الكلمة الواحدة
١٢ ـ فتح تاء المؤنث السالم
١٣ ـ أصل « تولج » ـ خالف فيه البغداديين
١٤ ـ أصل (شاء) ـ خالف فيه البغداديين
١٥ ـ ليت ونصبها الجزئين

١٦ـ وزن (ميت) ونحوه

١٧ـ الهمزة في (عواء)

وغير ذلك مما هو مثبت مذكور آنفا . ومما لم اذكره .

١٨ـ المصدر أصل والفعل فرع عليه : جاء في (الخصائص): « وقد دعاهم ايثارهم لتشبيه الأشياء بعضها ببعض أن حملوا الاصل على الفرع الا تراهم يعلون المصدر لاعلال فعله ويصححونه لصحته وذلك نحو : قمت قياما وقاومت قواما ، فاذا حملوا الاصل الذي هو المصدر على الفرع الذي هو الفعل فهل بقي في وضوح الدلالة على ايثارهم تشبيه الاشياء المتقاربة بعضها ببعض ؟ »(١) .

وجاء في المنصف : وهذا نظير قولهم « لذت لياذا » فأعلوا المصدر لاعتلال « لذت » ويقولون « لاوذت لواذا » فيصححون المصدر لصحة الفعل ، وهذا لايدل على ان المصدر مشتق من الفعل وان كان فى الاعتلال محمولا عليه ، لانهم قد أعلوا « يقوم » لاعتلال قام ، وليس أحد يقول ان « يقوم » مشتق من « قام »(٢) .

وقال أيضا « قد احطنا علما بأن الفعل انما يشتق من الحدث لامن الجوهر الا ترى الى قوله(*) (وأما الفعل فامثلة أخذت من لفظ احداث الاسماء) فاذا كان كذلك وجب ان يكون استنوق مشتقا من المصدر »(٣) . وقال « واذا ثبت أمر المصدر الذي هو الاصل لم يتخالج شك في الفعل الذي هو الفرع »(٤) .

---

(١) الخصائص ١/١١٣

(٢) المنصف ١/٦٥

(*) يعني سيبويه

(٣) الخصائص ١/١١٩

(٤) الخصائص ١/١٢١

وهذا رأى البصريين(١) . كما هو معلوم .

١٩ ـ رفع المبتدأ : جاء بالابتداء في (الخصائص) : « الاول منهما كرفع المبتدأ فاننا نحن نعتل لرفعه بالابتداء ... والكوفيون يرفعونه اما بالجزء الثاني الذي هو مرافعه عندهم . وأما بما يعود عليه من ذكره على حسب مواقعه »(٢) . وقال في مكان آخر : « وبعضه يأتي عاريا من مصاحبة لفظ يتعلق به كرفع المبتدأ بالابتداء »(٣) .

وهذا رأي البصريين(٤) .

٢٠ ـ عدم تحمل الخبر الجامد للضمير جاء في (سر الصناعة) : « فاذا قلت انت كزيد وجعلت الكاف اسماً فلا ضمير فيها كما انك اذا قلت : انت مثل زيد فلا ضمير في (مثل) كما لاضمير في الأخ ولا الابن اذا قلت : انت اخو زيد وانت ابن زيد(٥) .

وهذا رأي البصريين(٦) .

٢١ ـ عدم تحمل اسم الفاعل للضمير اذا جرى على غير من هوله : جاء في (الخصائص) : « ومن الاعتلال لهم بأفعالهم ان تقول : اذا كان اسم الفاعل ـ على قوة تحمله للضمير ـ متى جرى على غير من هوله ـ صفة أو صلة أو حالا أو خبراً ـ لم يحتمل الضمير كما يحتمله الفعل فما ظنك بالصفة المشبهة باسم الفاعل نحو قولك :

---

(١) الانصاف ـ مسألة ٢٨ ، اسرار العربية ص ١٧١

(٢) الخصائص ١ / ١٦٦

(٣) الخصائص ١ / ١٠٩

(٤) الانصاف مسألة ٥ ،شرح ابن عقيل ١ / ١١٣ ، الاشموني ١ / ١٩٣ ، شرح الكافية ١ / ٩٢ ـ ٩٣

(٥) سر الصناعة ١ / ٢٩٠

(٦) الانصاف مسألة ٧ ، الاشموني ١ / ١٩٧

زيد هند شديد عليها هو إذا أجريت (شديداً) خبراً عن (هند) . (١)

وهو رأي بصري(٢) .

٢٢ ـ تأخير الفاعل عن رافعه : جاء في (الخصائص) : « فانك تقول : زيد ضرب عمرا والفاعل مضمر في نفسك لا موجود في لفظك . » (٣) وقال في مكان آخر منه « وان الفاعل عندهم انما هو كل اسم ذكرته بعد الفعل وأسندت ونسبت ذلك الفعل الى ذلك الاسم(٤) .

وجاء فيه « وكذلك قولنا زيد قام : ربما ظن بعضهم ان زيداً هنا فاعل في الصنعة كما انه فاعل في المعنى . » (٥) وقال : « فكما لا يجوز تقديم الفاعل على الفعل فكذلك لا يجوز تقديم المميز اذا كان هو الفاعل في المعنى »(٦).

وهو رأي البصريين(٧) .

٢٣ ـ ناصب المفعول به : يرى ان ناصبه الفعل وحده لا الفاعل ولا الفعل والفاعل معا كما ذهب اليه هشام(٨) .

وهو رأي بصري(٩) .

---

(١) الخصائص ١ / ١٨٦

(٢) الانصاف مسألة ٨ ، شرح ابن عقيل ١ / ١١٧ ، الاشموني ١ / ١٩٨ ، حاشية الصبان ١ / ١٩٨ ، الرضي على الكافية ١ / ١٠٣

(٣) الخصائص ١/١٠٣

(٤) الخصائص ١ / ١٨٥

(٥) الخصائص ١ / ٢٧٩

(٦) الخصائص ٢/٣٨٤

(٧) الأشموني ٢/٤٥ـ٤٦ ، حاشية الصبان ٢/٤٥ ، شرح ابن عقيل ١/٢٦٦

(٨) الخصائص ١/١٠٣ ـ ١٠٤

(٩) الانصاف مسألة ١١ ، الرضي على الكافية ١/١٣٧

٢٤ ـ النصب بان مضمرة بعد واو المعية ،(١) وهو رأي البصريين(٢) .

٢٥ ـ النصب بأن مضمرة بعد فاء السببية : جاء في (سر الصناعة) : ـ واعلم ن الفعل بعد هذه الفاء اذا كانت جوابا منتصب بأن مضمرة وانما اضمرت (ان) ههنا ونصب بها الفعل من قبل انهم تخيلوا في أول الكلام معنى المصدر ، فاذا قال : زرني فأزورك فكأنه قد قال : لتكن منك زيارة فزيارة مني(٣) .

وهو رأي البصريين(٤) .

٢٦ ـ النصب بأن مضمرة بعد حتى : قال في (الخصائص) فمن ذلك قول سيبويه في بعض الفاظه : حتى الناصبة للفعل يعني في نحو قولنا : اتق الله حتى يدخلك الجنة . فاذا سمع هذا من يضعف نظره اعتدها في جملة الحروف الناصبة للفعل وانما النصب بعدها بأن مضمرة(٥) .

وهو رأي البصريين(٦) .

٢٧ ـ « أفعل » التعجب فعل : جاء في (المنصف) : قال أبو الفتح : انما أشبه فعل التعجب الاسماء لانه لايتصرف كما ان الاسماء كذلك . فلذلك صحح فقيل : « ما أقومه » وأنت لاتقول « أقوم زيد عمراً » في معنى أقامه . ومن هنا لحقه التحقير كما يلحق الاسماء في قولهم « ما أميلحه »(٧) .

---

(١) الخصائص ٢٦٣/١ ، سر الصناعة ٢٧٤/١ وما بعدها وانظر الرقم ٣١ ، شرح اللمع ٦٩

(٢) الانصاف مسألة ٧٥ ، الاشموني ٣٠٨/٣ ، الرضي على الكافية ٢٦٦/٢

(٣) سر الصناعة ٢٧٣/١

(٤) الانصاف مسألة ٧٦ ، الاشموني ٣٠٥/٣ ، شرح الكافية ٢٦٦/٢

(٥) الخصائص ٢٦٠/٣ ، انظر شرح اللمع ص ٦٩-٧٧

(٦) الاشموني ٢٩٦/٣ ، ٢٩٨ ، الانصاف مسألة ٨٣ ، شرح الكافية ٢٦٦/٢

(٧) المنصف ٣١٦/١ ، شرح اللمع ص ٩٣

وهذا رأي البصريين(١) .

٢٨ - التعجب من السواد والبياض : جاء في (الخصائص) : « فأما قولهم : ما أشد سواده وبياضه وعوره وحوله فما لابد منه »(٢) .

وهو رأي البصريين(٣) .

٢٩ - « اسم » من سموت : جاء في (التصريف الملوكي) في باب حذف الواو : « ومنه اسم لأنه من سموت »(٤) .

وهو رأي البصريين(٥) .

٣٠ - عمل (ما) الحجازية : جاء في (الخصائص) : « اللغة التميمية في (ما) هي أقوى قياساً وان كانت الحجازية أسير استعمالا » . ثم ذكر انها غير مختصة كهل ثم قال : « الا انك اذا استعملت أنت شيئاً من ذلك فالوجه ان تحمله على ما كثر استعماله وهو اللغة الحجازية الا ترى القرآن بها نزل ؟ »(٦) أما الكوفيون فلا يعدونها عاملة ، ورأيه رأي البصريين(٧) .

٣١ - الجر بعد واو رب : جاء في (الخصائص : « وكذلك الواو التي تحذف معها (رب) في أكثر الامر نحو قوله :

• وقاتم الاعماق خاوي المخترق •

---

(١) الانصاف مسألة ١٥ ، أسرار العربية ١١٣ ، ١١٤ ، شرح الاشموني ٣/١٨ ، شرح الكافية ٢/٣٤٢

(٢) الخصائص ١/٢٦٩

(٣) الانصاف مسألة ١٦ ، شرح المفصل ٧/١٤٦

(٤) التصريف الملوكي ص ٤١

(٥) الانصاف مسألة ١ ، أسرار العربية ص ٤ ، شرح المفصل ١/٢٣

(٦) الخصائص ١/١٢٤-١٢٥

(٧) الانصاف ١/٩٧ مسألة ١٩ ، حاشية الصبان ١/٢٤٧ ، شرح الكافية ١/٢٩٣

غير ان الجر لرب لا للواو كما ان النصب في الفعل انما هو لـ « أن » المضمرة لا للفاء ولا للواو ولا لأو »(١) .

وهذا رأي البصريين(٢) .

٣٢ ـ ميم (اللهم) : جاء في (الخصائص) : « وتقول في ميم (اللهم) انها عوض من (يا) في أوله »(٣) .

وهو رأي البصريين(٤) .

٣٣ ـ الخبر في نحو « كل رجل وصنعته » : جاء في (الخصائص) : « ومن ذلك قولهم في قول العرب : كل رجل وصنعته ، وأنت وشأنك : معناه أنت مع شأنك ... والخبر محذوف للحمل على المعنى فكأنه قال : كل رجل وصنعته مقرونان وأنت وشأنك مصطحبان »(٥) .

وهو رأي البصريين(٦) .

٣٤ ـ تقدم جواب الشرط : جاء في (الخصائص) : « ومن ذلك قولهم : أنت ظالم ان فعلت . ألا تراهم يقولون في معناه ان فعلت فأنت ظالم ، فهذا ربما أوهم ان (أنت ظالم) جواب مقدم ومعاذ الله أن يقدم جواب الشرط عليه ، وانما قوله (أنت ظالم) دال على الجواب وساد مسده ، فأما أن يكون هو الجواب فلا »(٧) .

---

(١) الخصائص ١/٢٦٣

(٢) الانصاف مسألة ٥٥ ، الاشموني ٢/٢٣٣ ، مغني اللبيب ـ الواو ٢/٣٦١

(٣) الخصائص ١/٢٦٥ ، شرح اللمع ص ٤١

(٤) الانصاف مسألة ٤٧ ، الاشموني ٣/١٤٦-١٤٧

(٥) الخصائص ١/٢٨٣

(٦) الاشموني ١/٢١٧ ، شرح الكافية ١/١١٥

(٧) الخصائص ١/٢٨٣

وهو رأي البصريين(١) .

٣٥ ـ العطف على الضمير المجرور : جاء في (الخصائص) : « وعلى نحو من هذا تتوجه عندنا قراءة حمزة وهي قوله سبحانه « واتقوا الله الذي تساءلون به والارحامِ » ليست هذه القراءة عندنا من الابعاد والفحش والشناعة والضعف على ما رآه فيها وذهب اليه أبو العباس(٢) بل الامر فيها دون ذلك وأقرب وأخف والطف . وذلك ان لحمزة ان يقول لأبي العباس : انني لم أحمل (الارحام) على العطف على المجرور المضمر بل اعتقدت ان تكون فيه باء ثانية حتى كأني قلت : (وبالارحامِ) ثم حذفت الباء لتقدم ذكرها »(٣) . ورأيه في منع العطف على الضمير المجرور رأي البصريين(٤) .

٣٦ ـ لام الابتداء : جاء في (الخصائص) : « ومن ذلك قولهم : ان زيدا لقائم فهذه لام الابتداء وموضعها أول الجملة وصدرها لا آخرها وعجزها »(٥) . وهو مصطلح بصري لم يعرفه الكوفيون وانما عندهم لام القسم(٦) .

٣٧ ـ ترجيح اعمال الثاني من المتنازعين : جاء في (الخصائص) في قوله :

قد جربوه فما زادت تجاربهم ... ابا قدامة الا المجد والفنعا

قال : « وقد يجوز ان يكون (ابا قدامة) منصوباً بزادت . . . والوجه ان

---

(١) الاشموني ٤/١٥ ، شرح الكافية ٢/٢٨٥

(٢) يعني المبرد ـ انظر الكامل ٦/١٥٥ ، شرح المفصل ٣/٧٨ ـ حاشية الخصائص ١/٢٨٥

(٣) الخصائص ١/٢٨٥

(٤) الانصاف مسألة ٦٥ ، الاشموني ٣/١١٤

(٥) الخصائص ١/٣١٤

(٦) الانصاف مسألة ٥٨ ، مدرسة الكوفة ص ٣٠٧

ينصب بـ (تجاربهم) لأنه العامل الأقرب »(١) . وقال « في هذا تقوية لاعمال الثاني من الفعلين لأنه هو الأقرب اليك دون الأبعد عنك . فأعرف هذا(٢)» وهو رأي البصريين(٣) .

٣٨ ـ حذف الفعل بعد اذا الشرطية في الجمل المفسرة : جاء في (الخصائص): « وكذلك (اذا السماء انشقت) . . . ونحوه الفعل فيه مضمر وحده أي اذا انشقت السماء »(٤) .

وهو رأي البصريين(٥) .

٣٩ ـ الاستثناء يضارع البدل : جاء في (الخصائص) : « ولا يجوز تقديم المستثنى على الفعل الناصب له . لو قلت : الا زيداً قام القوم لم يجز لمضارعة الاستثناء البدل ، الا تراك تقول ماقام احد الا زيداً والا زيد والمعنى واحد(٦) .

وهو رأي بصري(٧) .

٤٠ ـ تقديم خبر ليس عليها : جاء في (الخصائص) : « ومما يصح ويجوز تقديمه خبر المبتدأ على المبتدأ نحو : قائم اخوك وفي الدار صاحبك . وكذلك خبر كان واخواتها على اسمائها وعليها انفسها . وكذلك خبر ليس نحو : زيداً ليس

---

(١) الخصائص ٢ / ٢٠٩

(٢) الخصائص ٢ / ٣٤٤

(٣) الاشموني ٢ / ١٠١ ، ١٠٢ ، شرح ابن عقيل ـ باب التنازع ، شرح قطر الندى وبل الصدى ص ١٩٩ ، الانصاف مسألة ١٣

(٤) الخصائص ٢ / ٣٨٠

(٥) الانصاف مسألة ٨٥

(٦) الخصائص ٢ / ٣٨٢

(٧) الانصاف مسألة ٣٦

أخوك ومنطلقين ليس اخوالك(١) .

وهذا رأي البصريين(٢) .

٤١ ـ تقدم الحال على عاملها : جاء في (الخصائص) : « فان قلت فقد تقدم الحال على العامل فيها وان كانت الحال هي صاحبة الحال في المعنى نحو قولك راكباً جئت و (خشعاً ابصارهم يخرجون من الاجداث) .

قيل : الفرق ان الحال لم تكن في الأصل هي الفاعلة كما كان المميز كذلك »(٣) . وهو رأي البصريين(٤) .

٤٢ ـ خبر الأفعال الناقصة : جاء في (التمام) في قول الشاعر :

ولو انهم قالوا لقد كنت مرة   عرفت ولم انكر جواب المجاوب

قال : اراد كنت تحبهن فكيف تنهانا ، اذا استضعف من جهة السماع ومن طريق القياس جميعا حذف خبر (كان) وقلما مر بي منه ووجه ضعفه من قبل القياس ان خبر (كان) انما لزمها ليفاد منه الحدث المخترم منها »(٥) .

واطلاق اسم « الخبر » على المنصوب بكان مذهب البصريين اما الكوفيون فيعدونه حالا(٦) .

٤٣ ـ نعم وبئس فعلان : جاء في (المنصف) : « الا ترى ان أصل الأفعال ان تتصرف وقد منعوا نعم وبئس وحبذا وفعل التعجب التصرف لما ارادوا من

---

(١) الخصائص ٢ / ٣٨٢

(٢) الانصاف مسألة ١٨ ، الاشموني ١ / ٢٣٤

(٣) الخصائص ٢ / ٣٨٤

(٤) الانصاف مسألة ٣١ ، همع الهوامع ١ / ٢٤١ ـ ٢٤٢

(٥) التمام ص ١٧١

(٦) الانصاف مسألة ١١٩ ، حاشية الصبان ١ / ٢٢٦

شدة التوكيد في المعنى الذي أموه والنحو الذي قصدوه(١) .

وهو رأي البصريين فيهما وهما عند الكوفيين اسمان(٢) .

٤٤ ـ (أن) هو الضمير في (أنت) : جاء في (الخصائص) : « وكذلك ايضا في (انت) قد جردت الاسم وهو (أن) من معنى الحرفية وأخلصت التاء البقة بعده للخطاب »(٣) .

وهذا مذهب البصريين(٤) .

٤٥ ـ المنادى المفرد المعرفة مبني : جاء في (الخصائص) : « والمنادى المفرد المعـــرفة في الحاقه في البناء بالمضمر كالثلاثي في منع بعضه التصرف واهمـاله البتة(٥) . وقال في مكان آخر منه : « ألا ترى ان المنادى المفرد المعرفة قد كان اصله ان يعرب فلما دخله شبه الحرف لوقوعه موقع المضمر بني ولم يمنع من بنائه جريه معربا قبل حال البناء(٦) .

وهذا رأي البصريين(٧) .

٤٦ ـ اسم لا النافية للجنس مبني : جاء في (الخصائص) : « من ذلك قولهم لارجل عندك ولا غلام لك ، فـ (لا) هذه ناصبة اسمها وهو مفتوح الا ان الفتحة فيه ليست فتحة النصب التي تتقاضاها (لا) انما هذه فتحة بناء وقعت موقع فتحة

---

(١) المنصف ١ / ٢٤١ ، شرح اللمع ص ١٠٠

(٢) الانصاف مسألة ١٤ ، الاشموني ٣ / ٢٦

(٣) الخصائص ٢ / ١٩١ ومابعدها

(٤) الاشموني ١ / ١١٤ ، الكافية ٢ / ١٠ ـ ١١

(٥) الخصائص ١ /٦٣

(٦) الخصائص ١ / ١٦٩

(٧) الانصاف مسألة ٤٥

الاعراب الذي هو عمل (لا) في المضاف »(١) .

وهو رأي البصريين(٢) .

٤٧ ـ بناء فعل الامر : جاء في (الخصائص) : « الأفعال لاتبنى لمشابهتها الحروف . اما الماضي فلأن فيه من البناء مايكفيه وكذلك فعل الأمر العاري من حرف المضارعة نحو افعل »(٣)

وهذا رأي البصريين(٤) .

٤٨ ـ وزن (خطايا) : ذهب أبو الفتح الى أن وزنها (فعائل) وذكر خطوات ذلك حتى صارت (خطايا) فذكر ان لها ست مراتب وهي : خطايئ ثم خطائئ ثم خطائي ثم خطاءَي ثم خطاءا ثم خطايا(٥) .

وهذا رأي البصريين(٦) .

٤٩ ـ ان المخففة واللام الفارقة : جاء في (المنصف) : « وان وجدنا اكثرهم لفاسقين » معناه : انا وجدنا اكثرهم فاسقين فلما خففت ان جاءت اللام في الخبر لئلا تشبه التي فى قوله تعالى « ان الكافرون الا فى غرور »(٧) .

وتخفيف ان ودخول اللام بعدها للتفريق بينها وبين ان النافية هو رأي البصريين(٨) .

---

(١) الخصائص ٥٦/٣

(٢) الانصاف مسألة ٥٣

(٣) الخصائص ٨٣/٣ ، شرح اللمع ص ٥٨

(٤) الانصاف مسألة ٧٢ ، الاشموني ٥٨/١

(٥) الخصائص ٥/٣

(٦) الانصاف مسألة ١١٦

(٧) المنصف ج ٨/٣

(٨) الانصاف مسألة ٩٠ ، الهمع ١٤٢/١

٥٠ ـ تقديم الصلة الجار والمجرور على الموصول : جاء فى (المنصف) فى قول الشاعر :

كان جزائي بالعصا ان اجلدا

قال : « فأما ما انشده من قوله :

كان جزائي بالعصا ان اجلدا

ففيه نظر . وذلك ان معناه : كان جزائي ان اجلد بالعصا . فان قدمه على هذا التقدير فخطأ لان الباء فى صلة ان ومحال تقديم شيء من الصلة على الموصول . ولكنه جعل الباء تبيينا »(١) .

ومنع تقديم هذا النوع من الصلة هو رأي البصريين(٢) .

٥١ ـ مفعولا (ظن) : جاء في (الخصائص) : « وقد حذف أحد مفعولي ظننت وذلك نحو قولهم : أزيدا ظننته منطلقا ؟ فلما أضمرت الفعل فسرته بقولك: ظننته وحذفت المفعول الثاني من الفعل الاول المقدر اكتفاء بالمفعول الثاني الظاهر في الفعل الآخر وكذلك بقية أخوات ظننت(٣) .

وكون ظن تنصب مفعولين هو رأي البصريين(٤) .

٥٢ ـ تقديم التميز اذا كان عامله فعلا متصرفا : جاء في (الخصائص) : « ومما يقبح تقديمه الاسم المميز وان كان الناصبه فعلا متصرفا فلا تجيز شحما تفقأت ولا عرقاً تصببت .

فأما ما أنشده أبو عثمان ....

أتهجر ليلى للفراق حبيبها — وما كان نفسا بالفراق يطيب

---

(١) المنصف ١/١٣٠

(٢) همع الهوامع ١/٨٨

(٣) الخصائص ٢/٣٧٤

(٤) الانصاف مسألة ١١٩ ، همع الهوامع ١/١٥١

فتقابله برواية الزجاجي واسماعيل بن نصر وأبي اسحاق أيضا :

• وما كان نفسي بالفراق تطيب •

فرواية برواية(١) .

وهو رأي البصريين . (٢)

٥٣ ـ ناصب الاسم المشغول عنه : جاء في (الخصائص) : حذف الفعل على ضربين :

احدهما أن تحذفه والفاعل فيه ... وذلك نحو زيدا ضربته لأنك أردت ضربت زيدا فلما أضمرت (ضربت) فسرته بقولك ضربته(٣) .

وهو رأي البصريين(٤) .

٥٤ ـ عامل النصب في المفعول معه : جاء في (سر الصناعة) : وعلى ان ابا الحسن ـ يعني الاخفش ـ قد كان يذهب في المفعول معه الى ان انتصابه انتصاب الظرف . فكأن الواو الآن على مذهب ابي الحسن ليست موصلة لقمت الى زيد كما يقول كافة أصحابنا ، وانما هي مصلحة لزيد ان ينتصب بتوسطها انتصاب الظرف(٥) .

ونصب المفعول معه بالفعل بتوسط الواو هو رأي البصريين(٦) .

٥٥ ـ الضمير في (اياك) واخواتها : جاء في (سر الصناعة) : فكما ان

---

(١) الخصائص ٢/٣٨٤

(٢) الانصاف مسألة ١٢٠

(٣) الخصائص ٢/٣٨٤

(٤) الانصاف مسألة ١٢

(٥) سر الصناعة ١/١٤٤ ـ ١٤٥

(٦) الانصاف مسألة ٣٠

ماقبل التاء في أنت هو الاسم والتاء حرف خطاب فكذلك (ايا) هو الاسم والكاف بعدها حرف خطاب(١) .

وهو رأي البصريين(٢) .

ونكتفي بهذا القدر خشية الاملال .

فأية شبهة وأي شك أو ريبـــة في بصريته بعد هـــذه الأدلة المتضافرة على قوله بها !

الذي أراه انك توافقني على اننا نخرج من هذه الادلة بنتيجة واحدة هي أنه بصري المذهب حسب ، لابغدادي ولا كوفي ، الا اذا قلنا ان المذهب البغدادي هو المذهب البصري بمصطلحاته وأسسه ومسائله . ومع ذلك فالنصوص لاتسعفنا اذ هو لم يعد نفسه من البغداديين ولا من الكوفيين بل جعل نفســه بمعزل عنهم وارتضى لنفسه أن يكون من البصريين .

---

(١) سر الصناعة ١/٣١٣

(٢) الانصاف مسألة ٩٨

الباب الثامن

نماذج من دراساته النحوية

هذه نماذج من دراسات أبي الفتح النحوية تتناول مسائل مختلفة .

الكلام : جاء في (الخصائص) : اما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه . وهو الذي يسميه النحويون الجمل نحو : زيد اخوك وقام محمد وضرب سعيد وفي الدار أبوك وصه ومه ورويد وحاء وعاء في الأصوات وحسِّ ولبِّ واف وأوه فكل لفظ استقل بنفسه وجنيت منه ثمرة معناه فهو كلام(١) .

وهو في تعريفه لـ « الكلام » موافق للنحاة المتأخرين عنه في تعريفهم له . جاء في (اسرار العربية) : اما الكلام فلا ينطلق الا على المفيد خاصة(٢) . وفي (المفصل) : الكلام هو المركب من كلمتين اسندت احداهما الى الأخرى(٣) وفي (شرح الاشموني) : كلامنا أيها النحاة لفظ ... مفيد فائدة يحسن السكوت عليها(٤) .

فليس من خلاف في المدلول النحوي لهذا الاصطلاح :

القول : جاء في (الخصائص) : أما القول فأصله انه كل لفظ مذل به اللسان تاما كان أو ناقصا . فالتام هو المفيد ، أعني الجملة وما كان في معناها من نحو صه

---

(١) الخصائص ١/١٧

(٢) اسرار العربية ص٣

(٣) شرح المفصل ١/١٨ ـ ٢٠

(٤) شرح الاشموني ١/٢٠

وايه والناقص ما كان بضد ذلك نحو زيد ، ومحمد ، وان . . فكل كلام قول وليس كل قول كلاما »(١) .

وفي شرح (قطر الندى) : « المراد بالقول اللفظ الدال على معنى كرجل وفرس »(٢) . وفي (شرح المفصل) : « أما القول فهو من معنى الاسراع والخفة ولذلك قيل لكل ما مذل به اللسان وأسرع اليه تاما كان أو ناقصا قول »(٣) .

ومن الظاهر ان هذا التعريف انما عماده تعريف أبي الفتح السابق له . وليس من خلاف في مدلول هذا المصطلح النحوي كذلك .

النحو : جاء في (الخصائص) : « هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من اعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والاضافة والنسب والتركيب وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وان لم يكن منهم ، وان شذ بعضهم عنها رد به اليها »(٤) .

والملاحظ ان النحو بهذا المعنى شامل عام لايشمل النحو الاصطلاحي عند المتأخرين بل هو أوسع منه بكثير . فهو يقرر انه السير وفق لغة العرب في سائر أحوالها من اعراب وغيره ، وكلمة (غيره) عامة تشمل كل ما عدا الاعراب من صرف ولغة وبلاغة وسائر علوم اللغة الاخرى . ويضرب لذلك أمثلة بالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والاضافة وغيرها ، ومعلوم ان هذه ليست بحوثا نحوية بالمعنى الاصطلاحي للنحو - كما استقر مؤخرا - .

ومع ذلك فهو يذكر في (المنصف) أن خلافا بين النحو والتصريف واللغة

---

(١) الخصائص ١/١٧

(٢) شرح قطر الندى ص ١١

(٣) شرح المفصل ١/٢١

(٤) الخصائص ١/٣٤

ويذكر أن التصريف وسيطة بين النحو واللغة(١) . ويذكر غاية التصريف وموضوعه وغاية النحو وموضوعه كما هو عند المتأخرين . قال « فالتصريف انما هو لمعرفة أنفس الكلم الثابتة والنحو انما هو لمعرفة أحواله المتنقلة ، ألا ترى انك اذا قلت : قام بكرٌ ورأيت بكراً ومررت ببكرٍ فانك انما خالفت بين حركات حروف الاعراب لاختلاف العامل ولم تعرض لباقي الكلمة »(٢) ؟

فنلحظ من هذا أنه في التعريف الاول عمم وأطلق النحو على « علم العربية » وفي الثاني خصص فأطلقه على معرفة أحوال الكلم المتنقلة .

جاء في (شرح الاشموني) : « النحو في الاصطلاح هو العلم المستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصلة الى معرفة أحكام أجزائه التي ائتلف منها قاله صاحب القرب »(٣) . وعلق عليه بقوله : « فعلم ان المراد هنا بالنحو ما يرادف قولنا علم العربية لاقسيم الصرف » . وفي (حاشية الصبان) أن هذا اصطلاح القدماء واصطلاح المتأخرين تخصيصه بفن الاعراب والبناء وجعله قسيم الصرف وعليه فيعرف بأنه علم يبحث فيه عن أحوال أواخر الكلم اعراباً وبناء وموضوعه الكلم العربية من حيث ما يعرض لها من الاعراب والبناء(٤) .

وفي (حاشية الخضري على شرح ابن عقيل) انه يطلق على ما يعم الصرف تارة وعلى ما يقابله أخرى ويعرف على الاول بأنه علم بأصول مستنبطة من كلام العرب يعرف بها أحكام الكلمات العربية حال أفرادها وحال تركيبها وما يتبعها من بيان شروط لنحو النواسخ وحذف العائد وكسر ان وفتحها أو نحو ذلك وعلى الثاني يخص بأحوال التركيب(٥) » .

---

(١) المنصف ١/٤

(٢) المصدر السابق

(٣) شرح الاشموني ١/١٥ ، الاقتراح ص ٦

(٤) حاشية الصبان ١/١٦

(٥) حاشية الخضري ص ١٠

وقال صاحب البديع : النحو صناعة علمية يعرف بها أحوال كلام العرب من جهة ما يصح ويفسد في التأليف ليعرف الصحيح من الفاسد(١) .

وقال ابن السراج في الاصول : النحو علم استخرجه المتقدمون من استقراء كلام العرب(٢) .

وهو تعريف عام أيضا لا يقصد به النحو الاصطلاحي كما هو عند المتأخرين.

وفي كتاب (الحدود) للفاكهي : انه علم يعرف به أحوال أواخر الكلم اعرابا وبناء(٣) .

فأبو الفتح مع انه عرفه تعريفا عاما وأطلقه على علم (العربية) يحدد مرة ثانية له غايته ويعين موضوعه ويميزه عن علوم اللغة الاخرى كما فعل المتأخرون .

الاعراب: وذكر الاعراب فقال : « هو الابانة عن المعاني بالالفاظ الا ترى انك اذا سمعت اكرم سعيد اباه وشكر سعيداً أبوه علمت برفع احدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول ، ولو كان الكلام شرجا واحداً لاستبهم احدهما من صاحبه »(٤) ؟ ويرى ان الاعراب انما جيء به دالا على اختلاف المعاني قال « ألا ترى ان موضوع الاعراب على مخالفة بعضه بعضاً من حيث كان انما جيء به دالا على اختلاف المعاني »(٥) ؟ فهو يحدد الغاية من الاعراب والغرض الذي جيء به من اجله . ويذكر معناه اللغوي فيقول : « واما لفظه فانه مصدر أعربت عن الشيء اذا أوضحت عنه وفلان معرب عما في نفسه أي مبين له وموضح عنه »(٦) .

---

(١) الاقتراح ص ٦

(٢) المصدر السابق

(٣) احياء النحو ص ١

(٤) الخصائص ١/٣٥

(٥) الخصائص ١/١٧٥

(٦) الخصائص ١/٣٦

ونحن نلحظ ان تعريفه للاعراب ينطبق كذلك على تفسير الكلمات الصعبة بالفاظ تبين وتوضح معانيها ، كما ينطبق على كل لفظ يوضح معنى في النفس . فاذا أردت من شخص أن يقوم فقلت له : قم ، فهذا اعراب أو قلت له : صه فهذا اعراب فكل لفظ تنطق به توضح به معنى في نفسك اعراب ،ومعلوم أن هذاليس حد الاعراب النحوي . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى قد تكون الابانة عن المعاني بالحركات أو بالسكون أو بالحذف أو بالحرف أو التنوين أو حذفه فالحد غير جامع ولا مانع .

وفي (اسرار العربية) ان حد الاعراب (اختلاف أواخر الكلم باختلاف العوامل لفظاً أو تقديراً)(١) وفي (التسهيل) انه ماجيء به لبيان مقتضى العامل من حركة أو حرف أو سكون أو حذف(٢) . وفي (شرح قطر الندى) ان المعرب هو مايتغير آخره بسبب العوامل الداخلة عليه(٣) .

ويمكن القول بان أباالفتح لم يقصد الى حده النحوي بصورة دقيقة وانماقصد الى اعطاء معناه العام وعقد الصلة بين النسب اللغوي لهذه الكلمة وما اطلقت عليه في النحو .

وماذكره في غاية الاعراب والغرض الذي جيء به من أجله وهو انه انما جيء به دالا على اختلاف المعاني هو الرأي السليم والذي عليه ذوو الغالبية العظمى من النحاة ، ولم يذكروا له مخالفاً الا أبا علي قطربا فانه عاب عليهم هذاالاعتلال وقال : لم يعرب الكلام للدلالة على المعاني ، وانما أعربت العرب كلامها لأن الاسم في حال الوقف يلزمه السكون للوقف ، فلو جعلوا وصله بالسكون ايضاً لكان يلزمه الاسكان في الوقف والوصل ، فكانوا يبطئون عند الادراج فلما وصلوا

(١) اسرار العربية ص ١٩

(٢) شرح الأشموني ١/٤٧

(٣) شرح قطر الندى ص ١٣

وأمكنهم التحريك جعلنا التحريك معاقباً للاسكان ليعتدل الكلام(١) .

والرأي الذي عليه النحـاة هو الذي ينطبق على واقـع اللغة ، فلو لم يكن للعلاقات أثر في المعنى لالتبس الكلام واختلط وما التزم العرب أن ينطقوا بها على نظام خاص معروف ، ولكانت أية حركة تغني في ادراج الكلام وما كان لحن في الاعراب ، وهذا بأيسر حجة مردود . ومايقول صاحب هـذا الرأي في مثل قوله تعالى « ان الله بريء من المشركين ورسولُهُ » وقوله « انما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ » ونحوها لو غيرت حركة (رسوله) الى الكسرة وكلمة (الله) الى الضمة والعلماء الى الفتحة ؟ !

غير أن هذا الامر الذي لظهوره يكاد يكون بديهية يأتي في العصر الحديث من يخالفه وينكر الحقيقة اللغوية ويذهب الى ماذهب اليه قطرب وهو الاستاذ ابراهيم أنيس قال في كتابه (من أسرار اللغة) : « يظهر والله أعلم : أن تحريك أواخر الكلمات كان صفة من صفات الوصل في الكلام شعراً أو نثراً ، فاذا وقف المتكلم أو اختتم لم يحتج الى تلك الحركات بل يقف على آخر كلمة من قوله بمـا يسمى السكون . كما يظهر ، أن الاصل في كل الكلمات أن تنتهي بهذا السكون وان المتكلم لايلجأ الى تحريك الكلمات الا لضرورة صوتية يتطلبها الوصل »(٢) .

وقال في مكان آخر : « لم تكن تلك الحركات الاعرابية تحدد المعـاني في أذهان العرب القدماء كما يزعم النحاة بل لاتعدو أن تكون حركات يحتاج اليها في الكثير من الاحيان لوصل الكلمات بعضها ببعض »(٣) . ويبني هـذا الرأي على « ظن » و « مخالة » ويغفل ماجاء من نصوص واضحة صريحة بينة . قال في قول الشاعر :

أمن المنون وريبها تتوجع   والدهر ليس بمعتبٍ من يجزع

---

(١) الاشباه والنظائر ١/٧٨

(٢) من اسرار اللغةص ١٤٢

(٣) من اسرار اللغةص ١٥٨

نرجح ان الكسرة في آخر كلمة (معتب) سببها الانسجام مع الكسرة التي قبلها في « تاء » هذه الكلمة . اما كلمة « شاحباً » في البيت الثاني وهو :

قالت أميمة مالجسمك شاحباً منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع

فنرجح ان الكلمة قد نطق بها الشاعر « شاحب » بكسر الباء لتنسجم مع الحركة قبلها . ومن أيسر مايرد به قوله ويقطع عليه هذا الظن والمخالة قوله تعالى :

١ ـ وما الله بغافلٍ عما تعملون .

٢ ـ ولا تحسبن الله غافلا .

فلماذا حركت اللام في (غافل) الاولى بالكسرة والثانية بالفتحة لو أن الامر لايعدو الانسجام الموسيقي والضرورة الصوتية ؟

ونحوه قوله تعالى :

١ ـ انا وجدناه صابراً نعم العبد

٢ ـ اليس ذلك بقادرٍ على أن يحيي الموتى ؟

ولا نريد ان نكثر من ضرب الامثلة فالامر أوضح من أن يستكثر له من الشواهد .

وللزيادة في الايضاح نذكر مارآه المستشرقان E, Littmann و Noldke في اللهجة النبطية وهو أن اواخر الكلمات في هذه اللهجة قد يحدث فيها تغيير بحسب مواضعها في الاعراب .

وان النبط كانوا يستعملون الضمة في حالة الرفع والفتحة في حالة النصب والكسرة في جالة الجر (١) .

والنبطية أخت العربية فلما ذا يحدث التغيير فيها بحسب المواضع في الاعراب؟ والعربية يحدث التغيير فيها للانسجام الموسيقي ؟!

---

(١) دراسات في اللغة ـ ابراهيم السامرائي ص ١٠-١١

البناء : قال : « وهو لزوم آخر الكلمة ضربا واحدا من السكون أو الحركة لا لشيء أحدث ذلك من العوامل »(١) .

ولاشك في ان السكون والحركة ليستا العلامتين الوحيدتين للبناء بل الحرف كذلك نحو : يا رجلان ولا طالبين والحذف نحو اذهبوا وارم .

جاء في (أسرار العربية) أن حد البناء (لزوم أواخر الكلم بحركة وسكون)(٢) .

وفي (شرح الاشموني) ان البناء في اللغة وضع شيء على صفة يراد بها الثبوت . وأما في الاصطلاح فقال في (التسهيل) : ماجيء به لا لبيان مقتضى العامل من شبه الاعراب وليس حكاية أو اتباعا أو نقلا أو تخلصا من سكونين . وقيل هو لزوم آخر الكلمة حركة أو سكونا لغير عامل أو اعتلال(٣) .

وأبو الفتح يرى كسائر النحاة أن علة بناء الاسم شبهه بالحرف قال : « وليست علة بناء ما بني من الاسماء الا مشابهتها للحرف أو تضمنها معناه »(٤) . وقال : « ان سبب البناء ... مشابهة الاسم للحرف لاغير »(٥) .

ويرى أنه قد يجرد الاسم المبني من دلالته فيعرب كأن تقول ضرب مَنٌ مناً أي انسانٌ انسانا قال : أفلا تراه كيف جرد (من) من الاستفهام ولذلك اعربها ؟

---

(١) الخصائص ٣٧/١

(٢) أسرار العربية ص ١٩

(٣) الاشموني ٤٩/١-٥٠

(٤) التمام ص ١٤

(٥) الخصائص ١٧٩/١

ونحوه قولهم في الخبر : مررت برجل أيِّ رجل فجرد (أيا) من الاستفهام أيضا(١) .

ومما خالف فيه البصريين في البناء ما رآه في علة بناء أسماء الافعال ، ذكر ان البناء انما أتاها من قبل تضمن هذه الاسماء معنى لام الأمر ، لأن أصل ما صه اسم له ـ وهو اسكت ـ لتسكت(٢) . ويذكر غيره من النحاة أن علة بناء اسم الفعل هي نيابته عن الفعل في الفعل بلا تأثر بالعوامل ويسمى الشبه الاستعمالي ، فانه أي اسم الفعل يعمل نيابة عن الافعال ولا يعمل غيره فيه(٣) .

قال أبو الفتح : وأصل بناء هذه الكلم الموضوعة للامر عندي أنها تضمنت معنى لام الأمر ... فهذه علة بنائها الصريحة ولم يفصح أحد من أصحابنا هذا الافصاح وانما أكثر ما يقولون انها لوقوعها موقع فعل الأمر(٤) .

ويرى كسائر نحاة البصرة ان الاعراب أصل في الاسماء فرع في الافعال(٥). وان البناء فرع من الاسماء أصل في الافعال وان بناء ما بني من الاسماء لشبه الحرف أو تضمن معناه ـ كما مر ـ واعراب ما اعرب من الفعل انما هو لشبهه بالاسم كالفعل المضارع(٦) .

الفاعل : جاء في (الخصائص) ان الفاعل هو (كل اسم ذكرته بعد الفعل

---

(١) الخصائص ٢/١٧٩

(٢) الخصائص ٢/٣٠٠

(٣) الاشموني ١/٥٣

(٤) التمام ص ١٤

(٥) هذا رأى نحاة البصرة أما الكوفيون فقالوا ان الاعراب أصل فيهما ـ الهمع ١/١٥

(٦) الخصائص ١/٦٣

وأسندت ونسبت ذلك الفعل الى ذلك الاسم وان الفعل الواجب وغير الواجب في في ذلك سواء. (١)

ومن الملاحظات على هذا التعريف ان الفاعل - كما هو معلوم - لايأتي بعد الفعل وحده فمن ذلك: رأيت رجلا عالما اخوه، ومررت بقاع عرفجٍ كله، ومررت برجل أبي عشرة أبوه، ومررت بحية ذراعٍ طولها وبصحيفة طين خاتمها(٢).

وفي (الهمع) ان الفاعل «ما أسند اليه عامل مفرغ على جهة وقوعه منه أو قيامه به»(٣) وفي (شرح المفصل) انه الاسم المسند اليه فعل عن طريقة فعل أو شبهه وحكمه الرفع(٤).

وفي (شرح قطر الندى) ان الفاعل «اسم صريح أو مؤول به أسند اليه فعل أو مؤول به مقدم عليه بالاصالة واقعا منه أو قائما به» (٥):

المفعول: قال: وكذلك القول على المفعول انه انما ينصب اذا اسند الفعل الى الفاعل فجاء هو فضلة(٦).

ويقال فيه ماقيل فى الفاعل انه ليس عن طريق اسنادالفعل الى الفاعلحسب بل الفعل وشبهه نحو: عليك نفسك، والمهينُ زيداً له عقابه ونحو ذلك. وفي (اسرار العربية) انه كل اسم تعدى اليه فعل(٧).

---

(١) الخصائص ١/١٨٥

(٢) لاحظ هذه الامثلة في الخصائص ١/١٢٢

(٣) الهمع ١/١٥٩

(٤) شرح ابن عقيل - الفاعل

(٥) شرح قطر الندى ص ١٨١

(٦) الخصائص ١/١٨٥

(٧) اسرار العربية ص ٨٥

وفى (شرح شذور الذهب) هو ما وقع عليه فعل الفاعل كضربت زيداً(١).

وأرى أن التعريف السليم تعريف ابن الأنباري فى (أسرار العربية) مع اصلاح يسير فيكون : « كل اسم فضلة تعدى اليه فعل أو شبهه » .

فقولنا (فضلة) مخرج لنائب الفاعل فى نحو : ضرب زيد ، فقد تعدى اليه فعل ، ولكن الاسم هنا عمدة . وقولنا (شبهه) يشمل اسماء الافعال والمصادر والمشتقات ونحوها .

الممنوع من الصرف :

ويدخله فى باب المعلول بعلتين ، وذلك ان علة امتناعه من الصرف اجتماع شبهين فيه من اشباه الفعل . اما السبب الواحد فيقل عن أن يتم علة بنفسه حتى ينضم اليه الشبه الآخر من الفعل »(٢)

ويرى ان السبب الواحد وان لم يقو حكمه الى ان يمنع من الصرف فانه له تأثير فى تصويره الاسم على صورة ما بحيث اذا انضم له سبب آخر اعتونا معا على منع الصرف . ويرد قول من قال ان الاسم اذا منعه السببان الصرف فان اجتماع الثلاثة فيه يرفع عنه الاعراب ، قال : أنا نجد في كلامهم من الاسماء ما يجتمع فيه خمسة أسباب من موانع الصرف ، وهو مع ذلك معرب غير مبني . وذلك كامرأة سميتها باذربيجان فهذا اسم قد اجتمعت فيه خمسة موانع وهي التعريف والتأنيث والعجمة والتركيب ، والالف والنون . وكذلك ان عنيت بأذربيجان البلدة والمدينة لأن البلد فيه الأسباب الخمسة وهو مع ذلك كما ترى . فاذا كانت الأسباب الخمسة لاترفع الاعراب فالثلاثة أحجى بألا ترفعه وهذا بيان(٣) .

---

(١) شرح شذور الذهب ص ٢١٣

(٢) الخصائص ١/١٧٧

(٣) الخصائص ١/١٨٠

ومن أدلته السديدة القاضية بأن الممنوع من الصـرف يراعى فيه اللفظ قوله : لو سميت رجلا بـ « أنظر » لم تصـرفه معرفة ولو سميته بـ (أنظور) من قوله :

وانني حيثما يسري الهوى بصري   من حيثما سلكوا أدنو فأنظورو

لصرفته لزوال مثال الفعل وكذلك لو سميت بيذهب لم تصرفه معرفة فان مددت فقلت يذهاب صرفته وذلك ان باب ما لاينصرف انما يراعى فيه اللفظ(١).

وهو دليـل مقبول فانك اذا جعلته على وزن الفعل منعته الصـرف وان اخللت بهذا الوزن باشباع الحركة مثلا صرفته .

ويرى ان الاسباب المانعة من الصرف تسعة : واحـد منها لفظي وهو شبه الفعل لفظا نحو أحمد ويرمع وأثمـد وابلم واسـتبرق والثمانية الباقية كلها معنوية كالتعريف والوصف والعدل والتأنيث وغير ذلك(٢) .

وتقسيمه هـذا للعلل المعنوية واللفظية يختلف عن تقسيم النحاة المتأخرين القاضي بان العلل المعنوية هي العلمية والوصفية والباقية لفظية . فقد جاء في (شرح الاشموني) ان العلل المعنوية هي العلمية والوصفية وباقيها لفظي(٣) .

وفي (حاشية الخضري على شرح ابن عقيل) ان علل المنع من الصرف تسع ليس فيها معنوي سوى العلمية والوصفية وباقيها لفظي حتى التأنيث المعنوي لظهوره في اللفظ بتأنيث الضمير والفعل مثلا(٤) .

---

(١) المبهـج ص ٦٤

(٢) الخصائص ١/١٠٩

(٣) شرح الاشموني ٣/٢٣٠

(٤) حاشية الخضري ٢/٩٧

نماذج اعرابية :

١ - أمن أميمة لاطيف الم بنا   بجانب الفرع والاعراء قد رقدوا(١)

أراد : من أميمة طيف فزاد (لا) كما قال الهذلي (من الكامل)

أفمنك لابرق كأن وميضه

فزاد (لا) وهو كثير ، وأكثر ذلك مع النفي .. كقول الله سبحانه « لئلا يعلم أهل الكتاب » أي ليعلم وذلك لتوكيد النفي(٢) .

٢ - فأدّها ما استودعتك موفّرا   بأحسن ما كانت تؤدى الودائع

(بأحسن) في موضع نصب على المصدر كأنه قال : فأدّها ذلك أحسن ما تؤدى الودائع كقولك : قمت أحسن قيام ، وجلست أحسن جلوس فالباء على هذا زائدة(٣) .

٣ - فما كان عن يومين حتى تصدعوا   لبين كما انشق الرداء المصبّح(٤)

يجوز أن يكون (عن) زائدة حتى كأنه قال : فما كان يومان أي فلم يمض يومان حتى تصدعوا »(٥) .

وفي (المغني) انها تكون زائدة للتعويض من أخرى محذوفة كقوله :

أتجزع ان نفس أتاها حمامها   فهلا التي عن بين جنبيك تدفع

(١) الاعراء : القوم الذين لايهمهم الأمر ، واحد هم عرو

(٢) التمام ص ١٢٠ ، مغني اللبيب (لا) ٢٤٨/١

(٣) التمام ص ١٩٠

(٤) المصبح : المشقق

(٥) التمام ص ٢٤٦

قال ابن جني : أراد فهلا تدفع عن التي بين جنبيك فحذفت (عن) من أول الموصول وزيدت بعده (١) .

وهو موجود في التمام(٢) ونصه :

أتدفع عن نفس أتاها حمامها ....

وقد أغفل ابن هشام الشاهد الأول .

٤ ـ ولو أنهم قالوا لقد كنت مرة   عرفت ولم انكر جواب المجاوب

خرجه على حذف خبر كان أي أراد كنت تحبهن فكيف تنهانا ؟ وهو ضعيف من جهة السماع والقياس(٣) .

٥ ـ أزيد قام ؟

زيد مرفوع بفعل مضمر محذوف خال من الفاعل لأنك تريد أقام زيد ؟ فلما أضمرته فسرته بقولك قام(٤) .

وقد رجح النحاة هذا الاعراب ويجوز أن يعرب زيد مبتدأ(٥) .

٦ ـ تزود مثل زاد ابيك فينا   فنعم الزاد زاد أبيك زادا

قال : فزاد الزاد في آخر البيت توكيداً لاغير(٦) .

وقال ابن هشام : الصحيح ان (زادا) معمول لتزود ، اما مفعول مطلق ان

---

(١) المغني (عن) ١٤٩/١

(٢) التمام ص ٢٤٦

(٣) التمام ص ١٧١

(٤) الخصائص ٣٨٠/٢

(٥) الاشموني ، حاشية الصبان ٨٦/٢

(٦) الخصائص ٨٣/١

اريد به التزود أو مفعول به ان اريد به الشيء الذي يتزوده من افعال البر(١) .

٧ ـ فلست بالاكثر منهم حصى وانمـا العزة للكاثر

(من) ـ هنا ـ انما هي كالتي في قولنا انت من الناس حر ، وهذا الفرس من الخيل كريم فكأنه قال : لست من بينهم بالكثير الحصى(٢) .

وأول اضافة الى هذا بزيادة (أل) أو انها معرفة و (من) متعلقة بـ (أكثر) منكراً محذوفاً مبدلا من المذكور(٣) .

٨ ـ قول الله تعـالى « فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين » ينبغي ان يكون (خاسئين) خبراً آخر لكونوا ، والأول (قردة) . . وان جعلته وصفاً صغر معناه ألا ترى ان القرد لذله وصغاره خاسيء أبداً فيكون اذن صفة غير مفيدة . واذا جعلت (خاسئين) خبراً ثانياً حسن وأفاد حتى كأنه قال : كونوا قردة وكونوا خاسئين(٤) .

ويرى قسم من النحاة انه لايصح تعدد خبرها(٥) .

٩ ـ فالا يكن مال يثاب فانه سيأتي ثنائي زيداً ابن مهلهل

« الوجه أن يكون (ابن مهلهل) بدلا من زيد لاوصفاً له لانه لو كان وصفاً لحذف تنوينه فقيل زيد بن مهلهل »(٦) .

وذلك لأن البدل عندهم على نية تكرار العامل(٧) . بخلاف النعت فكأنه

---

(١) مغني اللبيب ٢/٣٦٣ ـ ٣٦٤

(٢) الخصائص ١/١٨٥

(٣) شرح الأشموني،حاشية الصبان ٣/٤٧ ،المغني ٢/٥٧٢ ، شرح الكافية٢/٢٣٨

(٤) الخصائص ٢/١٨٥

(٥) همع الهوامع ١/١١٤

(٦) الخصائص ٢/٤٩١

(٧) لاحظ الأشموني ٣/٥٩ ، مغني اللبيب ٢/٤٥٨

قال : سيأتي ثنائي زيداً سيأتي ابن مهلهل .

١٠ ـ أحقاً انكم لما قتلتم   ندامای الكرام هجوتموني ؟

(أن) مرفوعة الموضع بالظرف الذي هو حقاً ، وذلك أن (حقاً) هذه في الأصل انما هي مصدر ، حققت الأمر حقاً ثم انه استعمل استعمال الظرف فرفع ان كما يرفعها الظرف من قولك (في غالب ظني انك منطلق)(١)

ويرى المبرد أن (حقا) مصدر لحق محذوفاً وان وصلتها فاعل(٢) . وهو رأي وجيه . وماذكره ابن جني رأي سيبويه والجمهور(٣) .

١١ ـ يادار أعرفها وحشاً منازلها   بين القوائم من رهط فألبان(٤)

ليس قوله (أعرفها) وصفاً لدار ، وذلك أن الجملة نكرة ودار هـذه مخصوصة لقصدك اليها بندائك اياها. والمعرفة لاتوصف بالنكرة . . . واذا كان كذلك فقوله (اعرفها) استئناف خطاب فكأنه قال : لصاحبه : أنا اعرفها(٥) .

١٢ ـ فما ان شائك من اسد ترج   ابو شبلين قد منع الحذارا
بأجراء جرأة منه وأدهى   اذا ماكارب الموت استدارا

(جرأة) هنا منصوب على التميز لاعلى المصدر لانه يرى ان (افعل من) الموضوعة للمفاضلة لايجوز استعمال المصدر معها من قبل ان الغرض من المصدر انما

---

(١) التمام ص ٥٧

(٢) حاشية الصبان ١/٢٧٨

(٣) شرح الشواهد للعيني على شرح الاشموني١/٢٧٨

(٤) القوائم جمع قائمة وهي جبال لأبي بكر بن كلاب .ورهط وألبان من منازل بني الحيان

(٥) التمام ص ٧٦

هو التوكيد و (افعل) هذه قد استغنت بما فيها من المبالغة عن التوكيد بالمصدر(١).

١٣ ـ أشتّ عليك ايُّ الامر تأتي   أتستخذي صديقك أم تُغير

ينبغي ان يكون فاعل (أشت) مضمراً تدل الحال عليه اي اشتّ الامر عليك . . . وذلك ان الجملة لاتكون عندنا فاعلة . . . فان قلت : فلم لم تجز ان تكون الجملة فاعلة ؟ قيل : من قبل ان الفاعل كما يكون مظهراً فكذلك قد يكون مضمراً والمضمر معرفة والجملة الخبر لاتكون الا نكرة(٢) .

ورأيه هذا هو رأي البصريين المختار ، وقيل تقع فاعلا مطلقا نحو يعجبني يقوم زيد وظهر لي أقام زيد بدلالة « ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه » (٣)

١٤ ـ ألا ياعين ما فابكي عبيدا   وعبد الله والنفر الخيارا

الفاء بعد النداء سببها ـ عندي ـ ما في النداء من معنى الخبر ، وذلك قولك (ألا يانفس فاصطبري) ... ويدلك على أن في النداء طرفا من الخبر ان رجلا لو قال لها : (يازانية) لوجب عليه الحد كما انه لو قال لها : (انت زانية) كان الامر كذلك(٤) .

والذي أراه أن معنى الخبر ليس جائيا في النداء وانما هو في المنادى علما كان أو صفة ، ونحو هذا يكون في النهي وسائر ضروب الانشاء وذلك كأن تقول لرجل تعرفه صادقا : لاتكذب أي انت تكذب . فمعنى الخبر ليس جائيا من النهي وانما هو من اسناد الفعل الى الفاعل .

١٥ ـ قول الأعشى :

ألم تغتمض عيناك ليلةَ أرمدا   وبتّ كما بات السليم مسهدا

---

(١) التمام ص ٩١

(٢) التمام ص ٤٨

(٣) حاشية الصبان ٢/ ٣٤

(٤) التمام ص ٩٠

وقول الآخر :

وطعنة مستبسل ثائر ترد الكتيبة نصف النهار

وقول العجاج :

• ولم يضع جاركم لحمَ الوضم •

وقوله أيضا :

• حتى اذا اصطفوا لها جدارا •

(ليلةَ أرمدا) و (نصفَ النهار) و (لحم الوضم) و (جدارا) منصوبة جميعها في هذه المواضع . فتقدير الأول : الم تغتمض عيناك اغتماض ليلة أرمدفلما حذف المضاف الذي هو اغتماض أقام ليلة مقامه فنصبها على المصدر .

وتقدير (نصف النهار) ترد الكتيبة مقدار نصف يوم أي مقدار مسيرة نصف يوم وليس معناها في وقت نصف النهار بل الرد الذي لو بدىء اول النهار لبلغ نصف يوم .

و (لحم الوضم) منصوب على المصدر أي ضياع لحم الوضم و (جدارا) معناه : حتى اذا اصطفوا له اصطفاف جدار ثم حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه .

ويجوز ان يكون (جدارا) حال أي مثل الجدار أو خبراً لصاروا المحذوفة أي صاروا جداراً .

والتقاء هذه المواضع في أن نصب على المصدر ماليس مصدرا(١) .

---

(١) الخصائص ٣٢٢/٣ ، لاحظ الاشموني ١١٣/٢ ـ ١١٤ ، الهمع ١٨٨/١

مبادىء عامة :

١ ـ في اللغة :

١ ـ الاسم اخف من الفعل(١) .

٢ ـ الجمع أثقل من الواحد(٢) .

٣ ـ قال أبو عثمان : ماقيس على كلام العرب فهو من كلام العرب(٣) .

٤ ـ زيادة النون ثانية اكثر من زيادة اللام في كل موضع . فكيف بزيادة النون غير ثانية(٤) ؟

٥ ـ زيادة الميم آخراً اكثر منها أولا(٥) .

٦ ـ يأتي في المعتل من الامثلة ما لا يأتي في الصحيح نحو سيد وميت وقضاة وقيدودة(٦) .

٧ ـ متى اجتمع معك في الأسماء والأفعال حرف أصل ومعه حرفان مثلان لاغير فهما أصلان متصلين كانا أو منفصلين(٧) .

٨ ـ كل لفظين وجد فيهما تقديم وتأخير فأمكن أن يكونا جميعا أصلين ليس أحدهما مقلوبا عن صاحبه فهو القياس الذي لايجوز غيره وان لم يكن ذلك حكمت بأن احدهما مقلوب عن صاحبه(٨) .

---

(١) الخصائص ١/١٦٢

(٢) الخصائص ١/١٥٨

(٣) الخصائص ٢/٢٥

(٤) الخصائص ٢/٤٩

(٥) الخصائص ٢/٥١

(٦) الخصائص ٢/٥٣

(٧) الخصائص ٢/٥٦

(٨) الخصائص ٢/ ٦٩

٩ ـ تقارب الحروف لتقارب المعاني(١) .

١٠ ـ تكرير العين في المثال يعني البناء دليل على تكرير الفعل فقالوا كسّر وقطّع وفتّح وغلّق(٢) .

١١ ـ مقابلة الالفاظ بما يشاكل أصواتها من الاحداث نحو قضم وخضم(٣).

١٢ ـ الحركة حرف صغير(٤) .

١٣ ـ ان العرب اذا حملت على المعنى لم تكد تراجع اللفظ(٥) .

١٤ ـ ان بين المفرد والجملة أشباها(٦) .

١٥ ـ البدل من الزائد زائد وليس البدل من الاصل بأصل(٧) .

١٦ ـ الشبه اللفظي أقوى من الشبه المعنوي(٨) .

٢ ـ في الاصول :

١ ـ أقوى القياسين أن يقبل ممن شهرت فصاحته(٩) .

٢ ـ متى كان التصرف فى الوضع ينقض عليك أصلا أو يخالف بك مسموعا مقيساً فألغه(١٠) .

---

(١) الخصائص ١٤٦/٢

(٢) الخصائص ٢ /١٥٥

(٣) الخصائص ٢ / ١٥٧

(٤) الخصائص ٣١٥/٢

(٥) الخصائص ٤٢٠/٢

(٦) الخصائص ١٧٧/٣

(٧) الخصائص ١٤٢/٢

(٨) الخصائص ١٧/١

(٩) الخصائص ٢٧/٢

(١٠) الخصائص ٢١/٢

٣ ـ السماع أقوى وأغلب للقياس(١) .

٤ ـ قلب اللفظ نحو ما أطيبه وما أيطبه ومثله موقوف على السماع وليس لنا الاقدام عليه من طريق القياس(٢) .

٥ ـ متى ورد عليك لفظ فالقياس أن تتناوله على ظاهره ولا تدعي فيه قلبا ولا تحريفا الا أن يضح سبيل أو يقتاد دليل(٣) .

٦ ـ أقوى الدلالات هي اللفظية ثم تليها الصناعية ثم تليها المعنوية(٤) .

٧ ـ ان علل النحويين أقرب الى علل المتكلمين منها الى علل المتفقهين(٥) .

٨ ـ لما شبهوا الاسم بالفعل فلم يصرفوه كذلك شبهوا الفعل بالاسم فأعربوه(٦) .

٩ ـ اذا قام الدليل لم يلزم النظير(٧) .

١٠ ـ قد يكون الحكم الواحد معلولا بعلتين(٨) .

١١ ـ العرب اذا غيرت كلمة عن صورة الى صورة أخرى اختارت أن تكون الثانية مشابهة لاصول كلامهم ومعتاد أمثلتهم(٩) .

---

(١) الخصائص ٢/٤٦

(٢) الخصائص ٢/٨٨

(٣) الخصائص ٢/٩١

(٤) الخصائص ٣/٩٨

(٥) الخصائص ١/٤٨

(٦) الخصائص ١/٦٣

(٧) الخصائص ١/٢٠٢

(٨) الخصائص ١/١٠١

(٩) الخصائص ٢/٦٦

٣ ـ في النحو :

١ ـ الحال ضرب من الخبر(١) .

٢ ـ قد يكون العامل في الحال غير العامل في ذي الحال نحو قول الله « وهو الحق مصدقا »(٢) .

٣ ـ يجوز في المعطوف مالايجوز في المعطوف عليه(٣) .

٤ ـ الظرف يعمل فيه الوهم ـ كذا عهد الي ابو علي رحمه الله(٤) .

٥ ـ المضمر لايوصف(٥) .

٦ ـ المعرفة لاتوصف بالنكرة(٦) .

٧ ـ الاضافة لاتنافي البناء(٧) .

٨ ـ المضاف بعض الاسم(٨) .

٩ ـ الحروف يشتق منها ولا تشتق هي أبداً(٩) .

١٠ـ زيادة الحروف خارجة عن القياس(١٠) .

---

(١) الخصائص ٢/٢٠

(٢) الخصائص ٢/٢٠

(٣) الخصائص ٢/٢٠

(٤) الخصائص ٢/٢٠

(٥) الخصائص ٢/٢١

(٦) الخصائص ٢/٢١

(٧) الخصائص ٢/٣٦

(٨) الخصائص ٢/٣٦

(٩) الخصائص ٢/٣٧

(١٠) الخصائص٢/٢٧٩

١١- قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحركة وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه(١) .

١٢- ليس يلزم المبتدأ اسما محضا كلزوم ذلك في الفاعل(٢) .

١٣- حذف الحال لايحسن(٣) .

١٤- لايجوز تقديم المضاف اليه على المضاف ولا شيء مما اتصل به ، ولا يجوز تقديم الجواب على المجاب شرطا كان أو قسما أو غيرهما(٤) .

١٥- العامل في المعطوف غير العامل في المعطوف عليه(٥) .

١٦- المسامحة في الفاعل ليست بالمرضية لانها أصعب حالا من المبتدأ(٦) .

١٧- الفعل موغل في التنكير والاسم المضمر متناه في التعريف(٧) .

١٨ - الفعل المضمر اذا كان بعده اسم منصوب به ففيه فاعله مضمرا وان كان بعده المرفوع به فهو مضمر مجرداً من الفاعل ، ألا ترى انه لايرتفع فاعلان به(٨) ؟

١٩- ليس في الدنيا مرفوع يجوز تقديمه على رافعه ... ولايجوز تقديم الصلة ولا شيء منها على الموصول ولا الصفة على الموصوف ولا المبدل على المبدل

---

(١) الخصائص ٣٦٠/٢

(٢) الخصائص ٣٧٠/٢

(٣) الخصائص ٣٧٨/٢

(٤) الخصائص ٣٨٧/٢

(٥) الخصائص ٤٠٩/٢

(٦) الخصائص ٤٣٣/٢

(٧) الخصائص ١٠٣/١

(٨) الخصائص ٣٨٠/٢

منه ولا عطف البيان على المعطوف عليه(١) .

٢٠ـ التنوين مؤذن بتمام ما دخل عليه ، والاضافة حاكمة بنقص المضاف(٢).

٢١ـ التنوين علم التنكير(٣) .

نماذج من آرائه النحوية :

آ ـ مما خالف فيه الجمهور :

١ ـ عدل « أُخَر » : الجمهور انه معدول عن « الأُخَرَ » وابن جني على انه معدول عن « أفعل من » أي آخر من(٤) .

٢ ـ المنزلة بين المنزلتين « الاسم أما منصرف وأما غيره ولا واسطة بينهما عند الجمهور وأثبته ابن جني في المعرف بأل والمضاف قال فانه لايسمى منصرفا ولا غير منصرف »(٥) .

٣ ـ الفعل المضارع المعتل الآخر المجزوم : ورد ابقاء هذه الحروف يعني حروف العلة ـ مع الجازم كقوله :

• ولا ترضاها ولا تملّق •

• لم تهجو ولم تدع •

• الم يأتيك والانباء تنمي •

---

(١) الخصائص ٢/٣٨٥

(٢) الخصائص ٣/٦٥

(٣) الخصائص ٣/٦٥

(٤) همع الهوامع ١/٢٥ـ٢٦ ، الرضي على الكافية ١/٤٤

(٥) الخصائص ٢/٣٥٧ ، الهمع ١/٣٧

فالجمهور على انه مختص بالضرورة وقال بعضهم انه يجوز في سعة الكلام وانه لغة لبعض العرب(١) .

والمعني بقوله قال بعضهم أبو الفتح ، فهو الذي قال في (المنصف) في هذه « فهذا انما جاء على لغة من يقول « هو يأتيك وغير ماضي » فيجريه مجرى الصحيح فكأنه حذف الضمة للجزم كما يحذفها له من الصحيح من قوله : ألم يبلغك(٢) .

٤ ـ عود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة في نحو : ضرب غلامه زيداً ، منع الجمهور هذا التقديم وأجازه ابن جني(٣) .

٥ ـ « لا » العاملة عمل ليس : الجمهور على تنكير اسمها وخبرها ولم يعتبر ابن جني وطائفة هذا الشرط فأجازوا اعمالها في المعارف كقوله :

وحلت سواد القلب لا أنا باغيا سواها ولا عن حبها متراخيا(٤)

٦ ـ رابط الخبر بالمبتدأ : الجمهور منعوا أن يكون الرابط تكرار المبتدأ بمعناه نحو : زيد جاءني أبو عبدالله ، وأجازه الأخفش وحسنه ابن جني(٥) .

٧ ـ جواز حذف عامل الفاعل لعدم اللبس نحو : ليبك يزيد ضارع لخصومة ، يسبح له بالغدو والآصال رجال . منع الجمهور القياس على ذلك وجوزه الجرمي وابن جني وابن مالك(٦) .

---

(١) همع الهوامع ١/٥٢

(٢) المنصف ٢/٨١

(٣) الخصائص ١/٢٩٣ ، الهمع ١/٦٦ ، مغني اللبيب ٢/٤٩٢ ، الاشموني ٢/٥٨

(٤) الهمع ١/١٢٥ ، المغني ١/٢٤٠

(٥) الهمع ١/٩٨

(٦) الهمع ١/١٦٠

٨ ـ (اذا) مبتدأ في قوله « اذا وقعت الواقعة » والخبر « اذا » الثانية وخافضة رافعة بالنصب حالان . والمعنى وقت وقوع الواقعة خافضة لقوم رافعة لآخرين هو وقت رج الارض . قاله ابن جني وأنكره الجمهور(١) .

٩ ـ الجملة بعد بينا وبينما : الجمهور على أن الجملة بعدهما مضاف اليها نفسها دون حذف مضاف وانها في موضع جر وذهب الفارسي وابن جني الى تقدير زمان مضاف الى الجملة محذوف(٢) .

١٠ ـ المفعول معه لايتقدم على عامله باتفاق ولايتقدم على مصاحبه وأجازه ابن جني فيقال : استوى والخشبة الماء(٣) .

١١ ـ زيادة الا : واثبتها الأصمعي وابن جني وخرج عليه قوله :

• حراجيج ماتنفك الا مناخة •(٤)

١٢ ـ اتباع فاعل نعم وبئس بالنعت : منعه الجمهور وأجازه الفارسي وابن السراج وابن جني في قول الشاعر :

• لبئس الفتى المدعو بالليل حاتم •(٥)

١٣ ـ اظهار المتعلق بالخبر : منعه الجمهور وجوزه ابن جني واستدل بقول الشاعر :

• فأنت لدى بحبوحة الهون كائن •(٦)

---

(١) همع الهوامع ١/٢٢٦ ، مغني اللبيب ١/٩٤

(٢) سر صناعة الاعراب ١/٢٧ ، الهمع ١/٢١١

(٣) الخصائص ٢/٣٨٣ ، الهمع ١/٢٢٠ ، الأشموني ٢/١٣٧

(٤) الهمع ١/٢٣٠ ، المغني ١/٧٣

(٥) الهمع ٢/٨٥ ، شرح الأشموني ٣/٣١

(٦) الهمع ٢/١٠٨ ، الرضي على الكافية ١/٩٩

١٤ ـ العطف على محل المجرور ، لايجوز عند النحاة أن يقال : مررت بزيد وعمرا . وأجازه الفارسي وابن جني(١) .

١٥ ـ بأي أولى المتعلق به أبا الفعلية امبالاسمية ؟ : اكثرهم على ان المحذوف المتعلق به فعل ، وذهب ابن السراج وأبو الفتح الى انه اسم لكونه مفرداً والأصل في خبر المبتدأ أن يكون مفردا(٢) .

ب ـ مما خالف فيه سيبويه :

١ ـ (لهنّك) : « قيل همزة ان مبدلة هاء مع تأكيد الخبر أو تجريده كقوله

• لهنك من برق علي كريم •

هذا ما اختاره ابن جني وابن مالك ، وذهب سيبويهوابن السراج الى انهالام قسممقدر لا لام ان . قال سيبويهوهذه كلمة تتكلم بها العرب فى حال اليمين»(٣) .

٢ ـ لام الجر فى الاستغاثة : ذهب ابن جني الى انها تتعلق بحرف النداء لمافيه من معنى الفعلوذهب سيبويه الى انها تتعلق بالفعل المضمر واختارهابن عصفور(٤) .

٣ ـ (لما) : القول بظرفيتها رأي ابن السراج والفارسي وابن جني وجماعة ومذهب سيبويه وابن خروف انها حرف(٥) .

٤ ـ الجر بعد ما خلا وما عدا : زعم الجرمي والربعي والكسائي والفارسي وابن جني انه يجوز الجر على تقدير (ما) زائدة والذي نص عليه سيبويه المنع(٦) .

٥ ـ الحال لاتقع مؤولة بالمصدر : مذهب سيبويه أن (انْ) والفعل وان

---

(١) الخصائص ٢/٣٥٣ ، مغني اللبيب ٢/٤٧٣ ، الهمع ٢/١٤١

(٢) شرح الكافية ١/٩٩

(٣) الخصائص ١/٣١٥ ، الهمع ١/١٤١

(٤) الخصائص ٢/٢٧٨ ، الاشموني ٣/١٦٤ ، الهمع ١/١٨٠

(٥) الخصائص ٢/٢٥٣ ، المغني ١/٢٨٠ ، الهمع ١/٢١٥

(٦) همع الهوامع ١/٢٣٣

قدرت بمصدر لايجوز أن تقع حالا لان العرب اجرتها باب مجرى المعارف في الاخبار بكان ولأن (أن) للاستقبال ، والمستقبل لايكون حالا وأجازه ابن جني وخرج عليه قول الشاعر :

وقالوا له لاتنكحيه فانـــه لأول نصل ان يلاقي مجمعا(١)

٦ ـ توكيد المحذوف في نحو الذي ضربت نفسه زيد : أجازه الخليل وسيبويه والمازني وابن طاهر وآخرون ومنعه الأخفش والفارسي وابن جني وثعلب(٢) .

٧ ـ اللام بعد ان المهملة في نحو «وان كانت لكبيرة» هي عند سيبويه والاكثرين لام الابتداء . وعند أبي الفتح وجماعة انها لام اجتلبت للفرق(٣) .

ج ـ مما خالف فيه شيخه أبا علي الفارسي :

١ ـ (الثلاثي الساكن الوسط المؤنث) كهند : من المعلوم انه يجوز فيه الصرف وعدمه واختلف في الأجود منها . فالأصح ان الاجود المنع قال ابن جني وهو القياس والأكثر في كلامهم . وقال أبو على الفارسي الصرف أفصح . (٤)

٢ ـ النون في المثنى وجمع المذكر السالم : قيل انها عوض من الحركة والتنوين معا ، وعليه ابن ولاد وأبو علي وابن طاهر والجزولي .

وقيل انها عوض عن الحركة والتنوين فيما وجدا في مفرده ، ومن الحركة فقط فيما لا تنوين في مفرده كمثنى مالاينصرف ، ومن التنوين فقط فيما لاحركة في مفرده كعصا وقاض ، وغير عوض فيما خلا عنهما كمثنى حبلى وهذا والذي . وعليه ابن جني(٥) .

---

(١) همع الهوامع ٢٣٩/١

(٢) الخصائص ٢٨٧/١ ، المغني ٦٠٨/٢ ، الهمع ١٢٤/٢

(٣) المنصف ١٢٧/٣ ، المغني ٢٣٢/١

(٤) الهمع ٣٤/١

(٥) الهمع ٤٨/١

٣ ـ (الهنك) : ذكرنا رأيه فيها فيما خالف فيه سـيبويه . وذهب قطرب والفراء والمفضل ابن سلمة والفارسي وصححه ابن عصفور الى ان الاصل « له انك » فهما كلمتان(١) .

٤ ـ الفاء في نحو « خرجت فاذا الاسـد » : هي زائدة لازمة عند الفارسي والمازني وجماعة وعاطفة عند مبرمان وأبي الفتح(٢) .

وليس صحيحا ما ذهب اليه ابن هشام ، فرأي أبي الفتح موافق لرأي المازني فيها . جاء في (سر الصناعة) : « تقول العرب: «خرجت فاذا زيد» واختلف العلماء في هـذه الفاء : فذهب أبو عثمان الى انها زائدة وذهب أبو اسحاق الزيادي الى انها دخلت على حد دخولها في جواب الشرط . وذهب مبرمان الى انها عاطفة .

وأصح هذه الأقوال قول أبي عثمان »(٣) . ويذهب في بحثه يسند هذا الرأي ويفند الأقوال الأخرى .

٥ ـ هيهات : يفتح الحجازيون تاء هيهات ويقفون بالهاء ، ويكسرها تميم ويقفون بالتاء وبعضهم يضمها واذا ضمت فذهب أبي علي انهـا تكتب بالتـاء ومذهب ابن جني أنها تكتب بالهاء(٤) .

٦ ـ تاء (تجفاف) : قال « سألت يوما أبا علي ـ رحمـه الله ـ عن تجفاف أتاؤه للالحاق بباب قرطاس ؟ فقال نعم واحتج في ذلك بما انضاف اليها من زيادة الألف ... ويبعد هذا عندي » (٥) .

---

(١) الخصائص ٣١٥/١ ، الهمع ١٤١/١

(٢) مغني اللبيب ١٦٧/١

(٣) سر الصناعة ٢٦٢/١

(٤) الخصائص ٢٩٧/٢ ، ٤١/٣ ، شرح الاشموني ١٩٩/٣

(٥) الخصائص ٢٣١/١

٧ ـ اني لأمر بالرجل مثلك : كان أبو علي يقوي قول أبي الحسن في نحو قولهم « اني لامر بالرجل مثلك »: ان اللام زائدة حتى كأنه قال : اني لامر برجل مثلك ...

واعلم ان هذا القول من أبي علي غير مرضي عندي(١) .

٨ ـ (إفعَل) صفة : قال في هذا البيت :

ان تلك ذا بزّفان بزّي　　　سابغة فوق وأىّ إوزّ

قال أبو علي : لا يكون (اوز) من لفظ الوَزّ لانه قد قال : ليس في الكلام (افعل) صفة . وقد يمكن عندي أن يكون وصف به لتضمنه معنى الشدة كقوله :

رحت وانت غرْبال الاهاب(٢)

٩ ـ همزة وراء : قال : « ومن البدل الجاري مجرى الزائد عندي لا عند أبي علي همزة وراء . ويجب أن تكون مبدلة من حرف علة لقولهم : تواريت عنك ... وأما أبو علي رحمه الله فكان يذهب الى أن لامها في الاصل همزة وانها من تركيب (ورأ)»(٣) .

١٠ ـ الهمزة في أدْيَه : ذهب أبو علي الى أن الهمزة في أديه ليست بدلا من الياء وانما هي لغة في الكلمة . قال : الا انني أنا أرى في هذه اللفظة خلاف ما رآه أبو علي فلو كان الأمر على ما ذهب اليه لتصرفت الهمزة في هذه اللفظة تصرف الياء وليس الأمر كذلك(٤) .

---

(١) الخصائص ٩٩/٣ ـ ١٠٠

(٢) الخصائص ٢١٧/٣

(٣) الخصائص ٢٧٨/٣

(٤) سر الصناعة ٢٤٣/١-٢٤٤

د ـ مما وافق فيه شيخه :

١ ـ النون المحذوفة في نحو : أتحاجوني ، أهي نون الوقاية أم علامة الرفع ؟ ذهب سيبويه الى انها نون الرفع ... وذهب أكثر المتأخرين الى انها نون الوقاية وعليه الاخفش الأوسط والأخفش الصغير والمبرد وأبو علي وابن جني لانها لاتدل على اعراب فكانت أولى بالحذف (١) .

٢ ـ المهموز من الافعال : المهموز من الافعال كيقرأ ويُقرىء ويوضؤ يجوز تسهيل همزه ونص سيبويه وغيره كالفارسي وابن جني على انه لايجوز ابداله لينا محضا الا في الضرورة(٢) .

٣ ـ الخبر شبه الجملة : ذهب ابن كيسان الى أن الخبر في الحقيقة هو العامل المحذوف وان تسمية الظرف خبراً لمجاز وتابعه ابن مالك . هذا هو التحقيق وذهب الفارسي وابن جني الى انه الظرف حقيقه وان العامل صار نسيا منسيا(٣) .

٤ ـ دلالة الافعال الناقصة على الحدث : اختلف في دلالة هذه الأفعال على الحدث فمنعه قوم منهم المبرد وابن السراج والفارسي وابن جني وابن برهان والجرجاني والشلوبين(٤) .

٥ ـ العامل في نحو : اما انت منطلقاً انطلقت : ذهب أبو علي وابن جني ان (ما) هي الرافعة الناصبة لكونها عوضاً من الفعل فنابت مناب الفعل(٥) .

٦ ـ اذا الفجائية : ظرف مكان عند المبرد والفارسي وابن جني وأبي بكر

---

(١) مغني اللبيب ٢/٦٢٠ـ٦٢١ ، الهمع ١/٥١ـ٥٢

(٢) الخصائص ٣/١٥٢ـ١٥٣

(٣) الهمع ١/٩٩

(٤) التمام ص ١٧١ الخصائص ١ـ٣١٢ ، المغني٢/٤١٠ ، ٤٣ ، الهمع ١/١١٣

(٥) الخصائص ٢/٣٨١ ، المغني ١/٣١٢ ، الهمع ١/١٢٢

الخياط واختاره ابن عصفور وظرف زمان عند الرياشي والزجاج(١) .

٧ ـ الجر بعد ماخلا وماعدا : وقد مرت فيما خالف فيه سيبويه وقد وافق فيها شيخه ـ كما مر ـ

٨ ـ اتباع فاعل نعم وبئس بالنعت ـ وقد مر ـ . قلنا لايتبع فاعلها عند الجمهور وأجازه ابن السراج والفارسي وابن جني .

٩ ـ اللام مع ان المهملة وقد مر .

١٠ ـ نيابة المفعول له مناب الفاعل في الفعل المبني للمجهول : لاتجوز نيابة المفعول له اذا كان منصوباً اتفاقاً ، وفي المجرور بحرف قولان أحدهما : لا ، بناء على ان المجرور لايقام ولأنه بيان لعلة الشيء وذلك لايكون الا بعد ثبوت الفعل بمرفوعه وهذا ما صححه الفارسي وابن جني وقيل يجوز بناء على اقامة المجرور(٢) .

١١ ـ ما مر من توكيد المحذوف في نحو الذي ضربت نفسه زيد .

١٢ ـ (لما) ظرف بمعنى حين ـ وقد مر ـ .

هـ ـ مما وافق فيه الكوفيين :

١ ـ إنْ النافية العاملة عمل ليس: حرف غير مختص فكان القياس ألاتعمل لذلك منع اعمالها الفراء وأكثر البصرية والمغاربة وعزي الى سيبويه وأجاز اعمالها الكسائي وأكثر الكوفيين وابن السراج والفارسي وابن جني وابن مالك وصححه ابن حيان(٣) .

٢ ـ (حاشا) أهي اسم أم فعل ؟ تقع حاشا قبل لام الجر نحو حاشا لله وهي

---

(١) سر الصناعة ١/٢٥٦ ومابعدها ، الهمع ١/٢٠٧

(٢) الهمع ١/١٦٣

(٣) همع الهوامع ١/١٢٤

عند المبرد وابن جني والكوفيين فعل قالوا لتصرفهم فيها بالحذف قالوا حاش وحشا ولادخالهم اياها على الحرف قبل لام الجر (١) .

٣ ـ (أو) للاضراب بمعنى بل : قال الكوفيون وأبو علي وأبو الفتح وابن برهان تأتي للاضراب مطلقاً تمسكاً بقوله :

كانوا ثمانين أو زادوا ثمانية لولا رجاؤك قد قتلت أولادي (٢)

هذا ماجاء في (مغني اللبيب) و (شرح الاشموني) وليس صحيحاً مانسب الى أبي الفتح في ذلك . جاء في (الخصائص) : « أو ، انما اصل وضعها ان تكون لأحد الشيئين اين كانت وكيف تصرفت . فهي عندنا على ذلك ،وان كان بعضهم قد خفي عليه هذا من حالها في بعض الأحوال حتى دعاه الى أن نقلها عن أصل بابها. وذلك ان الفراء قال: انها قد تأتي بمعنى بل . . . .(٣) وقال: فأما قول الله سبحانه (وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون) فلا يكون فيه أو على مذهب الفراء بمعنى بل ولا على مذهب قطرب في انها بمعنى الواو ولكنها عندنا على بابها في كونها شكا » (٤).

٤ ـ عطف البيان يكون معرفة ويكون نكرة : لأن النكرة تقبل التخصيص بالجامد كما تقبل المعرفة التوضيح به نحو « لبست ثوباً جبة » .

هذا مذهب الكوفيين والفارسي وابن جني والزمخشري وابن عصفور وذهب غير هؤلاء الى المنع (٥) .

٥ ـ عمل المصدر مضمراً : لاعمال المصدر شروط منها ان يكون مظهراً فلو

---

(١) المغني ١/١٢١ ، الاشموني ٢/١٦٦ ، الهمع ١/٢٣٣

(٢) مغنى اللبيب ١/٦٤ ، الاشموني ٣/١٠٦

(٣) الخصائص ٢/٤٥٧ وما بعدها

(٤) الخصائص ٢/٤٦١

(٥) شرح الاشموني ٣/٨٦

أضمر لم يعمل خلافاً للكوفيين وأجاز ابن جني في (الخصائص) والرماني اعماله في المجرور وقياسه في الظرف(١) .

هذا ماجاء في (شرح الأشموني) والصواب ان الذي أجازه أبو الفتح في (الخصائص) اعمال المصدر مضمراً في الظرف(٢) لا في المجرور والمثال الذي أورده هو : قيامك امس حسن وهو اليوم قبيح . وخرجه تخريجات منها الاعمال . وهو موافقة لهم من وجه .

٦ ـ المبتدأ والخبر يترافعان : جاء في (الهمع) ان المختار وفاقاً للكوفية وابن جني أن المبتدأ والخبر يترافعان . قال وهذا المذهب اختاره ابن جني وأبو حيان(٣).

هذا ماجاء في (الهمع) والصواب وقد بيناه في مذهبه النحوي أنه موافق للبصريين فيه(٤) وليس صحيحا ماورد في الهمع .

و ـ مسائل من اجتهاداته الخاصة :

١ ـ مروان أخو اليوم اليمي : ذكر فيه قولين احدهما أنه أراد : اخو اليوم السهل اليومُ الصعب ، والآخر : اخو اليوم اليوم كما يقال عند الشدة والأمر العظيم اليومُ اليوم .

قال : « ويجوز عندي فيه وجه ثالث لم يُقل به وهو أن يكون أصله على ماقيل في المذهب الثاني . . اخو اليوم اليوم ثم قلب فصار (اليَمْوُ) ثم نقلت الضمة الى الميم على حد قولك : هذا بكر فصارت (اليَمُو) فلما وقعت الواو طرفا بعد

---

(١) شرح الاشموني ٢٨٦/٢

(٢) ٢الخصائص ١٩/٢

(٣) الهمع ٩٤/١ ، ٩٥

(٤) لاحظ الخصائص ١٦٦/١ ، ١٩٦/١ ، ١٩٩/١ وأماكن اخرى

ضمة في الأسم ابدلوا من الضمة كسرة ثم من الواو ياء فصارت (اليمي) كأحق وأدل » (١) .

٢ ـ (تيهورة ـ القطعة الصعبة من الرمل) قال : وهي عندنا (فيعولة) من تهور الجرف . . . ويجوز عندي أن تكون في الأصل أيضا (تفعولة) كتعضوضة ... ويجوز فيه عندي وجه ثالث وهو أن يكون في الأصل (يفعولة) كيعسوب ويربوع فيكون اصلها (يهوورة)(٢) .

٣ ـ مذهب العرب في تكسير فَعَل على أفعال كعَلَم وأعلام ، وفَعَلة على أفعَل نحو أكمة وآكم قال : والقول فيه عندي ان حركة العين قد عاقبت في بعض المواضع تاء التأنيث وذلك في الأدواء نحو قولهم : رَمِث رَمَثا وحَبِط حَبَطا... فاذا الحقوا التاء اسكنوا العين فقالوا حَقِل حَقْلة ومغل مَغْلة...

فلما تعاقبت التاء وحركة العين جريا لذلك مجرى الضدين المتعاقبين فلما اجتمعا في (فَعَلة) ترافعا احكامهما فاسقطت التاء حكم الحركة واسقطت الحركة حكم التاء . فآل الأمر بالمثال الى ان صار كأنه فَعْل ، و (فَعْل) باب تكسيره (افعل)(٣) .

٤ ـ نقض العادة في أفعلت بأن تكون الاولى لازمة والثانية متعدية نحو أجفل الظليم وجفلته الريح .

قال : وعلة ذلك عندي انه جعل تعدي فعلت وجمود أفعلت كالعوض لفعلت من غلبة أفعلت لها على التعدي نحو جلس وأجلسته(٤) .

---

(١) الخصائص ٢/٧٦ ، ٧٧

(٢) الخصائص ٢/٧٩ ، ٨٠

(٣) الخصائص ٢/١٠٨

(٤) الخصائص ١/٢١٥

٥ ـ اجماع العرب على مجيء عين مضارع فعلته اذا كانت من فاعلني مضمومة البتة ، وذلك نحو قولهم : ضاربني فضربته اضربه ، وعالمني فعلمته اعلُمه قال :

وعلته عندي ان هذا موضع معناه الاعتلاء والغلبة فدخل بذلك معنى الطبيعة والنحيزة التي تغلب ولاتغلب وتلازم ولا تفارق وتلك الأفعال بابها فَعُل يفعُل نحو فقُهَ يفقَه اذا أجاد الفقه وعلُم يعلُم اذا أجاد العلم (١) .

٦ ـ قالوا في قول الشاعر :

شدوا المطي على دليل دائب　　　من أهل كاظمة بسيف الأبحر

قالوا معناه : بدليل . وهو عندي أنا على حذف المضاف أي شدوا المطي على دلالة دليل فحذف المضاف(٢) .

٧ ـ باب في أن ما لايكون للأمر وحده قد يكون له اذا ضام غيره ـ قال بعد أن ذكر ذلك : فتأمل هـذه المواضع التي أريتكها فان أحداً من أصحابنا لم يذكر شيئا منها(٣) .

٨ ـ باب في ان سبب الحكم قد يكون سببا لضده على وجه ، قال : وعلى ذلك عندي ماجاء عنهم من تكسير فعيل على أفعال نحو يتيم وأيتام وشريف وأشراف حتى كأنه انما كسر فَعِل لافعيل كنمر وانمار وكبِد وأكباد وفخِذ وأفخاذ(٤).

٩ ـ قال في قول الشاعر :

من أي يوميّ من الموت أفر　　　أيوم لم يقدرَ أم يوم قدر

ذهبوا فيه الى انه أراد النون الخفيفة ثم حذفها فبقيت الراء مفتوحة . . . .

---

(١) الخصائص ٢/٢٢٥

(٢) الخصائص ٢/٣١٢

(٣) الخصائص ٢/٤٨٠ ـ ٤٨٤

(٤) الخصائص ٣/٥٣

والذي أراه أنا وماعلمت أحدا من أصحـابنا ولا غيرهم ذكره ويشبه ان يكونوا لم يذكروه للطفه ثم ذكر أصله(١) كما مر .

١٠ ـ « مسوكَى » : قال : القول عندي في مسوكَى في بيت المرار :

فأصبحت مهموما كأنمطيتي بجنب مسولى أو بوجرة ظالع

ينبغي ان تكون مقصورة من «سولاء بمنزلة جَلُولاء(٢) »

١١ ـ (رَقوْة) : قال : ورويناها عن قطرب وذكر أنها لغة لبعض عكل ووجه القول عليها عندي أن تكون مما همز من غير المهموز بمنزلة استلأمت الحجر واستنشأت الرائحة ... واصلها رَقوة ثم همزت على ماقلنا » (٣) »

١٢ ـ (العَيِّن) ، قال : « وكذلك ماانشده من قول رؤبة :

مابال عيني كالشعيب العين .

حملوه على (فيعل) مما اعتلت عينه وهو شاذ . وأوفق من هـذا عندي ان يكون فوَعلا أو فَعولا حتى لايرتكب شذوذه(٤) .

١٣ ـ مارآه في نحو : هذا جحر ضب خربٍ فقد ذكر النحاة ان هـذا من باب الغلط الذي لايجوز القياس عليه أو المجاورة وحمله أبو الفتح على أنه من باب حذف المضاف ، كما مر(٥) .

١٤ ـ تجاور الأحوال والأحيان ، نحو : احسنت اليه اذ أطاعني ، يرى أن هذا

---

(١) سر الصناعة ١/٨٥

(٢) الخصائص ٣/١٩٢

(٣) الخصائص ٣/٢٠٧

(٤) الخصائص ٣/٢١٤

(٥) الخصائص ١/١٩١ ، ٣/٢٢١

من باب تجاور الأحيان قال : « وهـذا التجاور الذي ذكرناه في الاحوال والأحيان لم يعرض له أحد من أصحابنا وانما ذكروا تجاور الألفاظ »(١) .

١٥ ـ قال في (باب في ترافع الاحكام) : « هذا موضع من العربية لطيف لم أر لاحد من أصحابنا فيه رسما ولا نقلوا الينا فيه ذكرا »(٢) .

١٦ ـ قال في قول الشاعر :

وخضخضن فينا البحر حتى قطعنه　　على كل حال من غمار ومن وحـل

قالوا أراد بنا . وقد يكون عندي على حـذف المضاف أي في سيرنا ومعناه في سيرهن بنا(٣) .

١٧ ـ قال في قول الشاعر :

فظلت في شـر من اللذ كيدا　　كاللذ تزبى زبية فاصطيدا

قد عد الناس (اللذ) لغة فى (الذي) ويمكن عندي أن يكون ذلك صنعة لا لغة ، وذلك انه يجوز أن يكون حـذف الياء تخفيفا لطول الاسـم بصلته فصار (اللذ)(٤) .

١٨ ـ تقديم المعطوف على المعطوف عليه ، قال في قول الشاعر :

ألا يا نخلة من ذات عرق　　عليك ورحمـة الله السـلام

ان الجماعة حملته على انه : عليك السلام ورحمة الله . وهـذا وجه . قال : الا ان عندي فيه وجها لا تقـديم ولا تأخير من قبل العطف ، وهو أن يكون (رحمة

---

(١) الخصائص ٢٢٧/٣

(٢) الخصائص ١٠٨/٢

(٣) الخصائص ٣١٣/٢

(٤) التمام ص ٤٢

الله) معطوفا على الضمير في (عليك) وذلك ان (السلام) مرفوع بالابتـداء وخـبره مقـدم عليه وهو (عليك) . ففيه اذن ضمير منه مرفوع بالظرف فاذا عطفت (رحمة الله) ذهب عنه مكروه التقديم لكن فيه العطف على المضمر المتصل من غير توكيد له وهذا أسهل عندي من تقديم المعطوف على المعطوف عليه (١) .

(١) الخصائص ٢/٣٨٦

خاتمة

والآن بعد اكمال الباب الثامن نكون قد انتهينا ـ ولله الحمد ـ من بحث « ابن جني النحوي » وعسى ان نكون قد وفقنا في رسم صورة صحيحة أو مقاربة لنحو أبي الفتح :

الذي نستخلصه من نظرة أبي الفتح النحوية بصورة موجزة :

١ ـ ان ابا الفتح في موقفه من القراءات لايختلف كثيراً عن موقف سائر النحاة في رد طائفة من القراءات المعتمدة وتضعيفها وتلحينها وهو ينسب طائفة من القراء الى الجهل أو الى السهو أو القصور عن ادراك حقيقة الأمر ، وان كان هو في موقفه أقرب الى الاعتدال من موقف شيخه أبي علي الفارسي .

٢ ـ موقفه من الاستشهاد بالحديث كموقف سائر النحاة أعني أنــه لايرى الاستشهاد بالحديث الا انه لايمتنع من أن يذكر الحديث تأييداً لرأي قرره أو أصل استنبطه . أما أن يكون الحديث هو الأصل الذي يقرر القاعدة أو ينقضها فلا.

٣ ـ وفي الاستشهاد بكلام العرب من شعر ونثر يقف موقف النحاة البصريين فيأخذ بالكثرة من النصوص الفصيحة المعتمدة ، ولايقيس على الشاذ والنادر ، وينظر الى الناقل ويزنه من حيث فصاحته ، فان كان فصيحاً أخذ منه والا رده ، ويجعل القياس عياراً يزن به المسموعات المفردة ويستشهد بأشعار المولدين في المعاني.

٤ ـ وان له مجهوداً كبيراً في تثبيت أصول النحو وتدعيمها ان لم يكن له الجهد الأكبر في ذلك وقد ألف في هـذا الشأن كتاب (الخصائص) على طريقة الفقهاء والمتكلمين .

٥ ـ وهو معتزلي يظهر أثر اعتزاله فيما يبحث ولايمتنع أن يذكر أصولا نحوية على وفق مبادئ المعتزلة كما في بحثه (الحكم يقف بين الحكمين) .

٦ ـ ويرى أن العرب كانت تلحظ العلل عندما تتكلم .

٧ ـ وهو يقول بنظرية « العامل » ويقف منها موقف نحاة البصرة ، ويكاد يتفق معهم اتفاقاً تاماً ولا صحة لقول من يقول : انه اراد أن يهدم نظرية العامل ويبني النحو على اساس جديد .

٨ ـ وان عقليته تعليلية تحليلية مبتكرة قيّاسة يلمح الاشارة الخاطفة ، وهو دقيق الملاحظة ، واسع النظر متثبت فيما يقول ، ويستعمل أمثلة غير عملية وفرضية لرياضة الفكر وتدريبه .

٩ ـ تؤخذ عليه هنات في التعليل الذي يبالغ فيه ويغلو حتى يمتد الى الكلمات الدخيلة ظاناً انها عربية كما يؤخذ عليه قلة التدقيق في طائفة من الحدود النحوية ، وربما لم يكن يقصد الى حدها بصورة دقيقة ـ كما بينا ـ .

١٠ ـ له بحوث في غاية التدقيق كالاشتقاق الاكبر وما يتعلق باللفظ والمعنى وتركب اللغات وتداخلها كما له اجتهادات خاصة لغوية ونحوية جديرة بانعام النظر .

١١ ـ وهو بصري المذهب لا بغدادي ولا كوفي ، ارتضى لنفسه أن يكون بصرياً ، ويعد نفسه من البصريين ويضع نفسه بمعزل عن البغداديين والكوفيين ويقول في المسائل الخلافية برأي البصريين في الاعم الاغلب .

١٢ ـ نسبت اليه آراء نحوية وهماً نبهنا عليها في امكنتها .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

• • •

مراجع البحث

١ ـ الاتقان في علوم القرآن ـ للسيوطي طبعة ٣ ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥١م .

٢ ـ الاذكياء ـ لابن الجوزي .

٣ ـ الاستشهاد بالحديث ـ لمحمد الخضر حسين ـ مجلة مجمع اللغة العربية ج٣.

٤ ـ الاشباه والنظائر ـ للسيوطي ط٢ حيدر آباد الدكن ١٣٥٩هـ مطبعة دائرة المعارف العثمانية .

٥ ـ الأصوات اللغوية ـ للدكتور ابراهيم أنيس ـ مطبعة نهضة مصر .

٦ ـ الاعلام ـ لخير الدين الزركلي .

٧ ـ الاغراب في جدل الاعراب ـ لابن الانبارى ـ مطبعة الجامعة السورية ١٣٧٧هـ ١٩٥٧ مع رسالة لمع الأدلة .

٨ ـ الاقتراح ـ للسيوطي ط٢ حيدر آباد الدكن ١٣٥٩هـ .

٩ ـ الألفاظ السريانية في المعاجم العربية ـ للبطريرك مار اغناطيوس افرام الاول ـ مجلة المجمع العلمي العربي ـ كانون الثاني ١٩٤٩م .

١٠ ـ الامتـاع والمؤانسة ـ لأبي حيـان التوحيدي ط٢ القاهرة مطبعة لجنة التأليف والنشر .

١١ ـ الأنساب ـ لأبي سعيد عبدالكريم بن السمعاني .

١٢ ـ الانصاف في مسائل الخلاف ـ لأبي البركات ابن الانباري تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد .

١٣ ـ ابن جني أبو الفتح عثمان ـ مجلة المقتطف المجـلد ١١١ الجزء ٣ سنة ١٩٤٧ بقلم عبدالله أمين .

١٤ ـ أبو حيان التوحيدي ـ حياته وآثاره ومروياته ـ لحسن السندوبي طبع في اول كتاب (المقابسات) .

١٥ ـ أبو حيان التوحيدي ـ سيرته ـ آثاره ـ للدكتور عبدالرزاق محيي الدين سنة ١٩٤٩ .

١٦ ـ أبو علي الفارسي ـ للدكتور عبدالفتاح اسماعيل شلبي .

١٧ ـ أبو الفتح بن جني ـ مقالات متسلسلة في مجلة المجمع العلمي العربي المجلد الرابع والعشرون ، المجلد الثلاثون ، المجلد الحادي والثلاثون ، المجلد الثاني والثلاثون .

١٨ ـ أثر اللغات السامية فى اللغة العربية ـ للشيخ عبدالقادر المغربي مجلة مجمع اللغة العربية ج٨ .

١٩ ـ أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ـ للمقدسي ط٢ طبع في مدينة ليدن .

٢٠ ـ احياء النحو ـ لابراهيم مصطفى ـ القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٥٩ .

٢١ ـ اخبار الراضي بالله والمتقي لله ـ من كتاب الأوراق للصولي .

٢٢ ـ اخبار النحويين البصريين ـ لأبي سعيد السيرافي ط١ ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م .

٢٣ ـ أسرار العربية ـ لابن الانباري ـ تحقيق محمد بهجة البيطار مطبعة الترقي بدمشق ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٧م .

٢٤ ـ أسرار العربية ـ لاحمد تيمور باشا ـ مطابع دار الكتاب العربي بمصر ط١ .

٢٥ ـ أطلس التاريخ الاسلامي صنفه هاري . و . هازارد . ترجمه وحققه ابراهيم زكي خورشيد .

٢٦ ـ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ـ للامام فخرالدين الرازي مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٨م .

٢٧ ـ أعيـان الشيعة ـ للسيد محسن الأمين ج٣٩ ط١ ـ مطبعة الانصـاف بيروت ١٩٥٦م .

٢٨ ـ أغلاط اللغويين الاقدمين ـ للأب أنستاس الكرملي ـ طبع في بغداد ١٩٣٢ .

٢٩ ـ انباه الرواة على أنباه النحاة ـ للقفطي ـ تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م .

٣٠ ـ البداية والنهاية ـ لابن كثير .

٣١ ـ البصائر والذخائر ـ لأبي حيان التوحيدي ط١ القاهرة ١٩٥٣ م حققه وعلق عليه أحمد أمين ، السيد أحمد صقر .

٣٢ ـ بغية الوعاة ـ للسيوطي .

٣٣ ـ تاج العروس ـ شرح القاموس ـ لمحب الدين الزبيدي الحنفي .

٣٤ ـ تاريخ آداب العرب ـ لمصطفى صادق الرافعي .

٣٥ ـ تاريخ آداب اللغة العربية ـ لجرجي زيدان ـ مطبعة الهلال سنة ١٩٣٠ .

٣٦ ـ تاريخ أبي الفدا .

٣٧ ـ تاريخ الأدب العربي لحنا الفاخوري .

٣٨ ـ تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان .

٣٩ ـ تاريخ الاسلام السياسي لحسن ابراهيم حسن ط ٤ ١٩٥٨ .

٤٠ ـ تاريخ بغداد ـ للخطيب البغدادي .

٤١ ـ تاريخ الحكماء ـ لعلي بن يوسف القفطي .

٤٢ ـ تاريخ الشعوب الاسلامية لكارل بروكلمان ط ٣ ١٩٦١ ترجمة الدكتور نبيه أمين فارس ، ومنير البعلبكي .

٤٣ ـ تاريخ العلامة ابن خلدون ـ المجلد الاول . دار الكتاب اللبناني ١٩٥٦ .

٤٤ ـ تاريخ علوم اللغة العربية ـ لطه الراوي .

٤٥ ـ تاريخ الفلسفة في الاسلام ـ للاستاذ ت . ج . دى بور ترجمة دكتور محمد عبد الهادي أبو ريده ط ٤ ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٧ م .

٤٦ ـ تاريخ اللغات السامية ـ للدكتور اسرائيل ولفنسون .

٤٧ ـ التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح ـ لحسين بن المبارك الزبيدي .

٤٨ ـ تحقيقات معجمية ـ لمرمرجي الدومنكي ـ مجلة المجمع العلمي العربي المجلد الرابع والعشرون ١٩٤٩ .

٤٩ ـ ترجمة ابن هشام ـ مقدمة مغني اللبيب .

٥٠ التصريف الملوكي ـ لابن جني ـ نشر مطبعة شركة التمدن الصناعية بمصر نمرة ٢٤ ط ١ .

٥١ ـ تفسير الالفاظ الدخيلة في اللغة العربية ـ للقس طوبيا العنيس الحلبي اللبناني ط ٢ سنة ١٩٣٢ .

٥٢ ـ التمام في تفسير أشعار هذيل مما اغفله السكري ـ لابن جني تحقيق وتقديم احمد ناجي القيسي وخديجة عبدالرزاق الحديثي ، احمد مطلوب ـ مطبعة العاني ـ بغداد ط ١ ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦٢ م .

٥٣ ـ تمهيد وتصدير كتاب اخبار النحويين البصريين ـ لمحمد عبدالمنعم خفاجي وطه الزيني .

٥٤ ـ التنبيه والاشراف ـ للمسعودي .

٥٥ ـ تهذيب الأسماء واللغات ـ للحافظ ابي زكريا محيي الدين النووي .

٥٦ ـ جمهرة اللغة لابن دريد ط ١ ، طبعة مجلس دائرة المعارف ـ حيدر آباد الدكن ١٣٤٤ هـ .

٥٧ ـ حاشية الخضري على شرح ابن عقيل .

٥٨ ـ حاشية الصبان على شرح الأشموني .

٥٩ ـ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ـ لآدم متز نقله الى العربية محمد عبدالهادي أبو ريدة ط ٢ ١٣٦٦ هـ ـ ١٩٤٧ م .

٦٠ ـ خزانة الادب وغاية الأرب لتقي الدين ابي بكر المعروف بابن حجة الحمــوي :

٦١ ـ الخصائص ـ لابن جني ـ بأجزاء ثلاثة ـ تحقيق محمد علي النجار مطبعة دار الكتب المصرية .

٦٢ ـ الخليل بن أحمد الفراهيــدي ـ لمهدي المخزومي ـ مطبعة الزهراء بغداد ١٩٦٠ .

٦٣ ـ دائرة المعارف الاسلامية ـ المجلد الاول ـ ترجمة محمد ثابت الفندي ١٩٣٣

٦٤ ـ دائرة المعارف ـ لبطرس البستاني ـ المجلد الاول بيروت سنة ١٨٧٦ .

٦٥ ـ دائرة المعارف ـ بادارة فؤاد افرام البستاني ـ المجلد الثاني بيروت سنة ١٩٥٨ .

٦٦ ـ دراسات في العربية وتاريخها ـ لمحمد الخضر حسين ط ٢ ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦٠ م .

٦٧ ـ دراسات في العصور العباسية المتأخرة ـ للدكتور عبد العزيز الدوري شركة الرابطة للطبع والنشر المحدودة ـ بغداد سنة ١٩٤٥ .

٦٨ ـ دراسات في اللغة ـ للدكتور ابراهيم السامرائي ـ بغداد ١٩٦١ مطبعة العــاني .

٦٩ ـ دلائل الاعجاز ـ لعبد القاهر الجرجاني ـ ط ٣ ـ اصدرتها دار المنار بمصر .

٧٠ ـ دمية القصر وعصرة أهل العصر ـ للباخرزي ط ١ ـ المطبعة العلمية ـ حلب

٧١ ـ ديوان الشريف الرضي ـ المجلد الثاني ـ طبع بيروت ١٣٨٠ هـ

٧٢ ـ الذريعة الى تصانيف الشيعة ـ لأغا بزرك الطهراني ١٩٤٨ م ـ ١٣٦٧ هـ

٧٣ ـ الرد على النحاة ـ لابن مضاء القرطبي ـ تحقيق الدكتور شوقي ضيف ط ١

٧٤ ـ روضات الجنات ـ لمحمد باقر الموسوي الخوانساري

٧٥ ـ سر صناعة الاعراب لابن جني ـ تحقيق لجنة من الاساتذة ط ١ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ط ١ ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٤ م .

٧٦ ـ سر صناعة الاعراب (القسم المخطوط) لابن جني مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ٨٥١٦ هـ .

٧٧ ـ شذرات الذهب في اخبار من ذهب ـ لابن العماد الحنبلي .

٧٨ ـ شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك .

٧٩ ـ شرح الاشموني على الفية ابن مالك ـ دار احياء الكتب العربية .

٨٠ ـ شرح الرضي على الكافية .

٨١ ـ شرح شذور الذهب ـ لابن هشام الانصاري تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد .

٨٢ ـ شرح (كتاب اللمع لابن جني) لسعيد بن الدهان مخطوطة مصورة بدائرة اللغة العربية بجامعة بغداد .

٨٣ ـ شرح المفصل لابن يعيش .

٨٤ ـ شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ـ تأليف شهاب الدين أحمد الخفاجي ط١ سنة ١٣٢٥ .

٨٥ ـ الصحاح ـ للجوهري .

٨٦ ـ ضحى الاسلام ـ لاحمد أمين .

٨٧ ـ ظهر الاسلام ـ لاحمد أمين .

٨٨ ـ العبر في خبر من غبر للذهبي ـ طبع الكويت ـ ١٩٦١ .

٨٩ ـ العربية ليوهان فك ـ دار الكتاب العربي ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥١م .

٩٠ ـ عقود الهمز مع رسالتين لأبي الفتح بن جني ـ المطبعة العربية بمصر ١٩٢٣م .

٩١ ـ علم اللغة ـ للدكتور علي عبدالواحد وافي ط٣/١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م .
٩٢ ـ العين ـ طبع بغداد في مطبعة دار الايتام ١٩١٤ .
٩٣ ـ غاية النهاية في طبقات القراء ـ لابن الجزري ط١ ١٩٣٢م .
٩٤ ـ فتح الباري ـ لابن حجر العسقلاني ـ المطبعة الخيرية .
٩٥ ـ الفخري في الآداب السلطانية ـ لابن طباطبا ـ مطبعة المعارف ـ مصر سنة ١٩٢٣ .
٩٦ ـ الفصل في الملل ـ لابن حزم الظاهري .
٩٧ ـ فقه اللغة ـ للدكتور علي عبدالواحد وافي ط٤ ـ مطبعة لجنة البيان العربي سنة ١٩٥٦ .
٩٨ ـ الفلسفة اللغوية ـ لجرجي زيدان ط٣ .
٩٩ ـ الفهرست ـ لابن النديم .
١٠٠ ـ الفهرسة لأبي بكر بن خير الاندلسي ط٢/١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م .
١٠١ ـ في أصول النحو ـ لابراهيم مصطفى ـ مجلة مجمع اللغة العربية ج٨ .
١٠٢ في اللهجات العربية ـ للدكتور ابراهيم انيس ط ٢ ـ مطبعة لجنة البيان العربي .
١٠٣ ـ القاموس المحيط ـ لمجد الدين الفيروزادي .
١٠٤ ـ قرار الاحتجاج بالحديث الشريف ـ مجلة مجمع اللغة العربية ج٤ .
١٠٥ ـ القواعد النحوية ـ لعبد الحميد حسن ط ٢/١٩٥٢ م .
١٠٦ ـ الكامل ـ لابن الاثير .
١٠٧ ـ كتاب تجارب الامم لأبي علي احمد بن محمد المعروف مسكويه ـ ليدن ١٩١٧ .
١٠٨ ـ كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ـ لحاجي خليفة .
١٠٩ ـ الكنى والالقاب ـ للشيخ عباس القمي مطبعة الحيدرية النجف :

١١٠ ـ لباب الآداب ـ للأمير اسامة بن منقذ ١٣٥٤ هـ ـ ١٩٣٥ م .
١١١ ـ اللباب في تهذيب الانساب ـ لابن الاثير .
١١٢ ـ لسان العرب ـ لابن منظور .
١١٣ ـ لسان الميزان ـ لابن حجر العسقلاني ط ١
١١٤ ـ اللغة ـ ج . فندريس تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص سنة ١٩٥٠ .
١١٥ ـ اللغة العربية كائن حي ـ لجرجي زيدان .
١١٦ ـ اللغة والنحو ـ للدكتور حسن عون ط ١ ١٩٥٢ م
١١٧ ـ لمع الادلة ـ لابن الانباري مع رسالة الاغراب له .
١١٨ ـ ما يحتاج اليه الكاتب ـ لابن جني مع رسالتين له ـ المطبعة العربية بمصر .
١١٩ ـ المبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة ـ لابن جني ـ دمشق مطبعة الترقي عام ١٣٤٨ .
١٢٠ ـ محاضرات الاستاذ كمال ابراهيم في النحو العام على طلبة قسم الماجستير .
١٢١ ـ محاضرات تاريخ الامم الاسلامية ـ للشيخ محمد الخضري بك ط ١٩٥٩/٩ .
١٢٢ ـ محاضرات عن مشكلاتنا حياتنا اللغوية ـ لأمين الخولي ١٩٥٨ .
١٢٣ ـ المحتسب لابن جني مخطوطة مصورة بدائرة اللغة العربية ببغداد .
١٢٤ ـ المختار من كتاب حسن المحاضرة اختيار محمد محمود صبيح وزارة الثقافة والارشاد القومي .
١٢٥ ـ مدرسة القياس في اللغة ـ لأحمد أمين ـ مجلة مجمع اللغة العربية ج ٧ .
١٢٦ ـ مدرسة الكوفة ـ الدكتور مهدي المخزومي ط٢ ١٣٧٧ ـ ١٩٥٨ م .
١٢٧ ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان ـ لليافعي .

١٢٨ ـ مراتب النحويين ـ لعبدالواحد بن علي اللغوي الحلبي : مطبعة نهضة مصر ؛

١٢٩ ـ مروج الذهب ـ للمسعودي ـ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ط ٣ سنة ١٩٥٨ .

١٣٠ ـ المزهر ـ للسيوطي ط٤/١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٨م .

١٣١ ـ معجم الأدباء ـ لياقوت .

١٣٢ ـ معجم البلدان لياقوت الرومى ببيروت ١٩٥٧ .

١٣٣ ـ المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم لأبي منصور الجواليقي ط ١

١٣٤ ـ مغنى اللبيب ـ لابن هشام الانصاري تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد.

١٣٥ ـ مفاتيح العلوم ـ للشيخ أبي عبدالله الخوارزمى ـ مطبعة الشرق مصر؛

١٣٦ ـ مفتاح السعادة ـ للمولى أحمد بن مصطفى المسمى طاش كبري زاده ؛

١٣٧ ـ المفصل في قواعد اللغة السريانية ـ لمحمد عطية الابراشي ، الدكتور علي العناني ايون محرز ط١ المطبعة الأميرية ببولاق ١٩٣٥م .

١٣٨ ـ المقابسات ـ لابي حيان التوحيدي ـ تحقيق وشرح حسن السندوبي ط١ سنة ١٩٢٩م ؛

١٣٩ ـ المقتضب من كلام العرب ـ لابن جني ـ المطبعة العربية بمصر ؛

١٤٠ ـ مقدمة كتاب الخصائص ـ لمحمد علي النجار .

١٤١ ـ مقدمة في أصول التفسير ـ لشيخ الاسلام ابن تيمية ـ المطبعة السلفية .

١٤٢ ـ الملل والنحل ـ للشهرستاني ـ الناشر مكتبة الأنجلو المصرية .

١٤٣ ـ من اسرار اللغة ـ للدكتور ابراهيم انيس ؛

١٤٤ ـ المنتظم في تاريخ الملوك والامم لابن الجوزي .

١٤٥ ـ المنصف شرح التصريف ـ لابن جني بـ ٣ أجزاء الطبعة الأولى تحقيق ابراهيم مصطفى وعبدالله امين .

١٤٦ ـ منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء ـ لياسين بن خير الله الخطيب العمري تحقيق ونشر سعيد الديوه‌جي . مطبعة الهدف ـ الموصل سنة ١٩٥٥ .

١٤٧ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ـ لجمال الدين بن تغري بردي .

١٤٨ ـ نحو التيسير ـ الدكتور أحمد عبد الستار الجواري ـ مطبوعات جمعية نشر العلوم والثقافة ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٢ م .

١٤٩ ـ نزهة الألباء في طبقات الادباء ـ لابن الانباري .

١٥٠ ـ نشأة النحو ـ للشيخ محمد الطنطاوي ط ٤ ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٤ م .

١٥١ ـ النشر في القراءات العشر ـ لابن الجزري .

١٥٢ ـ نشوء اللغة العربية ـ للأب انستاس الكرملي طبع في المطبعة العصرية سنة ١٩٣٨ .

١٥٣ ـ نظرات في اللغة والنحو ـ لطه الراوي ـ منشورات المكتبة الاهلية بيروت ط ١ سنة ١٩٦٢ .

١٥٤ ـ الوزراء ـ لأبي الحسن الهلال بن المحسن الصابي تحقيق عبدالستار أحمد فراج سنة ١٩٥٨ .

١٥٥ ـ وفيات الأعيان ـ لابن خلكان .

١٥٦ ـ هدية العارفين ـ لاسماعيل باشا البغدادي استانبول سنة ١٩٥١ .

١٥٧ ـ همع الهوامع شرح جمع الجوامع ـ للسيوطي .

١٥٨ ـ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ـ لأبي منصور الثعالبي تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد .

فهرس الاعلام

ـ أ ـ

- ب -

ـ ت

ـ ث ـ

- خ -

- ز -

- س -

- ن -

- و -

- هـ -

- ي -

• • •

الفهرس

الصفحة	الموضوع

الموضوع	الصفحة

الصفحة	الموضوع

• • •

تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٩	١٥	جمادي	جمادى
٢٩	٥	بن	ابن
٢٩	٧	بن	ابن
٢٩	حاشية رقم(٣)		الفهرست ١٧٢ - ١٧٣ وتاريخ بغداد ١١ / ٣٩٨
٣٠	٤	ابن	بن
٣٠	٧	ابي محمد	ابي بكر محمد
٣١	٢	بن	ابن
٣١	حاشية رقم (٧)	با	بسا
٣٢	١١	المنتبي	المتنبي
٣٣	٩	ولا هو .	ولا هو . »
٣٧	٩	موضوعة .	موضوعة . »
٣٨	٦	٢٢٠ ﻫ	٣٢٠ ﻫ
٤٠	١٠	عمرة	عمره
٤٧	٢	غربا	غريا
٤٨	حاشية رقم (٥)	المنتبي	المتنبي
٤٩	١	زائدبن	زائدين
٤٩	١	كيأي	كياءي
٤٩	١٥	بن جني	ابن جني

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤٩	١٥	بناظره	يُناظره
٥١	حاشية رقم (٧)		لسان الميزان ٤ / ٢٢٤
٥٢	٢	بن	ابن
٥٣	حاشية رقم (٢)	يتيمة	تيمية
٦٢	٤	انه	ابنه
٨٤	٧	بن جني	ابن جني
٨٤	١٢	البشري	البشرى
٨٥	٩	الآسيوية	الآسوية
٩٧	آخر سطر (هامش)	النحور	النحو
١٠٣	١١	بن	ابن
١٠٥	٧	بالاقناع	بالاقناع »
١٠٦	حاشية رقم (٧)	الامتناع	الامتاع
١٠٩	حاشية (سطر اخير)	(١)	(٤)
١٣٦	٢	بالنظوم	بالمنظوم
١٥١	سطر أخير	ماأجربه	ماأجوبه
١٥٥	١١	قصار	فصار
١٦١	٦	رعصفو ر	عصيفو ر
٢١١	١	مؤذر	مؤذن
٢١٤	٩	بحمراء	بحمراءِ
٢١٦	٨	ووأي	ووأى
٢١٧	٧	القتور	الفتور
٢٣٦	١٠	لعفلن	لعفان

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٤٨	٥	انحاز	انماز
٢٤٩	١٦	بنظروا	ينظروا
٢٦٨	سطر أخير	والكافية	الكافية
٢٧٨	٢		رفع المبتدأ بالابتداء : جاء في (الخصائص) :
٢٨٠	٣	ن	أن
٢٩١	٤	وحسَ رلبَ	وحسٌ ولبٌ
٣٢٤	٣	الاشمولي	الاشموني

• • •

٧٠٠ فلس

طبع بمطابع دار النذير